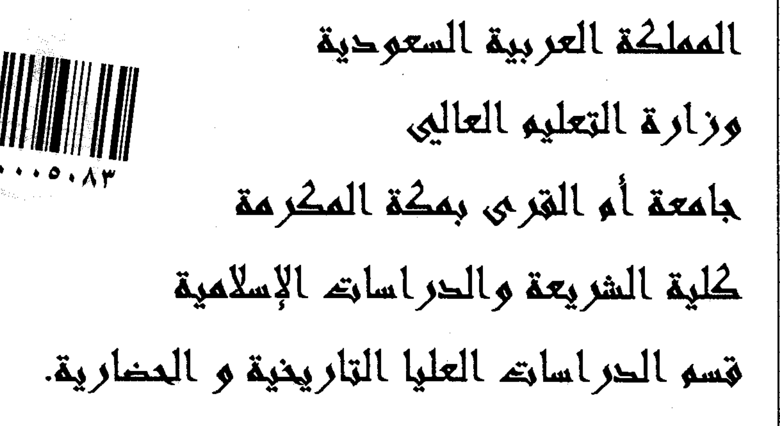


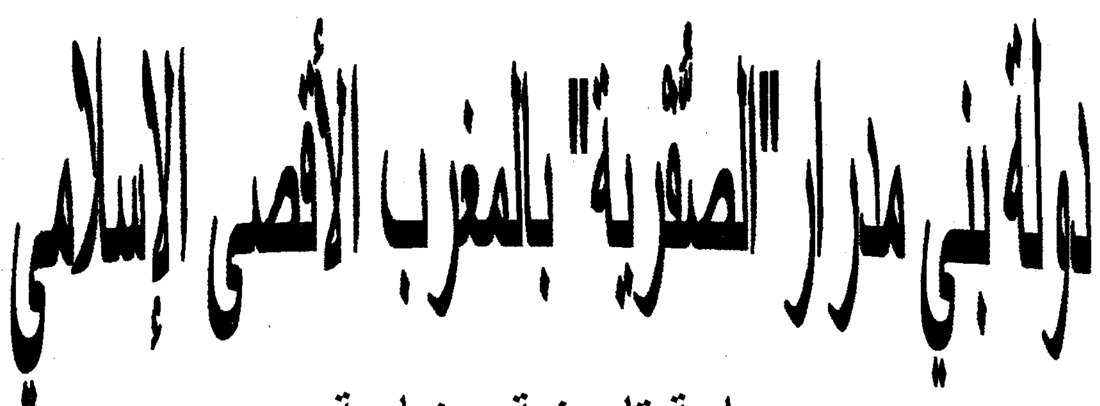
المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية.



دولة بني مدرار "الصفرية" بالمغرب الأقصى الإسلامي

دراسة تاريخية حضارية

١٤٠ - ٣٤٧هـ /٧٥٧ - ٩٥٨م

رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة :

وفاء يعقوب جبريل برناوى

إشراف الدكتور :

فواز على بن جنيدب الدهاس

١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ظهر نور الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك بسبب جهود رجاله ذوى الهمم العالية، الذين حملوا على عاتقهم مهمة نشره وتذليل المصاعب في سبيل ذلك ، وهو الأمر الذي حظا به إقليم المغرب من رعاية واهتمام . ولكن الأمر الذي نغص على أمن وراحت دولة الإسلام، ظهور ما لم يكن في الحسبان ألا وهو فتن المذاهب الضالة المخالفة للشريعة ، والتي وجدت أرضاً خصبة في بلاد المغرب ، وذلك بسبب بعدها عن الخلافة وسوء معاملة بعض ولاة الخلافة لأهل المغرب ، مما أدى إلى قيام العديد من الثورات والصراعات التي نتج عنها قيام عدد من الدول المستقلة عن الخلافة العباسية ذات مذاهب مختلفة منها دولة بني مدرار موضوع الدراسة .

وكان السبب الرئيسي في اختيار موضوع البحث (**الدولة المدرارية بالمغرب الإسلامي ١٤٠/٢٩٦هـ**) هو المكانة التي وصلت إليها هذه الدولة من إنشاء كيان سياسي قوي في منطقة نائية من المغرب الإسلامي .

وقد قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول : ضمنت المقدمة أهمية الموضوع ، أما التمهيد فقد كان دراسة لبلاد المغرب جغرافياً ، وسياسياً ، و مذهبياً .

وقد تناول الفصل الأول : دراسة الأسباب التي ساعدت في قيام دولة بني مدرار ، وفيه مبحثين : تحدثت في المبحث الأول عن حكام بني مدرار ، وأراء المؤرخين المختلفة حولهم ، بينما تناول المبحث الثاني تأسيس مدينة سجلماسة .

أما الفصل الثاني : فقد تناول علاقة الدولة بالدول المجاورة وفيه خمس مباحث: تناول المبحث الأول أثر مذهب بني مدرار في هذه العلاقة ، بينما تحدث المبحث الثاني عن علاقة بني مدرار بدولة الأغالبة ، وتحدث الثالث عن علاقة بني مدرار بدولة بني رستم في تاهرت ، وتناول المبحث الرابع علاقتهم بدولة الأدارسة ، أما المبحث الخامس فقد تناول العلاقة مع الدولة الفاطمية .

أما الفصل الثالث : فقد تحدث عن علاقتهم بالقوى السياسية الخارجية ، وفيه مبحثين : تحدث الأول منهما عن علاقتهم بالعباسيين ، بينما ركز المبحث الثاني عن علاقتهم بالأمويين في الأندلس .

أما الفصل الرابع: فقد خصص للحديث عن الجانب الحضاري للدولة وفيه أربع مباحث : المبحث الأول عن الأوضاع الاقتصادية ، والثاني عن الحياة العلمية ، والثالث عن المنشآت المعمارية، أما الرابع فقد خصص لدراسة عناصر المجتمع ، ثم ختمت البحث بخاتمة تعرضت فيها لأهم النتائج، ثم أوردت بعض الملاحق وقائمة المصادر والمراجع .

اسم الطالبة	اسم المشرف	رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية الحضارية	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
وفاء يعقوب برناوى	الدكتور فواز على الدهاس	الدكتور عبد الله سعيد الغامدي	عايد محمد السفياني

In the name of Allah the merciful the most gracious

The Abstract of Thesis

The light of Islam has appeared in the east and west of the earth, by the efforts of high task people. Who brought on their shoulders the task of propagation and removal of obstacles in this way. The Morocco region has great luck of care and attention. But the problem which lacked to security and comfort of state of Islam. The un -considerable appearance is the sedition of unguided schools against to Al - Shareiah. Which has found comfortable land in Morocco country in cause of its remoteness to the successions and maltreatment of some government of successions for morocco family. This has led for the many of revolutions and conflicts which resulted in the Establishment of number of independent countries to Abbasit succession of different schools from which Bini Madrar country the subject of the study.
The main cause was the in choice of [The Madrary country in Islamic Morocco 140, 296.H.] the topic research
was the position which the country has reached to establish political and strong regime in a remote area from Islamic Morocco.
The research was divided into introduction, Preliminary and four chapters. The introduction was included the important of the topic but the preliminary was geographically, politically and school for Morocco country.
The first chapter handed ; the causes study which supported to establish Bini Madrar country and it has tow research : The first research talked about the rulers of Bini Madrar and the theme of different historians about the establishment of salmagas city. The second chapter handed the country relation with neighboring countries and it has five researches : First one talked about the impact the of Bini Madrar school in this relation . while the second one about the relation of Bini Madrar with majority country, and third research about their relation with Adarisa Country, while the last one handed the relation with Fatmia country.
The third chapter; spoke about their relation with political and external power and it has tow researches, the first one about their relation with Abbasiats, while the second concentrated on their relation with a Maween in Andalous. But the fourth chapter was specialized to talk about civilzed a aspect of the country and has fourth researches : the first about the economic situations, the second about the scientific life and the third one architectural establishments while the last research was specialized to study the races of the society, the concluded the research to the important results then she reported some supplementaries and the list of sources and references.

Student Name	Supervisor Name	The Head of the Historic and Civilized post graduate studies section	Dean of Sharia collage and Islamic studies
وفاء يعقوب برناوى	فواز على الدهاس	الدكتور عبد الله سعيد الغامدي	عايد محمد السفياني

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

سورة الزمر آية [٩]



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ظهر نور الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك بسبب جهود رجاله ذوى الهمم العالية ، الذين حملوا على عاتقهم مهمة نشره وتذليل المصاعب في سبيل ذلك ، وهو الأمر الذي حظى به إقليم المغرب من رعاية واهتمام .

ولكن الأمر الذي نغص على أمن وراحت دولة الإسلام ، ظهور ما لم يكن في الحسبان ألا وهو فتن المذاهب الضالة المخالفة للشريعة ، والتي وجدت أرضاً خصبة في بلاد المغرب ، وذلك بسبب بعدها عن الخلافة وسوء معاملة بعض ولاة الخلافة لأهل المغرب ، مما أدى إلى قيام العديد من الثورات والصراعات التي نتج عنها قيام عدد من الدول المستقلة عن الخلافة العباسية ذات مذاهب مختلفة منها دولة بني مدرار موضوع الدراسة .

فقد تأسست الدولة المدرارية سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م ، وعاصمتها سجلماسة التي تقع جنوب المغرب الأقصى ، التي غدت مستقراً للخوارج الصّفرية القادمين من كل مكان، إلا أن معظم سكانها كانوا من قبيلة مكناسة البربرية وبطونها ، وأول من حكم هذه الدولة هو عيسى بن يزيد الأسود .

ويعد المنتصر اليسع بن أبي القاسم أبرز حكام بني مدرار بعد وفاة مؤسسها الحقيقي أبو القاسم سمعون بن واسول المكناس الملقب بمدرار ، الذي اتخذ موقف الحياد تجاه الحروب والصراعات القائمة بالمغرب ، بل عمل على تحسين علاقته بالخلفاء العباسيين ومن جاوره من مدن وقري ، وخاصةً مع دولة الخوارج الرستمية لكي تكون عوناً له ، فكلل هذا الأمر بزواج سياسي حيث تزوج مدرار بن اليسع من أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم .

وبقيام الدولة المدرارية شهد جنوب المغرب الأقصى حضارةً وازدهاراً في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية .

ويشير بعض المؤرخين إلى غنى أهل سجلماسة بسبب وقوعها على طريق تجاري هام وهو طريق مدينة غَانة المصدر الرئيسي لتجارة الذهب ، حيث كان هذا الذهب يسبك به عملة سجلماسة التي استمر التعامل بها حتى بعد القضاء على حكم بني مدرار .

وقد كان يضم المجتمع المدراري عناصر من فئات مختلفة كالبربر ، والأندلسيين ، السودانيين ، والعرب ، وفئات أخرى ، حيث كان لهذا الازدهار أثر كبير في تحول أهل سجلماسة من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار مما أثر بدوره على نمط الحياة الاجتماعية في العادات والتقاليد.

واستمرت مقاليد الحكم في أسرة بني مدرار ما يقرب من القرنين من الزمان حتى تغلب عبيد الله الشيعي عليها بعد أن قتل آخر حكام بني مدرار اليسع بن ميمون سنة ٢٩٦هـ ، ولكن بعض المصادر تشير إلى استمرار الحكم في بني مدرار مع التبعية الاسمية للدولة الفاطمية حتى سنة ٣٦٦هـ.

وقد كان العامل الرئيسي لاختيار موضوع البحث عن **الدولة المدرارية بالمغرب الإسلامي ١٤٠/٣٤٧هـ دراسة تاريخية حضارية** هو المكانة التي وصلت إليها هذه الدولة من إنشاء كيان سياسي قوي في منطقة نائية من المغرب الإسلامي ، بالإضافة إلى تفرق معلومات هذه الدولة التاريخية والحضارية في بطون المصادر وندرتها مما جعل كثير من الباحثين يتجنبون التأريخ لها ، هذا إلى أن جزءاً كبيراً من هذه المعلومات يلفه الغموض والإبهام، والرغبة في إلقاء الضوء أيضاً على الدور الكبير الذي قامت به هذه الدولة في سبيل تنشيط حركة التعريب بين البربر ، ونشر الإسلام في بلاد السودان .

وقد صادف البحث العديد من المصاعب أهمها قلة المصادر والمراجع التي تحدثت عن الدولة المدرارية بإسهاب ، فمعظمها تحدثت عنها بشكل مختصر جداً ، بل أغفلت الكتابة عن بعض جوانبها خاصةً الناحية الفكرية ، فلم يجد لها أي ذكر في كثير من المصادر والمراجع إلا ما ندر ، هذا إلى كثرة الروايات والآراء المختلفة حول حكام هذه الدولة وعلاقاتها مع غيرها من الدول الداخلية أو الخارجية ،

وهو ما جعل البحث يورد عدداً كبيراً من الآراء المحتملة التي يحاول بها تغطية ما أبهم من معلومات ، إلا أنه لا أنفي معلومات المصادر حتى ولو كانت ناقصة ، بل قام بإيرادها كما وردت ، ثم وضع بعض التعليقات عليها.

وقد قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول :

تناول البحث في المقدمة أهمية الموضوع ونبذة مختصرة عن الدولة موضوع الدراسة وسبب اختيار الموضوع ، ثم عرضاً لأهم المصادر والمراجع التي ساعدت في إتمام هذا البحث .

أما التمهيد فقد تناول بلاد المغرب من ثلاثة اتجاهات :

الأول : سبب التسمية ثم الناحية الجغرافية لهذه البلاد .

الثاني : أسباب فتح المسلمين لهذه البلاد والصعوبات التي صادفتهم في تلك الأثناء ، ثم قيامهم بالفتح الذي يبدأ بعمرو بن العاص وينتهي بإتمام موسى بن نصير لفتح هذا الإقليم، ومن ثم توجُّهه لفتح بلاد الأندلس .

الثالث : الدور الذي لعبه أصحاب مذهب الخوارج في بلاد المغرب ، وردُّ فعل أهل المغرب على ذلك ، والثورات والحركات الانفصالية التي كانت نواتها ثورة ميسرة المضغري أول ثورة قامت في بلاد المغرب والتي ترتبت على إثرها الأحداث والفتن التي ظهرت بعد ذلك ، ثم قيام الدول المستقلة عن الخلافة العباسية وهي الدولة الرستمية والدولة المدرارية ودولة الأدارسة ، هذا إلى قيام عدد من الإمارات الأخرى ، ثم الدولة الفاطمية وهي آخر الدول المستقلة والتي قضت على جميع الدول السابقة ، ولقد كان لولاة المغرب ثم أسرة المهالبة ثم بني الأغلب المكلفين من قبل الخلافة العباسية دور كبير في القضاء على هذه الفتن .

في الفصل الأول : تحدث البحث عن الأسباب التي ساعدت في قيام دولة بني مدرار ، حيث قسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تناول البحث الأوضاع الداخلية التي ظهرت في بلاد المغرب من فتن وثورات ، فتحدث عن أهمها : ثوة ميسرة المضغري ، ظهور نحلة برغواطة ، ثورة بربر ورفجومة ، والأحداث التي ترتبت على ظهور كل ثورة.

المبحث الثاني : تحدث البحث فيه عن حكام دولة بنـــي مـــدرار ، وأراء المؤرخيـن المختلفة حولهم ، ثم تحدث عن المذهب الذي قامت الدولة على أساسه ، ومـــدى تمسـك حكام الدولة به ، ثم الجهود السياسية والعسكرية التي سار عليها الحكام في ســبيل بنـاء الدولة وتقوية أرجائها إلى مقتل آخر من حكم من الدولة على يد الفاطميين ، وتحدث عـن حال الدولة بعد سيطرة الدولة الفاطمية عليها ، ومن حكم الدولة المدرارية من بني مدرار اسمياً إلى آخر من قتل من قبل حاكم الأندلس وهو الشاكر لله .

المبحث الثالث : تحدث البحث عن تأسيس مدينة سجلماسة عاصمة دولة بني مـدرار ، والآراء المختلفة حول بناء هذه الدولة ، ودور حكام بني مدرار في تطوير هذه العاصمة ، والدور الفعال الذي لعبته هذه العاصمة .

أما الفصل الثاني : فقد تحدث البحث فيه عن علاقة الدولة المدرارية بالدول المجـاورة لها، حيث قسم هذا الفصل إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : تناول فيه البحث أثر مذهب بني مدرار في علاقتها بالدول الأخـرى ، فمن الدول من كانت علاقتها بهم حسنة ومنها من كانت العلاقة سيئة ، ثم نـاقش البحـث كيف كانت مصالح الدول أقوى من اختلاف المذهب .

المبحث الثاني : تحدث البحث عن نوع العلاقة التي كانت بين دولة بني مدرار وبيـن دولة بني الأغلب ، والتي كانت سيئة بسبب اختلاف المذهب ، إلا أن هـذه العلاقـة لـم يصاحبها أي صراع عسكري ، بل كانت تدور بينهم علاقة تبادل تجاري .

المبحث الثالث : تحدث البحث عن علاقة بني مدرار بدولة بني رستم فـي تـاهرت ، فكانت العلاقة بينهم حسنة ، حيث تكللت بعقد زواج سياسي بين الطرفين ، مما قوي مـن أواصر هذه العلاقة .

المبحث الرابع : ناقش البحث فيه علاقة بني مدرار بدولة الأدارسـة ، وهـي علاقـة سيئة، ولولا الصراع الذي كان بين الأدارسة ودولة بني الأغلب ، لقضي الأدارسة علـى دولة بني مدرار ، مثل ما فعلوا مع صفرية تلمسان ، ولكن هذه العلاقة قد تتغير أحيانـا تمشياً مع المصالح التجارية للبلدين .

المبحث الخامس : تناول البحث الحديث عن العلاقة التي كانت بين دولة بني مدرار وبين الدولة الفاطمية ، من وصول عبيد الله الشيعي إلى سجلماسة حتى سقوط دولة بني مدرار، فقد كانت العلاقة بينهم سيئة في الظاهر ، ولكن البحث أشار إلى احتمال وجود علاقة مشتركة بين الطرفين ، ترمي في باطنها إلى القضاء على الخلافة العباسية وأتباعها، وهو تحليل قائم على ما أوردته روايات المصادر.

وفي الفصل الثالث : تحدث البحث فيه عن علاقة بني مدرار بالقوى السياسية الخارجية، فقد قسم هذا الفصل إلى مبحثين : الأول تحدث عن علاقة بني مدرار بالعباسيين ، فقد كانت علاقة سيئة بسبب الخلاف المذهبي ، ولكن لم يكن بينهم أي صراع حربي ، بل حاولت دولة بني مدرار كسب ود حكام بني العباس ، بحيث كان يذكر اسم الخليفة المنصور والمهدي في الخطبة .

أما المبحث الثاني : فقد تحدث عن علاقة بني مدرار بالأمويين في الأندلس ، وهي علاقة حسنة بسبب المصلحة المشتركة ، وهي العداء المتأصل للخلافة العباسية ، وبالتالي كان كل طرف عوناً لأخر عند مواجهة الأعداء .

وفي الفصل الرابع : تناول البحث فيه الجانب الحضاري لدولة بني مدرار ، لذا قسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : تناول الأوضاع الاقتصادية من حيث الرعي ، الزراعة ، والصناعة ، والتجارة التي تعتبر أهم مجال في الدولة .

المبحث الثاني : تحدث عن الحياة العلمية من عدة مجالات : في العلوم والمعرفة ، وأشهر العلماء ، وحركة التعريب ، ودور دولة بني مدرار في نشر الدين الإسلامي في بلاد السودان .

المبحث الثالث : تناول المنشآت المعمارية من أبواب ، وأسوار ، وقصور... وغير ذلك ، ونوع الطراز المعماري الذي أضفى على عمارة الدولة ، وهو الطراز الأندلسي .

المبحث الرابع : تحدث فيه البحث عن عناصر المجتمع في دولة بني مدرار ، فقد كانت الدولة تضم عدداً كبيراً من عنصر السودان وعنصر البربر وعنصر العرب الذين

قدم بعضهم من بلدان مختلفة ، وأهم العادات والتقاليد التي امتاز بها شعب دولة بني مدرار .

أما الخاتمة : فقد عرض البحث فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة .

ثم أورد البحث بعض الملاحق الهامة المتعلقة بالبحث ، ثم عرض قائمة المصادر والمراجع ، ثم الفهارس.

والحمد لله أولاً وأخراً الذي أعانني على إتمام هذا البحث . وختاماً فإنه لا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى التي منحتني الفرصة لإكمال الدراسة ، وإلى كل المراكز العلمية والبحثية والمكتبات الجامعية التي لم تبخل بما لديها من وثائق ومصادر خدمت البحث بطريقة أو بأخرى ومن ذلك :

المكتبة المركزية بجامعة أم القرى – ومكتبة جامعة الملك عبد العزيز – ومكتبة الحرم المكي الشريف – ومكتبة مكة المكرمة – ومكتبة الحرم النبوي – ومكتبة الغرفة التجارية بجدة .

كما لا يفوتني أن أجزي شكري وتقديري للمراكز العلمية متمثلة في معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى – ومركز الملك فيصل للبحوث بالرياض – ودار الوثائق القومية بمصر .

كما أهدي شكري إلى أساتذتي الذين أعانوني في مراحل البحث الأولى ومنهم :
الدكتور محمد المنسي العاصي الذي تفضل بتوجيهي وبإرشادي في اختيار موضوع البحث ، والدكتورة وفاء المزروع التي أشرفت على مرحلة من مراحله التالية كما أحب أن أنوه إلى الدور الكبير والجهد المضني الذي بذله معي أُستاذي الفاضل سعادة الدكتور فواز بن علي الدهاس الذي شملني بكريم رعايته الأبوية وأخذ بيدي وأعانني على استكمال خطوات البحث ، كما أعانني بعد الله سبحانه وتعالى على تخطي الصعاب التي واجهتني في مرحلة الكتابة فله شخصياً ولجميع أساتذتي ولوالدي واخوتي وجميع أفراد أسرتي احتفظ لهم بجزيل الشكر والامتنان فلولا وقوفهم جميعاً وتشجيعهم لي لما تمكنت من الوصول بالبحث إلى الدرجة التي أحسبها إن شاء الله

مرضية للجميع ، فلهم مني التقدير والاحترام ، ولهم من المولى تبارك وتعـــالى الأجــر والثواب والحمد لله رب العالمين .

وفاء يعقوب برناوي

٤/ ٣ / ١٤٢٤هـ

عرض لأهم المصادر والمراجع :

البكري ، أبي عبيد ت ٤٨٧هـ :

١.المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب .

كاتب جغرافي وأديب ولد بقرطبة سنة ٤٣٢هـ ، ويعتبر كتابه من أهم المصادر المغربية ، وهو مهم جداً في دراسة دولة بني مدرار حيث يحتوي على معلومات كثيرة وقيمة عن هذه الدولة وقبائلها ومدنها مقارنة بغيره من الكتب ، فقد استند عليه البحث في الكثير من المعلومات .

ابن الخطيب ، لسان الدين ت ٧٧٦ هـ :

٢. كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .

ولد بلوشة ، كان شغوفاً بالعلوم الطبية والفلسفية ، وبفضل مهارته عينه بنو الأحمر الوزارة ، فالكتاب الأول مقسم إلى ثلاثة أقسام ، حيث اعتمد البحث على القسم الثاني الذي تحدث عن تاريخ اسبانية الإسلامية ، وقد استفاد البحث منه في العلاقة التى كانت بين دولة الأندلس ودولة بني مدرار .

أما القسم الثالث وهو الأهم تاريخ المغرب الوسيط حيث تحدث عن حكام دولة بني مدرار وعلاقتها مع غيرها من الدول ، كما تحدث عن عدد من المدن والقبائل التي تهم البحث ، وقد قام بكتابة هذا القسم عندما كان منفياً في بلاد المغرب اثر انقلاب حدث في مملكة غرناطة مما ترتب عليه خلع سلطانها محمد الغني بالله وتولي أخيه مكانه ، لذلك فر السلطان محمد مع عدد من حواشيه ووزرائه ومنهم لسان الدين بن الخطيب إلى المغرب الأقصى والتجيء إلى سلطانها أبي سالم ابراهيم المريني .

ابن خلدون ، عبد الرحمن ت ٨٠٨ هـ :

٣. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون .

٤. مقدمة ابن خلدون :

نشأ في بيت علم ، وتعلم على يد كبار الأساتذة في الأندلس والمغرب ، ويعتبر كتاب العبر من أهم وأعظم ما صنف في تاريخ العرب والعجم والبربر ، فلا غنى عنه لكل من أراد الكتابة عن تاريخ المغرب الإسلامي ، وقد أفاد البحث منه في جوانب عده حيث تطرق في كتابه إلى دولة بني مدرار وحكامها وقبائلها .

أما المقدمة فقد تحدث فيها عن كل ما أراد كتابته بشكل مختصر ، وقد أفاد البحث منها في التعريف عن العملة ومدلولاتها .

ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن ت ٢٥٧هـ :

٦. فتوح افريقيا والأندلس .

٧. فتوح مصر والمغرب .

عاش في مدينة الفسطاط ، عاصر عهد الطبري والبلاذري ، كما عنت أسرته بدراسة الفقه والحديث ، درس على يده عدد كبير من طلاب المغرب والأندلس ، ويعتبر كتابيه من المصادر الهامة التي تحدثت عن بداية الفتح العربي وتاريخ المغرب والأندلس. وقد استفاد البحث منهما في التمهيد عندما ذكرت الأسباب التي جعلت العرب المسلمين يعملون على فتح المغرب والثورات التي واجهت قواد الفتح في عهد حكام بني أمية ، وجهود موسى بن نصير في فتح الأندلس .

أبو العرب ، محمد بن محمد بن تميم القيرواني ت ٣٣٣هـ :

٨. طبقات علماء إفريقية وتونس .

كاتب مغربي من أسرة شهيرة بالقيروان وتونس ، ويعتبر كتابه من نفائس كتب التراجم المغربية ، أفادني في ترجمة شخصية أبو يحي حماد بن يحي السجلماسي ، ومحمد بن بسطام .

القاضي ، عياض ت ٥٤٤هـ :

٩. ترتيب المدارك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك .

ولي قاضياً لمدينة سبته على عهد المرابطين ، وقد استفاد منه البحث في معرفة عدد من الشخصيات التي تنتسب لمدينة سجلماسة والتي كان لها دور بارز في نشر مذهب الإمام مالك .

القلقشندي ، شهاب الدين أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ :

١٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشا .

ولد في مصر ، وهو من أصل عربي حيث ينتسب إلى قبيلة فزارة ، درس بالإسكندرية ، وهو مصدر هام اعتمد عليه البحث في ذكر العديد من الروايات عن دولة بني مدرار من جميع جوانبها .

القيرواني ، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ت ٤١٧هـ :

١١. قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب .

مصدر مهم تحدث عن فترة الفتح لبلاد المغرب والثورات والصراعات التي قامت به ، وهي الفترة التي تناولت الحديث عنها في التمهيد .

الحسن الوزان ، يوحنا ت ١٥٣٢ م :

١٢. وصف إفريقيا

ولد بغرناطة ، أهتم بالعلم والتحصيل ، وكتابه مقسم لقسمين هامين ، تناول فيهما بلاد المغرب من جميع جوانبها ، وذكر لنا وصف لمدينة سجلماسة وقصورها .

المالكي ، أبو بكر عبد الله ت ٤٥٣هـ :

١٣. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية .

من أهم مصادر تاريخ فتوح المغرب ، ومؤلفه مكون من ثلاث أجزاء ،أفادني الجزء الأول الذي يشمل الفترة الواقعة ما بين الفتح العربي إلى آخر سنة ٣٠٠ .

مجهول ، كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري :

١٤. الاستبصار في عجائب الأمصار .

كاتب مغربي يمتاز كتابه بوفرة معلوماته عن بلاد المغرب ودقتها في القسم الثالث، حيث ينقسم كتابه إلى ثلاث أقسام ، أهمها الثالث حيث اعتمد البحث عليه في كشف العديد من المعلومات .

ابن عذارى ، أبو العباس احمد ت ٦٩٥هـ وقيل أيضاً أنه كان حياً سنة ٧١٢هـ :

١٥. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .

مؤرخ مغربي عاش في عصر الموحدين ، لذلك كان كتابه من أهم المصادر التي تحدثت عن تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، حتى قيل أنه أكثر دقة في الحديث في ذكر الأخبار عن ابن عبد الحكم والبلاذري ، واعتمدت عليه في كشف الكثير من الأخبار والمعلومات في معظم جوانب البحث.

النويري ، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ :

١٦. تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط .

١٧. نهاية الأرب في فنون الأدب .

مؤرخ مصري عكف على التأليف ، فقد كان ممن عكف على العلم والدراسة تتلمذ على يد أستاذه العمرى ، ومن ذلك تناول الحديث عن بلاد المغرب خلال العصر الإسلامي ، وقد أفاد البحث منه في فترة الفتح الإسلامي للمغرب .

أما أهم المراجع الحديثة فهي كتالي :

عبد الرزاق ، محمود اسماعيل :

١. الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري .

أفاد البحث منه معلومات كثيرة عن دولة بني مدرار، وعن علاقتها بالدول المجاورة لها والخارجة عن بلاد المغرب .

مؤنس ، حسين :

٢. تاريخ المغرب وحضارته .

تناول البحث معلومات قيمة من المجلد الأول ، فمؤلفة ينقسم إلى مجلدين ، وتحدث عن الدور الكبير الذي قامت به دولة بني مدرار في نشر الإسلام في بلاد السودان وما جاورها من المدن والقرى .

سوادي ، عبد محمد :

٣. دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري.

من أهم المراجع التي تناولت الحديث عن دولة بني مدرار بشكل موسع ، فقد تناول جميع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والثقافة .

سالم ، السيد عبد العزيز :

٤. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي .

استفاد البحث من هذا الكتاب العديد من المعلومات عن الدولة المدرارية .

كول ، دانييل ماك :

٥. الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة كما يعرضها ويحللها ماك كول .

كتاب مهم جداً أفاد البحث منه في الآراء التي كانت تدور حـــول تأســـيس مدينـــة سجلماسة .

التمهيد

١٥ – ٢٥

الأحوال السياسية في المغرب الإسلامي في أواخر العصر الأموي ومطلع العصر العباسي .

قبل البدء في الحديث عن ظاهرة انفصال الدول في المغرب الإسلامي يجدر بنا أن نلقي الضوء بشكل مختصر علي جغرافية بلاد المغرب وتاريخ الفتح الإسلامي لها حتى ظهور الدول المستقلة ، واللذين كان لهما أكبر الأثر في نشوء هذه الظاهرة .

تعتبر بلاد المغرب جزءاً من بلاد شمال إفريقية ، حيث اشتهر هذا الإقليم بكثرة السلاسل الجبلية مثل جبال درن والتي تمتد من البحر المحيط في أقصى السوس حتى تتصل بجبل نفوسة ، وجبال أوراس التي هي موطن قبائل هوارة ومكناسة ، وقد شهدت هذه الجبال العديد من الأحداث والثورات (١) .

ولقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى في سبب تسميتها بهذا الاسم فقيل : إن إفريقش بن أبرهة غزا نحو بلاد المغرب حتى انتهى إلى طنجة ، وهو أول من بناها، لذلك سميت افريقية باسم منشئها ، وقيل إنما سموا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصر، وقيل بل أن لفظ إفريقية مشتق من كلمة أفرى Aphri التي أطلقت على سكان أوتيكا Utica وقرطاجنة من قبل الفينيقيين ، وقد عممه اليونان فأطلقوه على سكان المغرب من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي (٢) .

أما المغرب في مفهوم المؤرخين المحدثين : فهو كل ما يقابل المشرق من بلاد لذلك تعتبر بلاد المغرب وحدة جغرافية مترامية الأطراف ، حيث يشمل كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي (٣) .

وقسم المؤرخون بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام حسب القرب أو البعد عن مركز

---

(١) البكري ، أبي عبيد : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ،مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ طبع ، ص ١٤٤. مقديش ، محمود : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق : على الزواري – محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، المجلد ١ ، ص ٥٨ . مؤنس ، حسين : تاريخ المغرب وحضارته ، الدارالسعودية ، جدة ،الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، المجلد١، ص٣٠ .

(٢) الأندلسي ، محمد بن محمد : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيله ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤، المجلد ١ ، ص ٥٠٨. سالم، السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨١ ، جـ ٢، ص ١٧٧.

(٣)العبادي ، أحمد مختار : في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بدون تاريخ طبع ، ص ٩ . مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ، المجلد ١ ، ص ٢١ .

الخلافة في المشرق [1] :

١.المغرب الأدنى:

يسمى إفريقية حيث يمتد إلى برقة ثم إلى مصر.

٢.المغرب الأوسط:

يبدأ من شرقي وهران وتلمسان إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق.

٣.المغرب الأقصى :

يبدأ من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان ، ومن سبتة إلى مراكش وسجلماسة ما يجاوزها شمالاً وجنوباً [2] .

لقد راودت المسلمين فكرة فتح بلاد المغرب منذ ولاية عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٢٣هـ /٦٤٣م ، وذلك لتأمين الحدود الغربية لمصر [3]، إلا أن عمر بن الخطاب تخوف من استكمال غزو إفريقية ، فقال لعمرو بن العاص: ((لا، إنها ليست بإفريقيا ، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت)) [4] .

وقد كانت البداية الفعلية لفتح هذا الإقليم على عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بعد أن كره فتحه في بادئ الأمر ، تأسياً بالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، حيث عزل عمر بن العاص من ولاية مصر ، وعين عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكلفه بغزو إفريقية سنة ٢٩هـ / ٦٤٩م ، ثم استأذن عبد الله بن أبي سرح الخليفة عثمان بن عفان في فتحها، فأذن له بعد استشارة الصحابة [5] .

---

(١) العبادى : في تاريخ المغرب ، ص ١٠.

(٢) أبي الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٢٢ . الفقي ، عصام الدين : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ١١- ١٣ . أنظر الملحق شكل(١) .

(٣) العبادي : في تاريخ المغرب ، ص ٣٦ .

(٤) ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله : فتوح إفريقيا والأندلس ، حققه وقدم له : عبد الله أنس الطباع ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٣٣ .

(٥) الكوفي ، أبي محمد أحمد بن أعثم : كتاب الفتوح ، تحت مراقبة : محمد المعيد خان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ = ١٣٣ . الناصري ، أبو العباس أحمد : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، جـ ١ ، ص ٧٥.

ولقد واجهت المسلمين العديد من المصاعب أثناء فتحهم لهذا الإقليم، وذلــك لعــدة عوامل منها :

العامل الجغرافي : من حيث وعورة المسالك ، بسبب طبيعة البلاد الجبلية، بعد المســافة بين المشرق والمغرب.

العامل الاجتماعي : قوة القبائل البربرية وتضامنها ضد الفاتحين .

إلا أن هذا الأمر لم يكن ليثني المسلمين عن فتح هذه البلاد ، فالسياســة الحكيمــة التي سار عليها القادة الفاتحون ، أدت إلى تذليل الصعاب ، بل أدت إلى نتائج عظيمــة ، أهمها اعتناق البربر للدين الإسلامي ، بل وانضمام عدد كبير منهم في الجيش الإســلامي، وهذا الفضل يعود إلى القائد العظيم المحنك عقبة بن نافع الفهري الذي قام بأول فتح شامل مستقر لبلاد المغرب ، وأختط عاصمتها القيروان سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م ، حيث أصبحــت بلاد المغرب على عهده قسم إداري مستقل بذاته عن بقية أقسام الخلافة [١].

وعندما ولى الخليفة معاوية بن أبي سفيان مسلمة بن مخلد الأنصاري على ولايتــي مصر والمغرب ، قام بعزل عقبة من ولاية إفريقية ، وتعيين مولاه أبي المهاجر دينار، ثم عزل بعد وفاة الخليفة معاوية ، حيث استمرت ولايته سبع سنوات ، وأعيد عقبة بن نــافع إلى ولايته مرةً أخرى [٢] .

---

(١) سالم : تاريخ المغرب ، جـ ١ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .
MICHAEL BRETT : NORTHERN AFRICA ISLAM AND MODERNIZATION , LODON , 1973 . P 1-3 .

(٢) ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن على : الكامل في التاريخ ، دار صــادر ، بـيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، المجلد ٣ ، ص ٤٦٥-٤٦٦ .الواقدي ، محمد : فتوح إفريقية ، ملتزم الطبع والنشر التيجاني المحمدي صاحب مطبعــة ومكتبة المنار، بدون تاريخ طبع ، جـ ١ ، ص ٣-٤ . أنظر أيضاً : الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمن محمــد : معـالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه : أبوالفضل أبو القاسم بن ناجي التنوخــي ، تصحيـح وتعليـق : ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الثانية ،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ص١٦٥-١٦٧. المالكي : أبي عبـد الله : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، حققه : بشر البكوش ، مراجعة : محمد العروسي المطـوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، جـ١ ، ص٥٦. مؤنس: تاريخ المغرب ، جـ١ ، ص ٨٨.
FRANCESCO GABRIELI : MUHAMMAD AND THE CONQUESTS OF ISLAM , TRANSLATED FROM THE ITALIAN BY :VIRGINIA LULING AND ROSAMUND LINELL , LONDON , 1968 , P. 108-184.

ولقد تفاقمت الأحوال وازداد الأمر سوء في عهد عبيد الله بن الحبحـــاب ، حيـث أسرف في سياسته التعسفية مع البربر ، كما قام بتطبيق سياسة تخميس [٣] أعشار البربر، حيث زعم أن البربر فيءً للمسلمين ، وهو أمر لم يكن له أساس في السابق ، فقــد كــان الحكام والولاة يخمسون من لم يدخل في الإسلام [٤] ، فما كان من البربر إلا جمع أمرهـم على الإحتجاج أمام الولاة منكرين لهذه السياسة ، ولكن لم يكتب لهم النجــاح ، فتوجــهوا إلى دار الخلافة لعرض شكواهم لدى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فبعثـــوا بوفـد إليـه وأنتظروا رد الخليفة على الشكاية سنة كاملة ، ولكن دون جدوى .

في ذلك الوقت كانت طوائف الخوارج تتطلع إلى نشر مذهب الخوارج فـــي بــلاد المغرب بعد أن حاربهم ولاة المشرق ، وقضوا على أتباعهم ، فلم يجدوا بداً من التوجـــه لنشر مذهبهم في مكان آخر ، فنزحوا إلى أقاصي بلاد المغرب ، فبدأ زعماء الخوارج في نشر أحكام مذاهبهم الإباضية والصفْرية ، وغيرهما [٣] ، فالتحموا مع جيوش الولاة فـــي

---

(١) الخُمْسُ :((أخذك واحداً من خمسة ، تقول خَمَسْتُ مال فلان . وخَمَسَهم يَخْمُسُهم بـــالضم خُمْسـاً : أخـذ خُمْـسَ أموالهم)) .

ابن منظور : لسان العرب ، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه : على شيري ، دار إحياء التراث العربي ، المجلــد ٤ ، ص ٢١٧ .

(٢) قال الشعبي : لم يكن لأهل السواد ذمة سالفاً ، ولكن بعد أن فرضت الجزية عرف أهلها بالذمة ، فتأخذ ممـــن لـم يعتنق الإسلام .

العسكري ، أبي هلال الحسن : كتاب الأوائل حققه وعلق عليه : محمد السيد الوكيل ، مطبعـــة دار أمـل – طنجـة – المغرب الأقصى ، بدون تاريخ طبع ، ص ١٣٦ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال ، بيروت – لبنـان ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، المجلد ٤ ، ص ١٨٨ – ١٨٩ . النويري : تاريخ المغرب ، ص ٢١٣.

ENCYCLOPAEDA THE NEW BRITANNICA , FOUNDED 1768 , PRINTED IN THE U.S.A. , 1965 , VOLUME 13 , P 326 .

BERNARD LEWIS : THE ARABS IN HISTORY , HUTCHINSON UNIVERSITY LBRARY LONDON , 1975 , P . 60 – 77 .

(٣) قيل أن أول من جاء يدعو إلى مذهب الإباضية في إفريقية سلمة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عبـــاس يدعــو إلــى الصفرية .

الخوارج في اللغة : جمع خارج ، مشتق من الخروج .

إصطلاحاً : ((كل من خرج على الإمام الحق الذي أتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواء كان الخروج فـــي أيـام الصحابة على الأئمة الراشدين ؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة في كل زمان)) .

عدة معارك كانت لهم فيها الغلبة في بادئ الأمر ، وإلا أنها إنتهت بانتصار العـرب فـي موقعتي [الأصنام ، القرن] سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (١) ، والتي أنقذت مصير السـنة ، وفر الخوارج الإباضية والصفرية إلى مناطق بعيدة ، يتحينون الفرص من أجل السـيطرة النهائية على بلاد المغرب ، كان ذلك في ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي ، الذي تم تعيينـه من قبل الخليفة هشام بعد أن عزل عبيد الله بن الحبحاب الذي فشل في القضاء على ثـورة البربر (٢) .

وقد ترتب على ذلك نتائج عدة منها :

ظهور نحلة برغواطة:

بدأت برغواطة في الظهور سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م ، قيل أن نسـبهم يعـود إلـى

=

بدأ ظهور الخوارج منذ عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وقعت صفيـن ، فنشـقوا عليـه ورفضـوا التحكيم، فحاربهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في معركة النهروان وقضى على معظمهم . وقد أنقسم الخوارج إلـى عدة فرق منها :

فرقة الإباضية : أصحاب عبد الله بن اباض وهم أكثر الخوارج اعتدالاً أو أقربهم إلى السنة تفكيراً .

أبو بكر ، أبو زكرياء يحي : كتاب السيرة وأخبار الأئمة ،الدارالتونسية للنشر، تونس،١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م ، ص٤٢.

البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد : الفرق بين الفرق ، حقق أصوله ، وفصلـه ، وضبـط مشـكله ، وعلـق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع ، ص ٨٩ .

فرقة الصُّفْرية : ((جمع صُفْري ، إشارة إلى صفرة وجوههم من أثر ما تكلفوه من السهر والعباده)) .

وقيل نسبة إلى بيع الأواني الصفرية . وهم أتباع زياد بن الأصفر ، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة .

البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٩٠ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٧ ، ص ١١ .

انظر أيضاً : الجزري، عزالدين ابن الأثير:اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بـيروت ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤.

(١) الأصنام : اختلف في تحديد موقع هذا الأقليم فهو إقليم يقع بلأندلس به حصن طبيل وهو من أعمال شـدونة ، ورأي أخر يقول : موضع ببرقة بجوار قصور حسان ، وقيل : يقع على ضفاف نهر شلف .

القرن : هو موضع في ظاهر القيروان .

الطبري : تاريخ الطبري ، مؤسسة عز الدين ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، المجلد ٤ ، جـ ٧ ، ص ٩٧ .

ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٨ – ٥٩ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الطبري ، المجلد ٤ ، جـ ٧ . النويري : تاريخ المغرب ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

المصامدة ، وكان القائم بزعامتهم صالح بن طريف البرغواطي [١] ،الذي ادعى النبوة وانتحل لنفسه دينا فكان ذلك في مدينة تامسنا [٢] ، وأبوه يكنى أبا صبيح الذي كان من أعوان ميسرة المطغري [٣] ، وقد انتهى أمر برغواطة على عهد دولة المرابطين في أواسط المائة الخامسة [٤] .

وعندما تغلب عبد الرحمن بن حبيب على القيروان ، واجهته مشاكل عديدة أهمها فتنة الخوارج ، فقد تفاقم أمرهم في البلاد ، خاصةً قبيلة صنهاجة الصفرية [٥] .

ثورة بربر ورفجومة :

في سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م زادت ثورات الخوارج مما أدى عدم استطاعة حنظلة بن صفوان الكلبي السيطرة عليها ، فعاد إلى المشرق ليكف عن دماء المسلمين وبذلك خلت البلاد من الولاة ، فما كان من عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع

---

(١) كان صالح هذا مصمودي الأصل وقيل كان إسرائيلي الأصل نشأ بقرب من الأندلس ، ورحل إلى الشرق ، كما عمل بالسحر ، ثم قدم لبلاد المغرب ، فتمكن من استمالت عدد من أهلها حتى ولوه عليهم .
لمزيد من المعلومات أنظر : ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٨٠ – ١٨٢ .
الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٤ – ١١٦ .

(٢) تامسنا Tamasna : كلمة ترجع لأصل بربري من لهجة زناتة وتعني البسيط الخالى ، وتبدأ من الأراضي الممتدة على ساحل المحيط الأطلسي من الرباض إلى ما وراء الدار البيضاء .
ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ص ١٨٠ .

(٣) اختلفت المصادر في ذكر لقب المطغري . انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٩٣ .ابن الأثير : الكامل، المجلد ٥ ، ص ١٩١ . مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : ابراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٣٤ . الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : لجنة التراث العربي في دار الأفاق الجديدة ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ طبع، جـ ١ ، ص ١٦٢.
ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ١ ، ص ٥٢ . جوليان ، شارل اندري : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب : محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية ، تونس ، تم تعريب هذا الكتاب عن الطبعة الثانية التي نقحها وزاد عليها " روجي لوتورنو" ، ١٣٩٨ /١٩٧٨ ، جـ ٢ ، ص٤٩.

(٤) الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٦ .

(٥) صنهاجة : ((فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير)) .
الفاسي ، على ابن أبي الزرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢ ، ص ١١٩ .

الذي فر إلى الأندلس بعد هزيمة كلثوم بن عياض من دخول القيروان واحتلالها ، فأقره الخليفة مروان بن محمد على ولاية إفريقية والمغرب والأندلس [١] .

زالت الدولة الأموية بعد مقتل مروان بن محمد سنة ١٣٨هـ / ٧٥٠م ، وقامت الدولة العباسية والتي لم تكد تثبت أقدامها حتى انشغلت بإخماد الفتن التي اشتعلت في المشرق ، من الفرس والخرسانيين ، وظهور حركات الزندقة والعلويين ، هذا للإضافة إلى أخطار البيزنطيين عن النظر في أمور المغرب [٢] .

فبعث عبد الرحمن بن حبيب كتاباً إلى الخليفة أبي العباس يقر فيه بالطاعة للعباسيين ، فنظراً للأحوال السيئة التي تمر بها الخلافة ،أقره الخليفة العباسي في منصبه.

وفي عهد أبي جعفر المنصور بعث عبد الرحمن بن حبيب بكتاب آخر يقر فيه بالطاعة له أيضاً ، ولكن بعد فترة من ولاية عبد الرحمن بن حبيب ثار على الخلافة العباسية وشق عصا الطاعة ، حيث قيل إن سبب ذلك ما كان من الخليفة أبي جعفر المنصور عندما طلب من عبد الرحمن بن حبيب يدعوه للطاعة وأرسل السبي إليه ، فأجابه في طلب الطاعة ، ولكنه رفض إرسال السبي ، وكتب إلى الخليفة المنصور يخبره بأن إفريقية اليوم ولاية إسلامية فلا سبي فيها ، فلا تسألني ما لا يحق لي ، فغضب الخليفة أبي جعفر وبعث إليه بكتاب يتوعده فيه [٣] .

وقد انتهى عهده ، بسبب الصراع الذي دار بينه وبين أخويه عبد الوارث وإلياس ، فقام هذا الأخير بقتله ، وتولى الإمارة أعلن طاعته للمنصور ، لكن عهده كان قصيراً أيضاً ، فقد لقي مصرعه بيد ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م وتولى الإمارة .

---

(١) الطبري : تاريخ الطبري ، المجلد ٤ ، جـ ٧ . النويري ، أحمد بن عبد الوهاب : تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، تحقيق وتعليق : مصطفى أبو ضيف أحمد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

(٢) رضوان ، فاطمة عبد القادر: مدينة القيروان في عهد الأغالبة ،جامعة أم القرى ،مكة ،١٤١٢هـ/١٩٩٧م،ص١٨.

(٣) النويري : تاريخ المغرب ، ص ٢٢١ .

وفي عهد حبيب بن عبد الرحمن قامت ثورة الخوارج الصُفْرِيَّة من بربر قبيلة ورفجومة[١] بقيادة عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي ، فقد لجأ إليهم عبد الوارث ليجيروه من ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن ، فقبلوا ذلك ، لأنهم كانوا يتطلعون إلى السيطرة على البلاد [٢] .

وبعد القضاء على خوارج ورفجومة ، سيطرت الخوارج الإباضية على البلاد أيضاً ، وكأن في الأمر خطة مدبرة بإتقان ، فالخوارج مهما اختلفت مذاهبهم إلا أنهم يجمعهم أمر واحد وهو العداء المتأصل لولاة الخلافة ، ومحاولة تشتيت وحدة المسلمين .

ولكن عندما تقلد ولاية بلاد المغرب يزيد بن حاتم الذي ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور ، تمكن من القضاء على ثورات الخوارج ولم تقم لهم قائمة طوال عهده [٣].

أما الخوارج فقد فروا إلى أماكن بعيدة واستقلوا بها عن الخلافة العباسية ، التي اكتفت بالسيطرة على القيروان .

فأقام الخوارج الإباضية دولة في المغرب الأوسط عرفت بالدولة الرستمية في موضع (تاهرت) سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م [٤] .

---

(١) بربر ورفجومة: إحدى بطون نفزاوة لن لوى من بربر البتر . وقد كان زعيمها عاصم بن جميل كاهناً يدعي النبوة. الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٢ . لمزيد من المعلومات عن بربر ورفجومة انظر : الشماحي ، أحمد بن سعيد : كتاب السير ، تحقيق : أحمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث القومي والثقافي ، سلطنة عمان ، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، جـ ١ ، ص ١١٤- ١١٧ . الرقيق ، أبو إسحاق إبراهيم : قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق : عبد الله العلي الزيدان – عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ ، ص ١٠٣- ١٠٤ . النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : حسين نصار مراجعة : عبد العزيز الأهواني ، جـ ٢٤ ، ص ٧٤ – ٧٦ . بنعبد الله ، عبد العزيز : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ طبع ، ص ٨٥. موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، بدون تاريخ طبع ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(2) JAMIL M , ABUN – NASR : AHISTORY OF THE MAGHRIB , CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS CAMBRIGE , PRINTED IN GREAT BRTAIN , 1975 , P , 17 – 74 .

(٣) ابن كثير ، الحافظ : البداية والنهاية ، ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح قامت بها بإشراف الناشر ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، جـ ٩ ، ص ١١١ . الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ . ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٧٨ .
SIR JOHN GLUBB : THE EMPIRE OF THE ARABS , LONDON , 1963 , P , 253 – 255 .

(٤) مدينة تاهرت Tahirt : تقع تاهرت على سفح جبل جزول ، ولها قصبة تسمى المعصومة .
البكري : المغرب ، ص ٦٦ – ٦٧ .

كما أقام الخوارج الصُّفْرية في المغرب الأقصى الدولة المدرارية في موضع عــرف بــ (سجلماسة) سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م [١] .

وقامت دولة برغواطة الصفرية من قبائل المصامدة المقيمة بين سلا وآسفي في المغــرب الأقصى على شواطئ الأطلسي [٢] .

وقد ذكر المؤرخون أن هذه الدول كانت أول اســتقلال سياســي عــن الخلافــة الإسلامية، بل في التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب ، والذي ظهر منذ النصف الأول مــن القرن الثاني الهجري ، أي منذ سنة ١٢٢هـ /٧٤٠م [٣] .

ثم قامت أيضاً دولة أخرى هي دولة الأدارسة – دولة علويــة ســنية – أسســها إدريس بن عبد الله بن الحسن بن أبي طالب في فاس سنة ١٧٢هـ /٧٨٨م، الذي فر إلــى المغرب بعد هزيمة العلويين أمام العباسيين في موقعة (فخ) [٤].

ولكن هل انتهى أمر الخوارج والمغرب إلى هذا الحد ؟ .

---

(١) الحميري ، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الإقطار ، المحقق : احسان عباس ، مكتبة لبنان سـاحة رياض ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٣٠٥ .

الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) سلا SALA : مدينة قديمة من مدن المغرب الأقصى يحدها من الغرب البحر المحيط ، وجنوبها يطل على نهر عظيم يصب في البحر المحيط .

آسفي AZFI : مدينة في المغرب الأقصى من أعمال مراكش .

القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ – ١٦٦ . زكار ، سهيل : الدولة الرســتمية فــي تيهرت ، مجلة دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ، سورية، شعبان ١٤٠٣هـ / مايو ١٩٨٣م، العدد ١٢ ، ٧٤ . انظر أيضاً : حركات ، ابراهيم : المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق ، بـيروت – لبنان ، ١٩٩٨ ، ص ١٨٥ . أنظر الملحق شكل(٥) .

(٣) محمود ، حسن أحمد – محمود ، منى حسن : تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى ســقوط الخلافــة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٧٤ . الشريف ، نؤدة محمد على : العلاقات بين الحجاز وبـلاد المغرب في العصر العباسي الأول ، جامعة الملك عبد العزيز، جدة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص أ .

(٤) لمزيد من المعلومات عن موقعة فخ انظر : الأندلس ، أحمد بن أبي عبد الله محمد بن جزى : مختصر البيان فــي نسب آل عدنان ، (مخطوطة بجامعة أم القرى، مكة) ، ورقة ١٥٠ . ابن الطقطقي ، فخرالدين محمد : الفخري فــي الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار بيروت ، ١٣٨٥هـ ، ١٩٠-١٩١. المسعودى ، أبي الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، بدون تاريخ طبع ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦ – ٣٢٧ .

لم ينته أمر الخوارج وبلاد المغرب الإسلامي لهذا الحد بل قـــامت العديـد مـن الثورات والقلاقل التي كادت أن تخرج بلاد المغرب عن سيادة الخلافة العباسـية ، إلا أن هذا الأمر لم يحدث إلا بسبب الجهود الكبيرة التي بذلها ولاة المغرب في تلك الفترة .

فقد أسندت الحلافة العباسية أمر بلاد المغرب إلى أسرة المهالبة ١٥٤- ١٧٨هـ / ٧٦٨ – ٧٩٤م ، من آل المهلب بن أبي صفرة الأزدي[١] ، حيث أثبت أبناءها إخلاصـهم للخلافة وتفانيهم في الدفاع عن بلاد المغرب ، فشهدت بلاد المغرب ازدهاراً وتطوراً لـم تشهد مثله منذ عهد حسان بن النعمان[٢] .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد أسند ولاية المغرب في أسرة المهالبة ، فكـان أول من حكم منها هو إبراهيم بن الأغلب ، الذي عرف عنه الحزم وحسن الرأي والسـيرة ، فكان فقيهاً وأديباً ، وأسيس دولة قوية تمكنت من السيطرة علـى البـلاد ونشـر الأمـن والاستقرار ، وسار بها إلى طريق التقدم والرقي [٣].

وقد استمرحكم بلاد المغرب في اسرة بني الأغلب حتى سنة٢٩٦هـ/٦٠٦م عندمـا تمكن عبيد الله الشيعي الفاطمي من القضاء عليها [٤] .

---

(١) المهلب بن أبي صفرة : هو االمهلب بن أبي صفرة ظالم بن سارق بن صبح بن كندي ، من أزد العتيك بين عمـان والبصرة ، ولي المهلب بن أبي صفرة على خراسان من قبل ابن الزبير سنة ٦٥ ، حارب الأزارقة وأباد منهم كثير . الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ٩١ . العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن حجر : تهذيب التـهذيب ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، جـ١٠ ، ص ٢٩٣ . مؤنس : تاريخ المغرب ،المجلد ١، ص١٧٣ – ١٧٥ – ١٨٣ .

(٢) مؤنس : تاريخ المغرب ، المجلد ١ ، ص ١٧٥ ، سالم : تاريخ المغرب ، ص ٢٧٣ .

(٣) سالم : تاريخ المغرب ، ص ٢٨٨ . الطالبي ، محمد : الدولة الأغلبية ، تعريب : المنجـي الصيـادي ، مراجعـة وتدقيق : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ / ١٩٩٥ . لويـس ، أرشـيبالد . ر.: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١١٠٠م) ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مراجعـة وتقديم : محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضـة المصريـة ، القـاهرة ، بـدون تـاريخ طبـع ، ص ٢١١ – ٢٢٥ .

(٤) داداه ، محمد وُلْد : مفهوم المُلْك في المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع ، ص ٧١. لمزيد من المعلومات عن عبيد الله المهدي الشيعي انظر :طاهر ، عبد الهادي محمد : الدر الفاخر فـي خـبر الأوائـل والأواخر ، (مخطوط بجامعة أم القرى ، مكة) ، ورقة ٣ . المسعودى ، أبي الحسن على : التنبيه والإشراف ، عنـى بتصحيحه ومراجعته : عبد الله إسماعيل الصاوى ، المكتبة التاريخية ، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م ، ص ٢٨٨- ٢٨٩ . التمبكتي ، عبد الحاج محمد : الشيعة الإمامية الاثنا عشرية وموقف أهل السنة منـهم ، جامعـة أم القـرى ، مكـة ، ١٤٠١هـ ، ص ٣٥ – ٣٧ .

الفصل الأول

٢٦ - ٥٢

قيام بني مدرار

- التعريف بحكام دولة بني مدرار و مذهبهم وجهودهم السياسية والعسكرية في تقوية الدولة حتى مقتل آخر حكامهم على يد الفاطميين ٣٥٤هـ .
- تأسيس مدينة سجلماسة عاصمة الدولة ١٤٠ هـ .

التعريف بحكام دولة بني مدرار ومذهبهم وجهودهم السياسية والعسكرية في تقوية الدولة حتى مقتل آخر حكامهم على يد الفاطميين ٣٥٤هـ - ٩٦٥م .

<u>حكام بني مدرار ١٣٨ ـ ٣٥٤ هـ /٧٥٥ ـ ٩٦٥م</u> :

عيسى بن يزيد الأسود ١٤٠ - ١٥٥هـ / ٧٥٧ - ٧٧١ م

أبو القاسم سمكو بن واسول ١٥٥ - ١٦٧هـ / ٧٧١ -٧٨٩م

أبو الوزير إلياس بن أبي القاسم ١٦٧ - ١٧٤هـ / ٧٨٣ - ٧٩٠ م

اليسع بن أبي القاسم ١٧٤ - ٢٠٨هـ / ٧٩٠ - ٨٢٣ م

مدرار بن اليسع بن أبي القاسم ٢٠٨ - ٢٥٣هـ / ٨٢٣ - ٨٦٧ م

الأمير ميمون بن مدرار بن اليسع ٢٥٣ - ٢٦٣هـ / ٨٦٧ - ٨٧٦ م

محمد بن الأمير ميمون بن مدرار ٢٦٣ - ٢٧٠هـ / ٨٧٦ - ٨٨٣ م

اليسع بن المنتصر بن اليسع ٢٧٠ - ٢٧٦هـ / ٨٨٣ - ٨٨٩ م

واسول الفتح بن الأمير ميمون ٢٩٨ - ٣٠٠هـ / ٩٠٩ - ٩١٢ م

أحمد بن الأمير ميمون بن مدرار ٣٠٠ - ٣٠٩هـ / ٩١٢ - ٩٢١ م

المعتز بن محمد بن ساور ٣٠٩ - ٣٢١هـ / ٩٢١ - ٩٣٣ م

المنتصر محمد بن المعتز بن ساور ٣٢١ - ٣٣١هـ / ٩٣٣ - ٩٤٢ م

المنتصر سمكو بن محمد بن المعتز بن ساور ٣٣١هـ / ٩٤٢ م

الشاكر لله الفتح بن الأمير ميمون بن مدرار ٣٣٢ -٣٥٤هـ / ٩٤٣ - ٩٦٥ م

المنتصر بالله بن أمير المؤمنين الشاكر لله محمد ٣٥٢هـ / ٩٦٣ م

المعتز بالله أبو محمد بن أمير المؤمنين الشاكر لله ٣٥٢هـ / ٩٦٣ م

ذكرنا في المبحث السابق أن دولة بني مدرار قامت على إثر الاضطرابات والصراعات التي ظهرت في أرجاء بلاد المغرب من جراء سوء معاملة بعض ولاة المغرب .

فقد قررت هذه القبيلة المكناسية [١] التي تنتسب إلى زناتة والتي أقامت أول إمارة مستقلة عن الخلافة في المغرب ، وذلك منذ أواخر القرن الثاني إلى أواسط القرن الخامس[٢] الفرار بدينها بعيدا عن هذه الأجواء المضطربة ، لتنعم بالهدوء والاستقرار وهذا بالتأكيد كان نتيجة حتمية بعدما أزهقت العديد من الأرواح والأموال في الحرب التي لا يعلم أحد إلى أي وقت ستنتهي ، لذلك اختارت هذه القبيلة اتخاذ موقف الحياد ، وإقامة كيان سياسي يضم شتات أصحاب المذهب الصفري ، وتكوين قاعدة يتم عن طريقها نشر مذهب الخوارج الصفري ، وكان أول من تزعمهم وحكم دولتهم هو :

١.عيسى بن يزيد الأسود ١٤٠ – ١٥٥هـ / ٧٥٧ – ٧٧١ م [٢] .

نقضت جماعة من مكناسة طاعة الخلافة ، وانحازت إلى موضع في جنوب المغرب الأقصى ، وأقاموا عليهم عيسى بن يزيد الذي ينسب إليه تخطيط مدينة سجلماسة

---

(١) قيل أن مكناس هو اسم لرجل وليس اسم للقبيلةا وهو ((مكناس بن ورصطيف بن يحي بن تمزيت أخو زناتة البربرية البترية)) .

انظر ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المجلد ٦ ، جـ٦، ص ١٢٩ – ١٣٠ . ابن العربي ، الصديق : كتاب المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٨٠ . مجهول : تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر ، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد زينهم ، جهاد النشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ ، ص ٥٣ .

(٢) كان من موالي العرب ورؤوس الخوارج ، وقد وردت عدت روايات مختلفة حول هذه الشخصية فقيل : عيسى بن يزيد الأسود . وهو القول الراجح لكثرة المصادر التي ذكرته . أما الروايات المختلفة : فقد ذكر القلقشندي : عيسى بن الأسود . والبكري ذكر : عيسى بن مزيد الأسود ، والثعالبي ذكر : عيسى بن حزم ، وابن الخطيب ذكر : عيسى بن سعد المكناسي ، فقد كان جده سعد الذي لقي بالمغرب عكرمة مولى ان العباس رضي الله عنه ، وقال ابن الخطيب : أن عيسى هذا كان صاحب ماشية يتنقل بها بين المراعي ببلاد القبلة ، وكثيراً ما كان ينزل أرض سجلماسة . أما المصدريين اللذين لم يذكرا هذه الشخصية هما : الحميري ومجهول الإستبصار . انظر :

البكري : المغرب : ص ١٤٩ . ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص١٥٦ . الحميري : الروض المعطار ، ص٣٠٥ – ٣٠٧ . ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من أعمال الأعلام ، ص ١٣٨ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٤ . الثعالبي ، عبد العزيز : تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ، تحقيق

=

لتكون عاصمة لهم [١] .

ويقال أن أول من تزعم صفرية سجلماسة هو أبو القاسم سمغون بن واسول ، بينما يرى آخرون أن مدرار هو أول من تزعم صفرية سجلماسة [٢] ، والذي تنسب إليه دولة بني مدرار.

كان من ربض الأندلس ، الذين ثاروا على الأمير الحكم بن هشام وأرادوا قتله بسبب ما قام به أحد جنوده من قتل الحداد الربضي ، حيث إعتبروا الأمير الحكم هو المسؤول الأول عن هذا الحدث ، وانتهى الأمر بنتصار الأمير الحكم ، وخروج كل من كان في ضاحية الربض منها [٣] ، فخرج بعد وقعة الربض حتى وصل بالقرب من الموقع الذي أنشأت فيه مدينة سجلماسة ، حين كان مقر يجتمع فيه البربر للتسوق في يوم غير معروف من أيام السنة ، فكان مدرار هذا حداداً يجلب ما صنعه من الآت الحديد ويتاجر بها في سوقهم ثم وضع خيمة واستقر بها ، فما كان من البربر إلا أن تبعوه في ذلك ،

=

احمد ميلاد – محمد ادريس ، تقديم ومراجعة : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ / ١٩٨٧ ، ص ١٨٥ . مجهول : الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ ، ص ٢٠٠– ٢٠٢ .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، ١٣٠ . الناصري : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٣٨ . ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٥ . انظر أيضاً :

ماك كول ، دانييل : الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة كما يعرضها ويحللها ماك كول ، تعريب وتعليق : محمد الحمداواوى ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، لا يوجد تاريخ طبع ، ص ١٥ – ٢٦ . مجهول : تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر ، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد زينهم ، جهاد للنشر والطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ ، ص ٥٤ .

(٣) لمزيد من المعلومات عن وقعة الربض أنظر :

التلمساني ، أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ٣٣٩ .

الصوفي ، خالد : تاريخ العرب في الأندلس ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الأدآب ، بدون تاريخ طبع ، ص ١٣٤ – ١٤٦ . العبادي : في تاريخ المغرب ، ص ١٢٢ – ١٢٣ . عبد الحميد ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، جـ ٢ ، ص ٤١٢ .

فسكنوا حوله ، لذلك قيل أن هذا هو أصل بناء سجلماسة [١].

وذكر آخرون : أن مدرار تقرب من أبي الخطاب الصفري ، الذي تولى الحكم بعد عيسى بن مزيد الأسود ، حيث برع في صناعة سلاح له ، مما جعل أبي الخطاب الصفري يقربه ، وينزله منزلةً حسنة ، وبعد وفاة أبي الخطاب الصفري اسند الحكم إلى مدرار [٢] .

وقد مكث عيسى بن يزيد على زعامة الصُفْرية خمسة عشر عاماً ، قام خلالها بعدة أعمال من أجل تطوير سجلماسة ، فقد أكمل بناءها ، وشيد أسوارها ، قسم مياهها في الخلجان بقدر موزون ، ثم وجه المياه إلى كل ناحية بالتساوى ، وأمر بزراعة النخيل والاستكثار منه [٣] .

بعد ذلك ثار عليه قومه فقتلوه بعد أن أثبتوا خيانته ، فأوثقوه على شجرة في رأس جبل، وتركوه حتى مات [٤] .

ثم أقاموا عليهم أبي القاسم سمغون أو سمكو ، الذي قام بتنصيب عيسى بن يزيد الأسود الإمامة [٥] .

---

(١) وقد ذكر بعض المؤرخون : أن مدرار بن عبد الله هو الذي قام ببناء سجلماسة ، وكان من أهل الحديث ، حيث لقي بعكرمة مولى بن عباس سمع له ، فاجتمع حول مدرار ما يقرب من ٤٠ رجلاً ، فجعلوه رئيساً عليهم ، ثم عمدوا إلى بناء مدينة سجلماسة . ورد ذكر هذه الرواية في مصدريين فقط هما : الحميري ومجهول الإستبصار .

البكري : المغرب ، ص ١٤٩ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٥ . مجهول : الإستبصار ، ص ٢٠٠ .

(٢) ورد ذكر هذه الرواية فقط في كتاب ابن الخطيب: تاريخ المغرب ، القسم٣من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٠-١٤١.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٩ ورد ذكر هذه الرواية في هذا المصدر فقط .

(٤) في رواية اخرى : غدر به الصُفْرية سنة ١٦٧ ، حيث قبضوا عليه ، وأوثقوه على الجبل ، بعد أن طلوه بالعسل ، فقتلته الزنابير والنحل ! فأطلق عليه جبل موسى .

ورواية ثانية ذكرت : أوثقوه ووضعوه على قمة جبل تحت العراء في أيام الشتاء إلى أن مات .

ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٦ . ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام، ص ١٣٨ . الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا ، ص ١٨٥ .

(٥) ورد في المصادر روايات مختلفة حول لقب أبو القاسم سمكو أو سمغون أو سمجو ، وقد رجح البحث رأي أغلب المصادر التي أخذت بلقب أبي القاسم سمكو ، وهو الذي تلا عيسى بن يزيد في الإمامة . ولكن هناك مصدر واحد ذكر

٢. أبي القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن أبي نزول ١٥٥ ـ ١٦٧هـ / ٧٧١ ـ ٧٨٣م (١).

ذكرت المصادر أن سمكو والد أبي القاسم كان من أهل العلم ، رحل للمدينة النبوية حيث أخذ علمه من عكرمة مولى ابن عباس ، وقد مات أبي القاسم سمكو فجأة سنة ١٦٧هـ ، بعد أن قضى في ولايته ١٢ سنة ، وكان على مذهب الصفرية ، كما اعترف

=

ولاية أبي الخطاب الصفري الزناتي وهو ابن الخطيب فقال عنه : كان أبو الخطاب داهية ، حسن التدبير ، تولى أمرهم أربع وعشرين سنة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائة ، وولي بعده أبي القاسم سمعون بن يزيلان .
ربما كان هناك خلط في معلومات ابن الخطيب ، فأبو الخطاب كان قائماً بإقليم طرابلس . كما أشار البكري : إلى وشيت أبي الخطاب على عيسى بن يزيد يوما لأصحابه في مجلس عيسى قائلاً : السودان كلهم سراق حتى هذا و أشار إلى عيسى ، أوثقوه إلى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض . انظر :
البكري : المغرب ، ص ١٤٩. ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٦ . ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤١ .الناصري: الإستقصا ، جـ١، ص١٢٤. سالم: تاريخ المغرب،ص٤٩٧.
أنظر أيضاً تحليل هذا الأمر في كتاب عبد الحميد ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية ، بدوت تاريخ طبع ، جـ ٢ ، ٤١٠ .

(١) ذكرت رواية في مصدريين عن أبي القاسم سمكو انفردا في ذكرها عن المصادر الأخرى : بأنه هو الذي كان ينتجع موضع سجلماسة مع ماشيته ، ويتردد إليها وكان راحاً ، يجتمع الناس فيه من قبائل البربر المجاورين له ، ويتسوقون فيه ، فأجتمع قوم من الصفرية على أبي القاسم ، وسكنوا معه هنالك في مخيمات . ثم شرعوا في البناء في حدود سنة ١٤٠هـ ، ثم قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود ، وولوه أمرهم ، وبعد قتل عيسى بن يزيد ، ولى أبي القاسم سمغون المتقدم ذكره . قيل هو أبي القسم ابن واسول وقيل : ابن مدلان .
ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٦ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .
كما ذكرت مصادر أنه مات فجأه في آخر سجدة من صلاة العشاء . واختلفت المصادر في ذكر السنة التي مات فيها ، فمعظم المصادر ذكرت أنه مات سنة ١٦٧هـ . وخالف ثلاث مصادر رأي المصادر الأخرى هم : البكري وابن عذاري وابن الخطيب الذي أنفرد عن جميع المصادر في ذكر هذه الشخصية فيذكر ابن الخطيب : هو أبي القاسم سمعون بن يزلان بن يرول بن اسحاق ابن يحي بن ورسطيف بن تمزيت ، بن مكناس الزناتي ، الذي تلقب بمدرار ، وجده دخل الأندلس مع طارق ، وبنى السور الخارج المدار على النخل والمزارع بسجلماسة ، عام ١٩٩هـ وولى بعده ولده أبو الوزير .
البكري : المغرب ، ص ١٤٩ – ١٥٠ . ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٥ . ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعلام الأعلام ، ص ١٤٠ – ١٤١ .
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ .
الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

بالخليفة المنصور والمهدي من خلفاء بني العباس وأقام الخطبة باسميهما [١] .

وفي رواية أخرى : أن أبي القاسم سمكو هو الذي جعل البيعة لعيسى بن يزيد، وأمر قومه بطاعته واتباعه ، ثم عُيِّنَ أبي القاسم على إمامة قومه بعد خلع عيسى بن يزيد الأسود [٢] .

أما رواية ثالثة فتذكر : أن أبا القاسم كان إباضياً صفرياً، ومكث في الإمامة مدة عشر سنين[٣] . ربما كان في هذه الرواية لبسٌ ، فمن الغريب أن يتبع شخص مذهبين في آن واحد .

وقد ورد في كتب بعض المؤرخين تحليلاً عن بعض ما ورد من غموض حول هذه الشخصية ، فقيل ربما كان أبي القاسم أفضل من عيسي من حيث أسبقية المذهب ، ولكن سبب تقديم أبي القاسم سمكو لعيسى بن يزيد للإمامة هو غلبة عنصر السودان في هذه الجماعة الصفرية ، كما عمل على التقرب من خلفاء بني العباس ، فاعترف بهم ، وخطب باسم الخليفة المنصور والمهدى ، حفاظاً على سلامة المدينة وأهلها [٤].

٣. أبو الوزير إلياس بن أبي القاسم ١٦٧ – ١٧٤هـ / ٧٨٣ – ٧٩٠م [٥] .

بعد وفاة أبي القاسم سمكو تولى ابنه إلياس بن أبي القاسم ، الذي لقب بالوزير ، فقد ثار عليه قومه وخلعوه [٦] ، ربما كان لسوء سيرته أو سياسته فقد سكتت جميع المصادر

---

(١)القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ .

(٢) الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

H . T . NORRIS : THE BERBERS IN ARABIC LITERATURE , P.75-76.

(٣)ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

(٤) سوادي : دراسات في تاريخ المغرب ، ص ١١٥. القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ١٦٥ .

(٥) اختلفت المصادر في ذكر تاريخ وفاته ، فمعظم المصادر ذكرت أنه توفي في سنة ١٧٤هـ وهي :
البكري : ص ١٥٠ . القلقشندي : صبح الأعشي ،جـ١، ص ١٦٥ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٥.أما المصادر الأخرى فقد أنفرد كل مصدر برواية مختلفة عن المصادر الأخرى فذكر ابن عذارى : أن إلياس مكث في الإمامة سنتين ، ثم قام عليه أخوه . كما ذكر ابن خلدون : مات إلياس ابن القاسم سنة ١٩٤هـ .
وذكر ابن الخطيب : كانت ولاية أبي الوزير في آخر سنة تسع وتسعين ومائة ، واستمرت ستة أشهر ، وخلعه أخوه أبو المنتصر اليسع بن القاسم أبي سمعون الزناتي، في شهر جمادى الأخيرة من عام مائتين .

(٦) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

عن توضيح السبب الذي أدى إلى خلعه .

٤. اليسع بن أبي القاسم ١٧٤ ـ ٢٠٨هـ / ٧٩٠ ـ ٨٢٣ م [١] .

يكنى أبا منصور [٢] ، تولى الإمامة بعد أخيه ، فكان شجاعاً ، مقداماً ، فظاً ، غليظ القلب ، تغلب على أعدائه من البربر، وغزا مدينة درعة [٣] ، وأخذ خُمْسَ معادنها[٤]، وقد اعتبره المؤرخون المنشئ لكيان العاصمة سجلماسة [٥] ، فقد قام بإكمال تأسيس العاصمة سجلماسة، فبنى حولها سور « بالحجارة وأعلاه بالطوب» [٦] ، وقد بناه من ماله حيث أنفق عليه ألف مدى طعام ، ولم يشاركه أحد في بنائه، وقد شيد لهذا السور اثنا عشر باباً ، وجعل ثمانية من هذه الأبواب من حديد، كان ذلك في سنة ١٩٩هـ/٨١٤م، وانتقل إليها سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[٧].

---

(١) اتفقت جميع المصادر على أن تاريخ وفاة اليسع بن أبي القاسم كان سنة ٢٠٨ هـ .

(٢) قيل : يكنى أبي المنتصر ، وقيل اليسع أبو المنصور بن القاسم ، وقيل : سمي بالمنتصر ، وقيل : لقبه المنتصر . انظر : البكري : المغرب ، ص ١٥٠ . ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٦ . ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربي ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٢ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١، ص ١٢٥ .

(٣) درعة Dra : هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل وفيها معدن فضة ، وهي تقع فيما يلي الجنوب إلى بلاد الحبشة ومدينة تدعى زيز. ومن سجلماسة إلى درعة ثلاث أمتار . ودرعة ليست بمدينة يدور بها سور ولا حفير ، وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة ، ومزارع كثيرة يتنازل ذلك فيها جمل وأخلاط من البربر. وهي على نهر سجلماسة النازل إليهم .

ابن خرداذبة ، أبي القاسم عبيد الله : المسالك والممالك، مكتبة المثنى بن حارث ، بغداد ، بدون تاريخ طبع، ص٨٨.

مقديش : نزهة الأنظار ، المجلد ١ ، ص ٥٦ .

(٤) ذكر ابن الخطيب : أن أبا الوزير إلياس بن أبي القاسم هدم ما كان أبوه بناه من سور المدينة ، وبناه بناء حسناً أحسن من الأول وأنفق فيه أموالاً جليلة،وقسم داخل السور على القبائل حسبما هو عليه اليوم.

أي في الزمن الذي عاش فيه أبن الخطيب : تاريخ المغرب ،القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام، ص ١٤٢ .

(٥)غوتييه ، أميل فيليكس : ماضي شمال إفريقيا ، تعريب : هاشم الحسيني ، الناشر الفرجاني ، طرابلس – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢٣ . عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، جـ ٢ ، ص ٤١٢ .

(٦) قيل : أن اليسع بن أبي القاسم حكم الدولة ٢٤ سنة . وأما ابن الخطيب فيذكر : أنه مكث سبعة أعوام ونصف .

البكري : المغرب ، ص ١٤٨ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١، ص ١٥٦.

ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٣ . جوليان : تاريخ إفريقية الشمالية ، جـ ٢، ص ٤٨

(٧) البكري : المغرب ، ص ١٤٨ .

كما قام بتقسيم داخل السور على القبائل [١] ، واختط بها المصانع والقصور وحسن علاقاته بمن جاوره ، فقد اتبع سياسة والده أبي القاسم ، فتقرب من الدولة الرستمية وكلل هذه العلاقة بتزويج ابنه مدرار [٢] من أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم [٣].

٥. مدرار بن اليسع بن أبي القاسم ٢٠٨ - ٢٥٣هـ /٨٢٣ - ٨٦٧م [٤] .

تولى الحكم بعد أبيه ، وكان له ولدان سمى كل منهما بميمون ، لذلك نسب كل منهما باسم أمه ، فأحدهما يدعى ابن أروى بنت عبد الرحمن بن رستم [٥] ، والثاني يدعى بابن (تقية أو بغى) ، ويعرف أيضاً بالأمير، وقد استمرت فترة حكم مدرار بن اليسع بن أبي القاسم إلى أن حدث خلاف بين ولديه ، قيل أن سببه هو رغبة كل منهما في

---

(١) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم٣من كتاب أعمال الأعلام، ص١٤٣، ابن خلدون :المجلد٦، جـ٦، ص١٦٥.

(٢) اختلفت المصادر في ذكر هذه الشخصية فهناك من يقول : أن ابن اليسع بن أبي القاسم هو مدرار ولقبه المنتصر .
ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٦ .
أما البكري فيذكر : إن اسم مدرار لقب وليس باسم ، واسمه المنتصر بن اليسع .
وابن الخطيب يذكر : أن اسمه أبو مالك المنتصر بن اليسع بن مدرار ، فهو يتفق مع البكري في كون اسم مدرار لقب وليس باسم . أما ابن الأثير فيذكر : لما توفي اليسع بن أبي القاسم سنة ٢٠٨هـ ولى أهل سجلماسة على أنفسهم أخاه المنتصر بن أبي القاسم واسول ، المعروف بمدرار . هذه الرواية لم يذكرها أي مصدر لذلك لا يمكننا الأخذ بها ، فجميع المصادر أوردت أن مدرار هو ابن اليسع وليس بأخيه ، وإن اختلفوا في اسمه .
البكري : المغرب ، ص ١٥٠ . ابن الأثير : الكامل ، المجلد ٦ ، ص ٣٨٦ . ابن عذارى :البيان المغرب ، جـ١، ص١٥٧.ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٥. الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

(٣) أروى بنت عبد الرحمن بن رستم : كانت أروى كأبيها بارعة الجمال ،فائقة الحسن . قد أنشأتها تيهرت كما تنشئ زهورها على العطر والجمال ، وكانت قوية الشخصية ، ناضجة الأنوثة ، سامية الخلق ، وقد استطاعت أروى بثقافتها، وشخصيتها القوية أن تملك قلب زوجها ، وقلب أسرته ، وتغرس من الحب للدولة الرستمية في سجلماسة .
دبوز ، محمد على : تاريخ المغرب الكبير ، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م ، جـ ٣ ، ص ٤٤٦-٤٤٧. لقد انفرد هذا المرجع بذكر هذه المعلومة فلم يرد هذا القول في أي مصدر أو مرجع متخصص في تاريخ المغرب.

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ .الناصري:الإستقصا ، جـ١، ص ١٢٥ .

(٥) وقيل : اسمه عبد الرحمن .
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

الاستبداد بالحكم [١].

وقد استمرت الحرب بينهما ثلاث سنوات ، فساند أبوهما ميمون ابن أروى الرستمّية ، لسبب لم يذكر في المصادر ، فربما للحفاظ على العلاقة الحسنة بين الدولة الرستمية ودولة بني مدرار ، وربما للمكانة التي كانت لأروى أمه عند أبيه.فأخرج أخاه ميمون ابن تقية من سجلماسة ، واستبد هو بالأمر، وخلع والده مدرار بن اليسع بن أبي القاسم من الحكم ، وأساء معاملة قومه ، فثاروا عليه وخلعوه ، فساروا إلى درعة حيث أبيه مدرار بن اليسع بن أبي القاسم ، وأعادوه إلى منصبه ، فأراد مدرار بن اليسع – بعد كل ما قام به ابنه ميمون ابن أروى الرستمية – إعادته مرة أخرى للحكم ، فغضب الشعب من هذا التصرف وأرادوا خلع مدرار بن اليسع وتولية ابنه ميمون ابن تقية ، لكن ابن تقية رفض الأمر ، وقام بإعادة ابنه ميمون ابن الرستمية فثار عليه قومه ودخلوا عليه القصر فحاصروه وأقاموا ابنه ميمون ابن تقية على الحكم [٢] .

٦. الأمير ميمون بن تقية بن مدرار بن اليسع بن أبي القاسم ٢٥٣ ـ ٢٦٣ هـ /٨٦٧ ـ ٨٧٦م [٤] .

تولى الحكم ابن تقية ميمون بعد أن خلع أبوه مدرار بن اليسع من قبل أهل سجلماسة، وفي خلال هذا الصراع توفي مدرار بن اليسع بن أبي القاسم سنة ٢٥٣هـ /٨٦٧م بعد أن تولى الحكم ٤٥ سنة [٥] .

واستمر حكم ابن تقية لسجلماسة إلى أن توفي سنة ٢٦٣هـ /٨٧٦م [٦].

---

(١) ذكرت أغلب المصادر هذا الاسم (ابن تقية) وهو الرأي الراجح ، أما البكري ذكر: (ابن تقيــة) ، بينما ذكر مصدران رأي آخر هو (ابن بغى) هما : ابن خلدون و الناصري الذي أخذ نفس الروايات التي ذكرها ابن خلدون دون أي تغيير . انظر : البكري : المغرب ، ص ١٥٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٧ . ابن الخطيب: تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٣ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٣١ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ .

(٣) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٤ .

(٤)المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥) البكري: المغرب ، ص١٥٠ .القلقشندي: البيان المغرب ، جـ ٥، ص١٦٥.الناصري: الإستقصا ،جـ١،ص١٣١.

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

وقد ذكرت المصادر أنه كان مستبداً في حكمه [١] ، أما الغريب في هذا الأمـــر أن الدولة الرستمية لم تتدخل في هذا الصراع بطريق مباشر ، ولكن من الممكن أن يكون لها يد خفية في الموضوع ، فربما كان إصرار مدرار بن اليسع على تنصيب ابنه ميمون ابـن الرستمية على الحكم ، هو الخوف من أن تؤدي هذه الخلافات إلى حروب أهلية ثم دوليـة لا نهاية لها ، وربما كان مدرار بن اليسع مهدداً من قبل حاكم الدولة الرستمية، لو لم يؤيد ميمون ابن الرستمية، فستقوم بالتدخل لتأييد ابن الرستمية والوقوف في صفه، لذلك حـاول مدرار بن اليسع بهذا الأسلوب أن يطفئ غضب الدولة الرستمية ، ويجعلها تتخذ موقــف الحياد .

وكان موقفها هذا مستمراً حتى بعد وفات مدرار بن اليسع، ربما كان خوفــاً مــن ثورات الشعب وخاصةً لوجود رعايا رستميين في سجلماسة [٢].

٧. محمد بن الأمير ميمون بن مدرار بن اليسع ٢٦٣ ــ ٢٧٠هـ /٨٧٦ ــ ٨٨٣م [٣].

تولى محمد بن ميمون بعد وفاة أبيه ، فكان شجاعاً ، مقداماً ،غزا البلاد المجـاورة، واستولى على مدينة تافللت [٤] ، وتوفي في سنة ٢٧٠هــ / ٨٧٦م مــن شــهر صفــر ، فكانت فترة حكمه سبع سنين وشهراً [٥] .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جــ ٦ ، ص ١٣١ . الناصري : الإستقصا ، جــ ١، ص١٢٥.

(٢) ابن الصغير : أخبار الأئمة ، ص ٩٧ .

(٣) ذكرت بعض المصادر أنه كان على مذهب الإباضية ولم تصرح هذه المصادر عن السبب الذي جعله يترك مذهــب الصفرية ويعتنق مذهب الإباضية .

البكري : ص ١٥٠ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،المجلد ٦، جــ٦ ، ١٣١ . الناصري : الإستقصا ،جــ١،١٢٥ .

(٤) تافلالت أو تابلبالت وهي الصحيحة : هي بلدة في إقليم سجلماسة ، قيل أنها تأسست على يد المرابطين بعد فتحـــهم لهذا الإقليم .

أما البكري : ذكرها باسم تانافللت مدينة لكتامة عامرة ، إلا أنه ليس بها مسجد .

البكري : ص ٧٦ .ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٤ .

(٥) لقد اختلف ابن عذارى في ذكره لهذه الشخصية عن بقية المصادر فقال هو : اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليســع بن سمغون بن مدلان المكناسي .

ابن عذاري : البيان المغرب ، جــ ١ ، ص ١٥٧ . ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٥ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جــ ٦ ، ص ١٣١ .الناصري : الإستقصا ، جــ١، ص١٢٥.

٨. اليسع بن المنتصر بن اليسع بن أبي القاسم ٢٧٠ – ٢٩٦هـ /٨٨٣ – ٨٨٩ م .

وهو عم محمد بن ميمون [١] ، فيتضح لنا من هذا أن المنتصر مدرار بن اليسع بن أبي القاسم له ثلاثة أبناء هم : [ميمون ابن أروى –ميمون ابن تقية – اليسع].

والغريب أنه لم يكن لليسع بن مدرار أي ذكر في الصراع الذي حدث بين أخويه وأبيه ، ربما لصغر سنه في ذلك الوقت ، والغريب أن المصادر لم تذكر أو لم تعلق على هذا الأمر.

وقد عرف اليسع بن المنتصر بحسن سيرته ، كما كان عهده حافلاً بالأحداث والصراعات ، لذلك عمل على تقوية النظام العسكريَ في المدينة ، فاستكثر من الجيوش ، للحفاظ على أمن البلاد ، ورغبةً في التوسع وضم مناطق جديدة للعاصمة ، فتجهز لغزو مطغرة [٢] ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك ، فقد ظهر عبيد الله المهدي الفاطمي الشيعي في عهده ، حيث تمكن عبيد الله المهدي من الدخول إلى سجلماسة متنكراً بزي تاجر مع ابنه أبو القاسم من المشرق[٣].

وقد علم الخليفة المعتضد العباسي عن أمر وصول عبيد الله المهدي إلى سجلماسة فبعث إلى اليسع بن المنتصر بخطاب بالبحث عنه والقبض عليه، وبالفعل تمكن اليسع بن

---

(١) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٣) عماد الدين : إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار) ، تحقيق : محمد اليعلاوي تقدما كغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٢ .

ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٢ .

(٤) قيل : أن يهودياً أبلغ اليسع بن المنتصر بمكان عبيد الله المهدي الشيعي ، فقبض عليه اليسع بن المنتصر وسجنه في غرفة وكبله ، ثم ألقى القبض على أبي القاسم ولد عبيد الله المهدي الشيعي ، وسجنه في قرية بالقرب من سجلماسة . الطرابلسي ، نوفل : صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٥٥ . الأزدي ، أبي الحسن جمال الدين : أخبار الدول المنقطعة تاريخ الدولة العباسية ، تحقيق ودراسة : محمد بن مسفر الزهراني ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، لا يوجد تاريخ طبع ، ص ٢١٥-٢١٦. القضاعي ، محمد بن سلامة بن جعفر : تاريخ القضاعي ، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، دراسة وتحقيق : جميل عبد الله – محمد المصري ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٤ .

المنتصر من القبض على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم وزج بهما إلى السجن[١] .

وبعد أن تمكن أبو عبد الله الشيعي من دخول بلاد المغرب ، والقضاء على دولة بني الأغلب ، ثم توجه إلى سجلماسة لإخراج المهدي وابنه أبي القاسم ، فخرج اليسع بن المنتصر من الدينة هارباً إلا أن أبو عبد الله الشيعي تمكن من الوصول إليه وقتله في ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م [٢] .

فكانت فترة حكم اليسع بن المنتصر ٢٧سنة ، فملك أبو عبد الله الشيعي بذلك مدينة سجلماسة وأخرج المهدي وابنه من السجن ، وأقام البيعة لعبيد الله المهدي .

عين عبيد الله المهدي بعد تغلبه على بني مدرار إبراهيم بن غالب المزاتي [٣] من قبيلة كتامة [٤] ، إلا أن أهل سجلماسة لم يقبلوا به ، فثاروا عليه فقتلوه هو ومن معه من كتامة سنة ٢٩٨هـ /٩١٠م ، وأقاموا الفتح بن ميمون الأمير ابن مدرار، فكانت مدة حكم إبراهيم بن غالب المزاتي خمسين يوماً [٥] .

---

(١) ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربي ، القسم ٣ من كتاب اعمال الأعلام ، ص ١٤٥ .

(٢) ذكر الفاسي أن الذي دخل سجلماسة وتغلب على اليسع بن المنتصر هو جوهر القائد الشيعي .
البكري : المغرب ، ص ١٥٠ . الفاسي الأنيس المطرب ، ص ١٠٠ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

(٣) ذكرت بعض المصادر (إبراهيم بن غالب المزاتي) . وهو الرأي الراجح لكثرت المصادر التي ذكرته. انظر :
البكري : المغرب ، ص ١٥١ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٦ . القلقشندي : صبحي الأعشي جـ ٥ ، ص ١٦٦ .
وذكره ابن الخطيب باسم : إبراهيم بن غالب المزابي . أما ابن خلدون فذكره باسم : إبراهيم بن غالب المراسي .
ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٥ .
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣١ .

(٤) كتامة : من قبائل البربر الكبرى ، وكانت تنزل منذ الفتح العربي بين جبال أوراس والبحر المتوسط حول جبل أيكحان بنواحي قسنطينة شرقي الجزائر ومكانها اليوم بلاد القبائل الحالية .
العبادى : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٢٢٤ .

(٥) ذكر ابن خلدون بأن ميمون ليس هو ابن البغى (تقية) الذي تقدم ذكره ، وقد كان الفتح بن ميمون على المذهب الإباضي .
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ .
الناصري : الإستقصا ، ص ١٢٦ .

٩. واسول الفتح بن الأمير ميمون ابن مدرار ٢٩٨هـ - ٣٠٠ / ٩٠٩ - ٩١٢ (١) .

تولى الفتح بن الأمير ميمون بعد قتل إبراهيم بن غالب المزاتي ، في ربيـــع الأول سنة ٢٩٨هـــ / ٩٠٩م (٢) .

لم يرد في المصادر أي إشارة تدل على وجود صراع بين هذا الحاكم وبين عبيـــد الله الشيعي ، رغم قتل عامله إبراهيم بن غالب المزاتي .

ربما قامت بينهم عهود أو مواثيق صلح ، أو ربما كان انشغال عبيد الله المـــهدي الشيعي في إرساء قواعد دولته المهدية (٣) أدى إلى تجاهل الأمر حتى يتمكن من السيطرة على بقية دول المغرب ، وهذا ما سيتضح من حديثنا عن بقية حكام بني مدرار .

ذكرت بعض المصادر أن لصغر سن الفتح بن الأمير ميمون تولت جدته تقية حكم البلاد والوصايه عليه ، والتي تمكنت بذكائها وحنكة سياستها أن تبعد الخطر الشيعي عـــن دولة سجلماسة ، ((بويع الفتح ، واستقام أمره ، تحت تقية من مطالبة الشيعي ، إلـــى أن توفي في رجب سنة ثلاثمائة))(٤).

١٠. أحمد بن الأمير ميمون بن مدرار ٣٠٠ - ٣٠٩هـ / ٩١٢ - ٩٢١ (٥) .

---

(١) قال ابن الخطيب بأن الفتح بن الأمير بن مدرار كان يسمى بالرسول .

البكري : المغرب ، ص ١٥٠ .

ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٥ .

ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣١ . القلقشندي : البيان المغرب ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ١٥١ .

(٣) المهدية Mahdiyya : مدينة صغيرة بالمغرب الأدنى ، أسسها عبيد الله المهدي بالمغرب وسماها بـــهذا الأســـم وهي في نحر البحر ، وفي سنة ٣٠٨هـــ تحول إليها من رقادة القيروان ، تبعد عن القيروان بعدة أميال وهـــي مدينـــة تجارية ، اشتهرت بسورها وعمائرها المنيعة ، اشتهرت بروعة وجمال سورها حتى قيل لامثيل له على الأرض ، تكـثر بها زراعة الفواكه، وأهلها أصحاب كرم وحسن خلق ، ولكن بعد ظهور أبي يزيد مخلد بن كيداد خرج عنـــها أهلـــها ، فأصبحت مدينة خربة رديئة .

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٤) حكم هذا الأمير مدة سنتين وستة أشهر إلا أيام .

ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٦ .

(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣١ . القلقشـــندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ .

تولى أحمد بن الأمير ميمون الحكم بعد وفاة أخيه سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، وقد استقام له الأمر في البلاد حتى سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ، عندما وصل مصالة بن حبوس الكتامي [١] ، مع جيش مكون من كتامة ومكناسة إلى سجلماسة ، فحاصرها حصاراً شديداً وضيق على أهلها حتى تمكن من القبض على حاكمها أحمد بن الأمير ميمون ،وأقام الدعوة الشيعية في البلاد [٢] .

١١. المعتز بن محمد ابن ساور بن مدرار ٣٠٩ – ٣٢١هـ / ٩٢١ – ٩٣٣م [٣] .

عندما تمكن مصالة بن حبوس الكتامي من السيطرة على سجلماسة ، عين حاكماً من بني مدرار ، حتى يأمن من شغب أهلها ، فعين ابن عم أحمد بن الأمير ميمون وهو المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار ، على أن يحكم تحت حكم الدولة الفاطمية الشيعية ، ويقيم الخطبة باسمها ، إلا أنه استبد في حكمه للبلاد ، وقد استمر حكمه اثنتي عشرسنة[٤].

١٢. أبو المنتصر محمد بن المعتز بن ساور بن مدرار ٣٢١–٣٣١هـ /٩٣٣ – ٩٤٢م[٥].

تولى المنتصر محمد بن المعتز بعد وفاة أبيه، واستمر يحكم باسم المهدي الشيعي عشر سنين ، ثم توفي سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م [٦] .

١٣. المنتصر سمكو بن محمد بن المعتز بن ساور بن مدرار ٣٣١هـ / ٩٤٢م [٧] .

---

(١) ذكر ابن الخطيب أن اسمه مصالة بن حبوس الصنهاجي : وهو من أفضل قواد عبيد الله الشيعي بالمغرب ، حيث فتح فاس وسجلماسة والمغرب .

(٢) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٦ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦، جـ٦ ، ص١٣١ .القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص١٦٦ . الناصري : الإستقصا ، جـ١،ص١٢٦.

(٣) استمر حكمه ١٠ سنوات ثم هلك . قيل أن اسم المعتز هو لقب وليس باسم الحاكم . أما القلقشندي فقد ذكره باسم : المعتز بن يادرن بن مدرار . لم يذكر هذا الاسم في غيره من المصادر .

ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣١ . القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ .

(٤) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٥) قيل : أن اسم المنتصر لقب وليس باسم .

ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٧ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ .

(٧) انفرد البكري بذكر هذه الشخصية باسم : أبو المنتصر سمغو بن محمد .

البكري : المغرب ، ص ١٥١ .

تولى المنتصر سمكو الحكم بعد أبيه ، وقد كان عمره لا يتجاوز الثالثة عشرة فتولت جدته الوصاية عليه لصغر سنه .

سبق وأن ذكرنا عند حديثنا عن شخصية الفتح بن الأمير ميمون رواية مطابقة لهذه الرواية وهي التي ذكرها ابن الخطيب ، هل هذا يدل على وجود خلط بين الشخصيتين ؟ . أم هل هما روايتان لشخصية واحدة ؟ . والذي يزيد الأمر غموضاً هو عدم وجود أي مصدر ذكر رواية مماثلة لرواية ابن الخطيب .

وقد حكم المنتصر سمكو بن محمد بن المعتز بن ساور بن مدرار شهرين فقط ، ثم ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح واغتصب الحكم منه ، فخرج المنتصر سمكو بن محمد من المدينة ، وقد شغلت الدولة الفاطمية الشيعية – بالقضاء على الفتن والثورات التي قامت ضدها – عن منعه [١].

١٤. الشاكرلله محمد بن أبي الفتح بن الأمير ميمون بن مدرار ٣٣٢–٣٤٧هـ/٩٤٣-٩٦٥م[٢].

عندما تولى محمد بن الفتح الحُكْم أوقف الدعوة للمهدي الشيعي،وترك مذهب الخوارج الصفرية والإباضية ، وأقام مذهب أهل السنة ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على فشل مذهب الخوارج ، حيث خرج من أهله من ينكره بعد أن علم بسوء هذا المذهب، وتأكد من أن مذهب أهل السنة والجماعة هو المنهج الصحيح والطريق السليم، فكان سنياً على المذهب المالكي ، كما أقام الخطبة باسم خلفاء بني العباس ، وتسمى أيضاً بأمير المؤمنين الشاكر لله ، وضرب السكة [٣] ، وسميت بالدراهم الشاكرية ، كما

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) السكة : ذكرها ابن خلدون ((هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها إلى الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرةً مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح ، ولفظ السكة كان اسما لِلطَّابَعِ وهي الحديدة المتخذة لذلك)) . أما عبد الرحمن فهمي ذكر : أنها عبارة عن معادن متعددة تدور كلها حول العملة فيقصد بالسكة النقود المتعامل بها على اختلاف أنواعها من الدنانير والدراهم وغيرها .

كما أقام العدل والأمن في البلاد [١]، إلى أن جاء أبو تميم معد الشيعي مع قائده جوهر الكاتب ، في عهد المعز لدين الله الفاطمي مع عدد كبير من كتامة وصنهاجة ومن والاهم ، بعد أن تمكنوا من القضاء على الفتن والمؤامرات، فما كان من محمد بن الفتح إلا الفرار مع أهله وحاشيته إلى حصن تسكرات أو تاسجدالت[٢] ، وهو حصن قوي منيع يبعد عن سجلماسة اثني عشر ميلاً [٣] ، وامتلك بذلك جوهر مدينة سجلماسة سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م .

خرج محمد بن الفتح في يوم متخفياً مع عدد من أصحابه قاصداً سجلماسة ، إلا أن جماعة من مطغرة كشفوا أمرهم ، فأمسكوا بهم وأخذوهم إلى جوهر الكاتب ، مع صاحب فاس أحمد بن أبي بكر الزناتي [٤] في شهر رجب سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م [٥] ، فقام جوهر بحبس محمد بن الفتح في قفص من الخشب وأرسله إلى القيروان ، حيث طيف به ، ثم سجن برقادة حتى قضى نحبه سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م ، فكانت فترة حكمه خمسة عشرة سنة، فعين جوهر على سجلماسة مبادر بن زيري البربري[٦].

= ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٦١ . محمد ، عبد الرحمن فهمي : موسوعة النقود العربية علم النميات (فجر السكة العربية) ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٥ ، جـ ١ ، ص ٢٨ .

(١) لمزيد من المعلومات عن الشيخ مالك بن أنس ومذهبه انظر :

البكري : المغرب ، ص ١٥١ .ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم٣من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٨.

أبو زهرة ، محمد : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دارالفكر العربي ، ص ٣٩٠- ٤٣٣ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ١٥١ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٢ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٦ .

(٣)الميل : قدر مد البصر من الأرض أو مسافة من الأرض متراخية بلا حدٍ أو مائة ألف إصبع أو الأربعة آلاف إصبع أو ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ ، أي ما يقارب من ١٨٨٤ أو ٢ كيلومتر. ولا يبعد أن يكون الميل في القياس ماخوذا من كلام الإفرنج ومعناه ألف وهو على تقدير ألف خطوة ونحو ذلك .

البستاني ، المعلم بطرس : محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية) ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٨٧٢ .

(٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٢ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٦ .

(٥) البكري : المغرب ، ص ١٥١ .

(٦) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

١٥. المنتصر بـالله بـن أمـير المؤمنيـن الشـاكر لله محمـد بـن الفتـح بـن الأمـير ميمون بن مدرار ٣٥٢ هـ /٩٦٣ م (١).

في الوقت الذي ظهرت فيه الدولة الأموية في الأندلس ، قامت العديد مـن الفتـن والاضطرابات في بلاد المغرب ضد الشيعة ، وانضمت بعض القبائل للدولـة الأمويـة ، منها زناتة التي ناصرت الحكم المستنصر حاكم الأندلس وأطاعته ،وبناءً على قيـام هـذه الاضطرابات وانشغال الدولة الفاطمية بها ،ثار ولد الشاكر لله محمد بن الفتح على حـاكم سجلماسة ، وتولى الأمر بها ،وتلقب بالمنتصر بالله ، إلى أن ثار عليه أخوه أبو محمد (٢).

١٦. المعتز بالله أبو محمد بـن أمـير المؤمنيـن الشـاكر لله محمـد بـن الفتـح بـن الأمير بن مدرار ٣٥٢ هـ /٩٦٣م (٣).

تولى أبو محمد بن محمد بن الفتح بعد قتله لأخيه المنتصر بالله،وتلقب بالمعتز بالله، في تلك الفترة ازداد نفوذ قبيلة زناتة واستفحل أمرها على قبيلة مكناسـة التـي ضعفـت وبدأت في الاضمحلال،وقد استمر حكم المعتز بالله أبو محمد فترة طويلة ، إلى أن دخـل أحد ملوك مغراوة وهو خزرون بن فلفول إلى قرطبة،على عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر،فعين خزرون على سجلماسة ، وبذلك قضى على آخر نفوذ لدولة بني مدرار (٤) .

(١) لم يرد في المصادر ذكر للتاريخ الذي تولى فيه المنتصر بالله بن محمد بن الفتح .

ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ١٣٢ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٧ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ١٦٨ .

(٣) لم يرد في المصادر ذكر للتاريخ الذي تولى فيه المعتز بالله أبو محمد بن أمير المؤمنين الشاكر لله .

ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، جـ ٦ ، ص ١٣٢. القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٨ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦، جـ ٦ ، ص١٣٢ .القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ٥ ، ص١٦.

مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص١٥٧- ١٥٨.

مذهب دولة بني مدرار:

بعد إتمام الحديث عن حكام دولة بني مدرار،وجب علينا التطرق إلى مذهب هذه الدولة بشكل موجز،خاصةً أنه هو السبب في قيام هذه الدولة . كما أننا لاحظنا أثناء الحديث عن حكام الدولة ، وجود اختلاف في مذهب بعض الحكام، فمنهم من كان على المذهب الأساسي للدولة الصُفْرِية ، ومنهم من كان على المذهب الإباضي،ومنهم من كان على المذهبين الصُفْري والإباضي ، ومنهم من ترك مذهب الخوارج بالكلية ، واعتنق المذهب المالكي السني .

هذا الأمر يحتاج إلى تفسير لتوضيح السبب الذي أدى إلى اختلاف مذهب بعض الحكام عن المذهب الرسمي لدولة بني مدرار، إلا أن المصادر سكتت عن توضيح هذا الأمر ، لذلك نود إيراد بعض المعلومات عن المذهب الصُفْري حتى نستطيع من خلاله الكشف عن بعض الأسباب التي أدت إلى ترك بعض حكام الدولة لهذا المذهب .

إن السبب الرئيسي في ظهور فرق الخوارج منذ عهد الخليفة علي‎ﷺ حتى بداية عهد الخلافة العباسية ينحصر في [**قضية الإمامة**] ، فالإمامة من حق أي فرد توفرت فيه شروط الإمامة ، وأن أمر اختيار الخليفة يكون بالشورى والإجماع بين الرعية ، لذلك أعلنوا الحرب على كل من خالفهم .

والإمام عند الخوارج يعتبر المثل الأعلى في القول والعمل ، فإذا أخطأ الإمام خطأً بسيطاً ثاروا عليه وقتلوه ، مثل ما فعل الخوارج الصُفْرِية بزعيمهم عيسى بن يزيد [(١)].

---

(١) ذكر الرسول ﷺ في حديثه عن الفرق الضالة : ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وافترقت النصارى غلى اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وستفترق هذه الأمة غلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) .

ولمزيد من المعلومات انظر : السّعوى : الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم ، دار المعراج الدولية أ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧ – ١٩٩٦ ، ص ٩ – ١٠، ٢٢ – ٢٦.

الأقصم ، إبراهيم يوسف بن على : الدولة الأموية في كتابات المسعودي ، الملك عبد العزيز، جدة ، قسم التاريخ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م ، ص ١١٩-١٢٠ .

الصلابي ، على محمد محمد : عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكرة الخوارج ، دار البيارق ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ١٢٨ – ١٨٣ .

كما قام الخوارج بعدة ثورات جعلت ولاة الخلافة يتتبعونهم بـالقتل والتعذيب ، حتى تمكنوا من كسر شوكتهم ، وقضوا على معظم فرقهم ، فلم يبق منهم إلا فرق الإباضية والصفرية ، الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب لنشر مذهبهم [١] .

وبالرغم من وجود المذهب الإباضي قبل المذهب الصفري في بلاد المغرب، إلا أن المذهب الصفري كان أسرع في الانتشار وذلك لشدته وتطرفه عن المذهب الإباضي[٢]، إذ تكاد آرؤهم تتفق مع الخوارج الأزارقة[٣] ، إلا أنهم يخالفونهم من حيث أنهم لا يرون قتل أطفال ونساء من خالفهم .

أما الأسس التي قام عليها المذهب الصفري هي :

- كل ذنب مغلظ كفر . - جواز النكاح من المشركات والمشركين .
- جواز الأكل من ذبائح المشركين وقبول شهادتهم.- جواز التقية [٤]في القول دون العمل .
- أن الشرك عندهم شركان : (١) طاعة الشيطان و(٢) عبادة الأوثان .
- القول بخلق القرآن [٥].

---

(١)الشهرستاني ، أبي الفتح محمد : الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ طبع ، جـ ١ ، ص ١١٥ . انظر أيضاً : الموسوعة العربية العالمية ، موسوعة أعمال الموسوعة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م ، جـ ١٠ ، ص ١٧٥ - ١٧٧ . يزيد ، خالد : موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة ، الطبعة الأولى ،١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، جـ ١٥ ، ص ٤٧٥٦ -٤٧٧٥.

(٢) عبد الرزاق ، محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ ، ص ٤٥-٤٦ .

(٣) الأزارقة : أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق .

الظاهري ، أبي محمد على : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : محمد ابراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة ، مكتبه عكاظ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٥٢ . الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .

(٤) التقية : مبدأ يقوم على الإنحياز واتخاذ موقف المسالمة ، وهذا المبدأ هو السبب الرئيسي في انقسام الخوارج إلى عدة فرق ، لأن منهم من يأيد مبدأ التقية ومنهم من لا يجيزه . لمزيد من المعلومات انظر : عواجي ، غالب بن علي : الخوارج تاريخهم وأرائهم الأعتقادية وموقف الأسلام منها ، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة ، جدة ، ١٣٩٨/ ١٩٩٦هـ ، ص ٤٠٩ - ٤١٥ .

(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٩٠ -٩١ . الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .

داود ، السيد محمد أبو العزم : الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين ، الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٢٣٥ .

هذه نبذة مختصرة عن مذهب الخوارج الصفرية . إلا أن بني مدرار الصُّفرية كانوا يختلفون عنهم في أمور كثيرة [١] .

أما معاملتهم لغيرهم فكانت تسير وفق الشريعة الإسلامية فصفحتها بيضاء ، لا تلطخها الدماء الحرام ، والأموال الحرام ، إن عهدها يملؤه الهدوء والإستقرار والمسالمة ، فقد كانت تصب جل إهتمامها في تثبيت كيانها ، هذا إلى حسن سياسة حكامها ، مما سلهم في حضارتها [٢].

ربما كان تطرف مذهب الخوارج الصفرية هو الذي أدي إلى اعتناق بعض الحكام لمذاهب مختلفة عنه ، وربما كان سبب ترك بعض حكام بني مدرار لهذا المذهب هو ما تقتضيه سياسة الدولة مع من جاورها من الدول الأخرى وهو الرأي الراجح ، وربما كان هناك خلط في روايات المصادر حيث جعلوا بعض حكام الإباضية من حكام دولة بني مدرار [٣] .

أما جهود حكام دولة بني مدرار السياسية والعسكرية :

جهودهم السياسية :

أولاً : لقد بدأت جهود حكام بني مدرار السياسية والعسكرية تظهر منذ البداية، من الوقت الذي قرر فيه حكامها الاستقلال بدينهم ودولتهم عن الخلافة العباسية ، فسياسة الحياد هذه سياسة حكيمة .

ثانياً : اختيارهم لموقع سجلماسة اختيار موفق ، فقد أتاح لهم ضم جمع كبير من أهل المغرب الأقصى ، خاصةً عنصر السودان .

---

(١) كان أهل سجلماسة على المذهب الصفري ، ولكنهم معتدلون على عكس سابقيهم ، فلا يحلون ما حرم الله ، إنما هم مشتركون مع أصحاب مذهب الصفري في التمسك بالإمامة الإسلامية ، ومحاربة الملكية المستبدة والثورة عليها .

لم ترد هذه المعلومة في المصادر المتخصصة في تاريخ المغرب إلا في كتاب محمد على دبوز . انظر :

دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٣ ، ص ٤٤٥ .

(٢) أبو مصطفى ، كمال السيد : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية، ١٩٩٦ ، ص ٩٥ .

(٢)عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ١٢٣ .

ثالثاً : تعيين رجل من عنصر السودان حتى يحوزوا على تأييدهم والتمسك بمذهبهم وهو عيسى بن يزيد الأسود ، في ضوء سياسة العدل والمساواة ، وإقراراً لمبدأ الإمامة القائم على أساس مذهب الصفرية [١].

رابعاً : بعد أن تمكنوا من إرساء قواعد دولتهم قاموا بالتخلص من عيسى بن يزيد حتى يتيسر لهم الاستحواذ على مقاليد الحكم ، وقد ظهرت هذه النوايا جلية عندما جعل بني مدرار ولاية الحكم وراثية ، وهو الأمر الذي قامت حروبهم من أجل القضاء عليه ، وجعل الإمامة شورى بين الرعية ، وهذا ما يؤكد سوء النوايا الدفينة التي جعلت شعارها الظاهر الدين والعدل والحرية .

ولكن بعد أن تمكنت من الوصول إلى غايتها كشفت عن حقيقتها ، وقد وصلت سياسة بني مدرار إلى حد تولية القُصر والنساء للحكم ، وهذه مخالفة صريحة لمذهب الخوارج [٢].

فيتضح مما تقدم أن الحروب والثورات التي خاضها الخوارج ضد ولاة الخلافة لم تكن إلا تمهيداً لإنشاء كيان سياسي لهم ، وهذا الأمر يتطلب دعم مادي وبشري ، وقد واتتهم الفرصة لدى بربر بلاد المغرب.

خامساً : عملوا على تحسين العلاقات مع من جاورهم من الدول، وأول من قام بهذه السياسة هو أبو القاسم سمكو ، عندما عمل على التقرب من خلفاء بني العباس والاعتراف بهم اسمياً ، ثم سار على نسق هذه السياسة مدرار بن اليسع بن أبي القاسم الذي عمل على توطيد العلاقات بين دولته والدولة الرستمية الإباضية في تاهرت .

جهودهم العسكرية :

سبقت الإشارة عن تولى عيسى بن يزيد الأسود الحكم وعمله على إكمال بناء مدينة سجلماسة ، كما قام بإنشاء الأسوار حولها حتى يأمن من غزو الأعداء المباغت [٣]، ومن المؤكد أنه عمل على تجهيز جيش قوي لحماية الدولة ، وما يؤكد ذلك هي المدة

---

(١) محمد : دراسات في تاريخ المغرب ، ص ١١٥.

(٢)عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٢٦٤ .

(٣) انظر : ص ٤٣ .

الطويلة التي حكم فيها ، فلم ترد أي رواية تشير إلى وجود صراع بينها وبين أي قبيلة أخرى مجاورة ، وهذا أكبر دليل على قوة رجالها وهيبتهم .

وقد نجحت جهود حكام بني مدرار الأولون في توطيد الأمن في البلاد ، والوصول بالعاصمة إلى قمة التقدم والازدهار[١]، ونذكر منهم اليسع بن أبي القاسم سمكو،الذي اعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي للعاصمة سجلماسة[٢] ، كما تغلب على المدن المجاورة لها،وهذا يدل على اهتمامه بتقوية النظام العسكر في الدولة ، وثاني حاكم هو اليسع بن المنتصر مدرار بن اليسع بن أبي القاسم ، الذي اتبع سياسة جده اليسع بن أبي القاسم ، وكادت أن تمنح له فرصة السيطرة على معظم القرى والمدن المجاورة له ، لولا ظهور عبيد الله المهدى الشيعي ، الذي تمكن من القضاء عليه ، والاستيلاء على سجلماسة وما جاورها ، من ذلك العهد انتهى العصر الذهبي لدولة سجلماسة ، فقد قامت بها حروب وصراعات داخلية وخارجية، وحتى عندما حاول محمد بن الفتح بن الأمير ميمون بن مدرار أن يعيد للدولة مجدها وقوتها ، باءت محاولاته بالفشل ، حيث قضي عليه ، بل على دولة بني مدرار بأسرها من قبل الدولة الأموية في الأندلس.

---

(١) قال محمد دبوز : تعتبر دولة بني واسول في سجلماسة أول دولة مغربية إسلامية راقية تنشأ في المغرب الأقصى ، حيث سبقت الدولة الرستمية في النشأة بأربع سنين ، هي السنة التي نشأت دولة أبي الخطاب في المغرب الأدنى .

دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٣ ، ص ٤٤٥ . انظر أيضاً : طلفاح ، خير الله : كنتم خير أمة اخرجت للناس ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٥هـ / ١٣٩٥ م ، جـ ٤ ، ص ٧٨٧ .

(٢) محمد : دراسات ، ص ١١٧ .

عبد الحميد ، : تاريخ المغرب العربي ، جـ ٢ ، ص٤١١ .

تأسيس مدينة سجلماسة عاصمة الدولة سنة ١٤٠هـ :

تقع مدينة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى ، وبينها وبين البحر الرومي مسافة خمسة عشر ميلاً ، وهي على نهر زيز، في طرف بلاد السودان ، وتبعد عن مدينة فاس ما يقارب من مسافة عشرة أيام من جهة الجنوب(١) ، وتقع سجلماسة أيضاً في شوق بلاد درعة، عند أخر الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة(٢).

وليس بسجلماسة عين ولا بئر، وهي آخر بلاد البربر مما يلي السودان(٣)، تمتد طولاً بشكل مستطيل باتجاه القبلة ، هواؤها عليل (٤).

وقد قيل عنها : إنها من أعظم مدن المغرب الأقصى ، وتتوسط حدود مدينة تاهرت ، عند جبل درن ، وسط رمال كرمال زرود (٥) .

ذكر الوزان : أن سجلماسة أخذت اسمها من المدينة الرئيسية المقيمة فيها ، ويطل هذا الإقليم على وادي زيز بمسافة عشرين ميلاً (٦) ، أي من المضيق المجاور لمدينة

---

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل سنة١٨٩١ ، المجلد٧ ، ص ٣٥٩ .
الحموي : معجم البلدان ، المجلد٣، ص ١٩٢.القرماني، أحمد بن يوسف : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، دراسة وتحقيق : أحمد حطيط – فهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤١٢هـ/١٩٩٢ م ، ص ٣٨٥ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٣ . انظر أيضاً : الإدريسي ، أبي عبد الله محمد : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، المجلد ١ ، ص ١٨ – ١٩ .

(٣)الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص ٣٠٥ .

(٤)المنجم ، إسحق بن الحسين : آكامر المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، بدون مكان طبع ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٩ .

(٥) اشتهرت مدينة سجلماسة بعدد من الجبال التي ساعدة على حماية الدولة . انظر : المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، في مدينة ليدن المحروسة ، بمطبعة بريل، الطبعة الثانية ، ١٩٠٩ ، ص ٢٣١. القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ – ١٧٤ . أنظر الملحق شكل(٥) .

(٦) وادي زيز : ينبع زيز من جبال الأطلس التي تقطنها صنهاجة ، ويسير نحو الجنوب بين عدة جبال ماراً بالقرب من مدينة تدعى غرسلوين . كما يخترق أقاليم الخَنْك ومَضَغْرة والرَتَبْ ، فيدخل في بلاد مدينة سجلماسة ماراً بين أراضيها الزراعية ويخرج إلى القفر حيث يسيل قرب قصر سغيلة . ثم يكوّن بحيرة وسط الرمال ، إلا أنها غير مأهولة بالسكان ، ولكن الصيادين من الأعراب يقصدونها من أجل الصيد لأن الصيد فيها حسنٌ جداً .
الوزان ، الحسن بن محمد : وصف إفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية : محمد حجي – محمد الأخضر ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ طبع ، جـ ٢ ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

غارسلوان التي تقع عند فم زعبل ، ممتدة إلى صحراء ليبيا ، والغريب ما ذكر عن وجد ما يقرب من ثلاثمائة قصر بمدينة سجلماسة حيث لم يشر أي مصدر آخر عليها (١).

اختلف المؤرخون في وقت إنشاء أو وجود هذه المدينة ، فهناك من يذكر بأنها موجودة من عهد الرومان ، فقد قيل : أن مؤسسها قائد روماني زحف إلى موريتانيا واستولى على نوميديا ، ثم اتجه نحو الغرب إلى منطقة ماسة ، حيث أقام بها مدينة اسماها (سِجِلُّوم مِيَسي) ، وسبب هذه التسمية : لأنها كانت آخر مدن الدولة التي عرفت بماسة ، ولأنها كانت كالخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته ، ثم حرف هذا الرسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة (٢) ، وهناك من أورد عن بناء هذه المدينة أنها أنشأت على عهد موسى بن نصير، فعندما غزا موسى المناطق الواقعة جنوب المغرب ، قام بإنشاء ولاية سجلماسة ، وهي عبارة عن واحة كبيرة تضم أو تتكون منها مجموعة الواحات(٣). ذكر مؤرخ آخر أيضاً : أول ما قام به موسى بن نصير بعد نزوله بلاد المغرب إخضاع بلاد المغرب الأقصى حتى المحيط الأطلنطي والتوغل إلى سجلماسة في تفيلالت(٤) .

وهناك رواية أخرى غريبة تذكر : أن عقبة بن نافع عندما غزا جبال الأطلس ، زحف على إقليم تافيلالت وعاصمته سجلماسة (٥) .

---

(١) المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ١٢٦ . لم نجد لهذه الرواية مثيل في المصادر . لمزيد من المعلومات في اختلاف الروايات على تأسيس سجلماسة انظر: ماك كول ، دانييل : الروايات التاريخية ، ص ١٦ -١٢ ، ٣٥ - ٤٥ .

(٢) ذكر أيضاً : أن المدينة بنيت في سهل على وادى زيز ، وأحيطت بسور عال مازالت بعض أجزائه باقية . ولما فتح المسلمون إفريقيا خضعت سجلماسة لملوك زناتة إلى أن طردهم يوسف بن تاشفين اللمتوني .

الوزان ، وصف إفريقيا ، جـ ٢ ، ص ١٢١ .

(٣) مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٦١.

(٤) جوليان : تاريخ إفريقية الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

(٥) لم يرد لهذا الحديث ذكر في المصادر الأخرى.وفي رأي البحث : ربما أراد المؤلف الإشارة إلى أن الفتح الإسلامي قد وصل إلى منطقة سجلماسة ، فأضطر أن يذكر المنطقة بهذا الاسم لعدم وجود اسم لها في السابق ، فأراد أن يحدد للقارئ فقط المدى الذي وصلت إليه الفتوحات الإسلامية . ولكن الغريب في الأمر أن اسم سجلماسة كان معروفاً قبل اسم تافيلالت ، فلا نعلم بالضبط قصد المؤلف من ذلك .

زبيب ، نجيب : الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

قال مؤرخ إنجليزي : بأن زيز هي اسم آخر لسجلماسة ، إلا أن هذا الرأي أبعد ما يكون من الواقع ، لأن كلاً من مدينتي درعة وزيز قد تحطمتا ، وبقيت سجلماسة[١] .

جميع هذه الروايات تثبت وجود مدينة سجلماسة قبل سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م ، وهي السنة التي ذكرت معظم المصادر قيام جماعة من الصُّفْرية ببناء سجلماسة فيـــها، وهــو القول الراجح .

فلو كانت مدينة سجلماسة موجودة قبل ذلك التاريخ لما اضطر عيسى بن يزيد إلى تخطيطها وبنائها مجدداً، بل لأتم ترميمها وتجديد بنائها،هذا إلى عدم وجـــود أي بقايـــا أو معلم يشير إلى قيام المدينة قبل ذلك التاريخ .

ومما لاشك فيه أن الاختلاف في الآراء هو ورود خلط بين مدينة سجلماسة ومدينة إسلامية أخرى ربما كانت هي مدينة السوس كما ورد فـــي بعــض الكتــب ، حيـــث أن عاصمتها تقع على منابع نهر ملوية ، حيث عين موسى بن نصير عليها مولاه طارق بـــن زياد[٢] .

وإذا نظرنا إلى ما ذكره أحد المؤرخين : ماذا أقصد بسجلماسة ؟
هي عبارة عن عدد من القري ، استمر وجودها إلى وقت ظهور زعامة الشرفاء العلويين بالصحراء .

ولا شك أن الأوصاف التي أشار إليها القدماء عن نشأة مدينة سجلماسة إما أن تكون مدينة كبيرة جداً ، واندثرت في وقت اختلف المؤرخون في تحديده ، وإما أن تكون عبـارة عن مجموعة قصور في منطقة معينة [٣].

هذا أيضاً رأي آخر يحاول من خلاله المؤلف حل طلاسم الخلاف الذي وقع فيـــه المؤرخون ، فهو يشير إلى أن اندثار مدينة سجلماسة كان في وقت غير معروف ، فربمـا

---

(1) H.T. NORRIS : THE BERBERS IN ARABIC LITERATURE , P. 75 .

(٢) ذكر مؤنس : أن موسى بن نصير أنشأ في منطقة السوس الولاية الإسلامية الرابعة ، والتي أطلق عليها السوس أو سجلماسة . هذا القول يؤكد وجود خلط غير مقصود في بعض الروايات التي أسندت بناء مدينة سجلماسة إلى قبل تاريخ ١٤٠هـ . والذي زاد الأمر غموضاً أن المؤلف لم يورد بهامش عن المصدر الذي رجع إليه وأخذ منه هذه المعلومات. مؤنس : معالم تاريخ ، ص ٦١ .

(٣) حجي ، محمد : جولات تاريخية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٦٢٧ .

كان نشوء الخلاف في الرأي من هذا المنطلق .

وباحتلال المغراويين لمدينة سجلماسة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م ، تم القضاء على نفوذ دولة بني مدرار ، ولكن عمارة مدينة سجلماسة استمرت حتى القرن العاشر ، حيث اندثرت معالمها بعد ذلك ، وهي اليوم تعرف بمدينة تفيلالت [١] .

---

(١) الوزان : وصف إفريقيا ، جـ ١ ، ص ١٢٥ . حركات : المغرب ، المجلد ١ ، ص ١٠٣ .

الفصل الثاني

٥٣ – ٦٩

علاقة بني مدرار بدول الجوار في بلاد المغرب

- أثر مذهب بني مدرار في علاقاتهم بالقوى الأخرى .
- علاقة بني مدرار بالأغالبة في تونس.
- علاقة بني مدرار بالرستميين في تاهرت .
- علاقة بني مدرار بالأدارسة في فاس .
- علاقة بني مدرار بالدولة الفاطمية .

أثر مذهب بني مدرار في علاقاتهم بالقوى الأخرى .

تتضح لنا ملامح السياسة التي سار عليها حكام بني مدرار مع من جاورهم من الدول ، سواء من حيث علاقاتها الداخلية أو الخارجية في هذا الفصل حيث يتناول هذه العلاقات بشيءٍ من التفصيل .

فوضع مدينة بني مدرار كما مر بنا مدينة داخلية صحراوية جعلها في معزل عن مواكبة الأحداث الجارية في العالم الإسلامي بوجه عام وبلاد المغرب بصفة خاصة ، بل كان جهد حكامها منصب في توطيد الأمن للمدينة وأهلها ، حيث كانت علاقاتها مع الدول الأخرى قائمة على هذا الأساس ، فلم نجد رواية في أي مصدر تشير إلى دخول هذه الدولة في صراعات وحروب طائلة مع غيرها من الدول ، بل عملت على نشر مذهبها في جميع أرجاء المغرب الأقصى والسودان وما جاورها من البلاد ، كان ذلك عن طريق القوافل التجارية التي عملت على نشر المذهب الصفري ، إلا أنها كانت تتعامل مع الدول الأخرى حسب مصالحها السياسية والمذهبية .

فكان يجمع بين دولة سجلماسة والدول المجاورة لها مجتمع القبيلة ، حيث سار هذا المفهوم في التقدم حتى وصل إلى تشكيل اتحاد قبلي قاري أدى إلى ظهور مدن تجارية ناشئة مثل سجلماسة وتاهرت تضاهي المدن الحضارية السابقة لها في النشأة سواء في المشرق أو المغرب [١].

لذلك كانت علاقتها مع الدولة الرستمية والدولة الأموية في الأندلس حسنةً ، بل كانت بينهم علاقات تجارية وسياسية .

أما السبب الرئيسي في اجتماع بني مدرار، وبني رستم، وبني أمية في الأندلس ، فهو أمر واحد وهو العداء المذهبي المتأصل للخلافة العباسية ومناصريها من الدول .

في حين كانت علاقتها مع الدولة الفاطمية شبه ودية ، وذلك حسب ما تقتضيه مصلحتها .أما علاقتها بالدولة العباسية ودولة بني الأغلب والأدارسة فكانت عدائية بوجه

---

(١) ابن حس ، محمد : القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط ، دار الرياح الأربع للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص ٩٩ .

عام ، بسبب اختلاف المذهب ، إلا أنها لم تسفر عن قيام حروب بينهم [١].

هذا الأمر ليس بغريب فقد كانت جميع الدول في ذلك العصر تسير وفق هذه السياسة سواء في المشرق أو المغرب ، فعلى سبيل المثال نجد أن الخليفة العباسي هارون الرشيد عمد إلى عقد علاقة سياسية مع شارلمان إمبراطور الدولة الرومانية حتى يكون عوناً له في القضاء على الدولة الأموية في الأندلس ، في المقابل ساند أمير الأندلس عبد الرحمن الداخل الثورة الخارجية التي قامت ضد الدولة الفاطمية للإطاحة بحكمها [٢] .

وبالرغم من اتخاذ دولة بني مدرار لسياسة العزلة إلا أنها لم تسلم من غارات الدول الخارجية عليها ، والتي كانت السبب في القضاء نهائياً على كيانها السياسي .

علاقة بني مدرار بالأغالبة في تونس .

كانت علاقة بني مدرار بدولة بني الأغلب هي امتداد للعلاقة التي كانت بينهم وبين الخلافة العباسية ، لأن دولة بني الأغلب كانت تحكم باسم الدولة العباسية في بلاد المغرب .

وقد كان غرض الخلافة العباسية من إقامة دولة بني الأغلب كما نعلم هو الوقوف في وجه أي هجوم مباغت يأتي من قبل الدول المستقلة ضد الدولة العباسية في المشرق ، ومحاولة استرداد المناطق التي خرجت عن سيطرة الدولة العباسية ، فلم تتمكن كل الجهود التي قامت بها الدولة من إعادتها إلى سلطانها ، لذلك كانت علاقة دولة بني مدرار بالأغالبة عدائية , إلا أنها لم ترد لنا أي معلومة تشير إلى وجود صراعات وحروب بينهم، فقد كان اتصال دولة بني الأغلب بالدولة الرستمية أكثر .

فربما خططت الدولة المدرارية لهذا الأمرلذلك عملت على تقوية علاقتها مع الدولة الرستمية ، وهذا ما قامت به أيضاً من حيث تحسين علاقتها مع الدولة الأموية في الأندلس حتى تكفيها خطر دولة بني الأغلب والحيلولة دون توسعها إلى ما وراء إفريقية [٣] .

---

(١) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٢٨ – ١٣٥ .

(٢)الجميلي : دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، ص ٧١ . العبادى : في التاريخ العباسي ، ص ٢٤١ .

(٤) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٣٣ – ١٣٤ . عبد الرزاق : الأغالبة سياستهم الخارجية ، مكتبة رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٢ ، ص ١١٩ – ١٢١ .

وكون الأغالبة عمال الخلافة العباسية في المغرب جعلهم ملزمين بتقديم صورة واضحة عن دويلات المغرب ، فليس لدولة الأغالبة حرية اتخاذ أي قرار أو موقف مخالف عن موقف الخلافة العباسية العدائي لهذه الدويلات .

فالأحقاد القديمة مستمرة ، حيث يصعب على كلا الطرفين العباسي والأغلبي نسيان العداء المذهبي واتخاذ سياسة مخالفة .

لذلك فقد كان يقوم بعض أمراء الأغالبة في تدبير المكائد ، وإحداث الفرقة والشقاق بين القوى السياسية في هذه المنطقة ومناهضة حكامها ومعاداتهم في سبيل إرضاء الخلافة العباسية .

ورغم جميع ما ذكر عن الدولة الأغلبية إلا أن موقفها العدائي لم يكن مستمراً ، ففي بعض الأحيان كان حكام الأغالبة يعمدون إلى الإستقرار ، والبعد عن الشقاق ، ربما كان اتخاذ الأغالبة لهذا الموقف بسبب عجزهم عن القضاء على هذه الدول الانفصالية نهائياً ، فرأت أن تعقد معها علاقات تجارية ، فليس للأغالبة مطلق الحرية في التصرف بشؤون المغرب مما يجعلهم أحياناً عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم [١] . وهذا دليل واضح لحقيقة العلاقة التي كانت بين الأغالبة وبني مدرار.

كما أسفر البحث عن وجود بعض المصادر التي تؤكد حسن العلاقة التي كانت بين الطرفين الأغلبي والمدراري ، فقيل : عندما إجتمع خوارج سجلماسة على مدرار بن اليسع الذي كان له ولدان أحدهم يدعى ميمون بن مدرار والثاني ابن تقية ، فاتفق الخوارج على إسناد الحكم لميمون بن مدرار بعد أبيه ، وإخراج أخيه ابن تقية الذي كان يتولى أمر البلاد بتقليد من بني الأغلب .

فلما استقر الأمر لميمون قام بإخراج أبيه وأمه من المدينة ، ثم بعث بخطاب إلى مولاه أبي عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب يخبره بما حدث وتقلده حكم البلاد ، فأجازه الأمير وأقره على الولاية [٢] .

---

(١) محمد : دراسات ، ص ٦٦ – ٦٨ .

(٢) الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا ، ص ٢٢٩ .

يتضح لنا من سياق هذا النص تبعية دولة بني مدرار لبني الأغلب تبعية اسمية ، وربما كان حكام بني مدرار لا يمتلكون زمام الأمر إلا بعد أن يتلقى الموافقة بالتقليد من قبل حكام بني الأغلب على توليه الحكم في البلاد .

وربما كان هذا دليل على أن حكام بني مدرار يستعينون ببني الأغلب أثناء صراعاتهم الأهلية مما جعل لدولة بني الأغلب القدرة على التصرف في شئوون دولة بني مدرار .

بل ربما قام حكام بني مدرار بطلب تبعيتهم لدولة بني الأغلب ، بعد أن علموا بقوة هذه الدولة ، فأرادوا بذلك تجنب الخطر ، خاصةً وأن هذه الدويله صغيرة جداً إذا ما قورنت بدولة بني الأغلب ، فلذلك أصبحت تُصدر الأوامر باسمها لدولة بني مدرار .

هذا ما أشارت إليه بعض المصادر عندما قالوا : لما قرب عبيد الله المهدي من مدينة سجلماسة سمع به اليسع بن مدرار والذي كان عاملا لبني الأغلب ، وهذا قول صريح على تبعية اليسع بن مدرار لبني الأغلب ، مؤيداً بذلك رواية الثعالبي [١].

ومما يثبت صحة الآراء السابقة ما ورد أن القاضي النعمان تحدث عن الأموال الضخمة التي أنفقها المعز لدين الله في سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م،لما عزم على ختان أبنائه ، فبعث بالكتب لرعاياه من برقة إلى سجلماسة وحدودهما ، رغبة في اشراك الرعية فرحته[٢] .

ويرى آخرون أن العلاقة التي كانت بين اليسع بن مدرار وبني الأغلب ليست دليلاً على التبعية ، ولكنه تعاون مشترك مؤقت ، وذلك لاشتراك الدولتين في عدائهم للمهدي الشيعي، ذلك الخطر الذي يهدد كيانهما ، لذلك تم التحالف بينهما بطريقة غير مباشرة .

وقد برر أصحاب هذا الرأي قولهم بما حدث للخوارج الصفرية في القيروان من اضطهاد على عهد ولاية سحنون للقيروان ، حيث منعهم من دخول المسجد الجامع وإقامة مجالسهم ، وهدد كل من خالف ذلك بلاضطهاد والتعذيب ، وهذا أمر حافز على

---

(١) عماد الدين : تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ص ١٥٢ .

(٢) زيتون ، محمد محمد : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٦٦ .

إقامة العداء بين بني الأغلب وبني مدرار [١] .

غير أن مجريات بعض الأحداث تخالف هذا الرأي بحيث لو كان هناك عداء بين الدولتين كما ذكر البعض لما توانت دولة بني الأغلب عن التعرض لهذه الدولة خاصة وأنها هادنت الدولة الأموية في الأندلس ألد أعدائها.

والرأي الأخر ما الذي يجعل دولة بني الأغلب تطلب من اليسع بن مدرار القبض على عبيد الله المهدي إذا لم يكن بينهم وفاق وتبعية ، فلو كان بينهم عداء لسعد حكام بني الأغلب بظهور المهدي الشيعي في سجلماسة ، وما عليهم إلا الانتظار مترقبين للأحداث حتى يتمكن المهدي الشيعي من التغلب على دولة بني مدرار، وإذا ما تم ذلك تنقض هي بدورها على المهدي الشيعي وتقضي على كيانه قبل أن يصل إليها بعد أن تكون قد استعدت لذلك .

أما تبرير محمود إسماعيل عن السبب الذي جعل العداء قائماً بين بني مدرار وبني الأغلب [٢] ، لا يمكن أن نسلم به ونجعله قاعدة أساسية ، ذلك لأن الخوارج الصفرية المقيمين في القيروان ربما لا ينتمون إلى قبيلة صفرية بني مدرار ، ولعل ما أوردناه في السابق [٣] عن ما قامت به قبيلة ورفجومة الصفرية عند دخولها مدينة القيروان أكبر دليل على صحة ما ذكرنا ، فلم تقم دولة بني مدرار على طول عهدها كما ورد في المصادر بأي حركة عدائية ضد بني الأغلب .

---

(١) أبو سعيد سحنون بن حبيب بن ربيعة التنوخي /١٦٠ – ٢٤٠ : اسمه عبد السلام ولكن غلب عليه اسم سحنون لحدة كانت في ذهنه ، انتهت إليه رئاسة العلم بالمغرب في عصره ، ولي قضاء القيروان عام ٢٣٣ تتلمذ على يديه الكثير في المدينة ومكة والشام ومصر ، وكان أول من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع حيث كانت تعقد فيه حلقات للصفرية والإباضية مظهرين لزيفهم ، وكان حافظاً للعلم ، ولم يكن يهاب سلطاناً في حق يقيمه .

القيرواني ، أبو العرب تميم : طبقات علماء إفريقية وتونس ، تقديم وتحقيق : على الشابي – نعيم حسن اليافي ، الدار التونسية ، تونس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، ص ١٨٤ . أنظر أيضاً :

ابن وادران : تاريخ العباسيين (وبأخره عمال بني العباس بإفريقية إلي آخر الأغالبة) ، تحقيق : المنجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ص ٦٣٥ .

(٢) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٣٤ .

(٣) انظر : ص ٣٨ – ٣٩ .

علاقة بني مدرار بالرستميين في تاهرت .

كانت تتسم علاقة بني مدرار بالدولة الرستمية بالود ، فقد جمعت بينهم وحدة المذهب الخارجي والجوار ، هذا وقد كانت تضم كل من الدولتين رعايا من الصفرية والإباضية ، حتى أدى هذا الأمر إلى عدم التمييز بين من أعتنق المذهبين ، كما ذكر ابن خلدون في حديثه عن أبي القاسم سمكو بن واسول بأنه إباضيٌّ صفريٌّ [(١)].

كما عملت الدولتان على تجنب الدخول في حروب وصراعات رغم اختلافهما في المذهب من حيث صفري وإباضي ، وعملت كلاهما على استتباب الأمن والود بين الطرفين ، وقد كللت هذه العلاقة بعقد مصاهرة بين الدولتين ، حيث زوج اليسع بن أبي القاسم ابنه مدرار من أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم وهو ما سبق ذكره [(٢)] .

وإن دلت هذه العلاقة على أمر فهي تدل على اعتدال دولة بني مدرار في المذهب على عكس صفرية ورفجومة المتعصبين .

فمن ضمن الأسباب التي ساعدت على توطيد هذه العلاقة بين الطرفين :

أولاً : اشتراك الدولتين في عداوتهما للخلافة العباسية .

ثانياً : إقامة عدد من الرعايا الرستميين الذين كان لهم دور بارزفي الأحداث والصراعات التي قامت بين حكام بني مدرار .

فقد كان للرعايا الرستميين يدٌ في اشتعال نار الفتنة بين ولدي مدرار، بحيث ذكرنا[(٣)] أنهم ساندوا ميمون ابن أروى الرستمية حتى تمكنوا من تنصيبه في الحكم ، ولكن صفرية سجلماسة عارضوا الأمر بشدة خشية أن ينتهي بسيادة الإباضية على دولتهم، فثاروا على ابن أروى وخلعوه .

هذا إلي أن الرستميين كانوا يبعثون بزكاة أموالهم إلى أئمتهم بمدينة تاهرت يصرفونها حيث شاءوا دون أن يكون لحكام بني مدرار أي مراعاة أو اهتمام ، فمن

---

(١) حسين ، أحمد الياس : الإباضية في المغرب العربي ، مكتبة الضامري للنشر ، جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ طبع، ص ٣٩ .

(٢) انظر : ص ٤٨ .

(٣) انظر : ص ٧٠ .

ذلك وخشية على مصالح الدولة الرستمية وأمنها ، عملت على تقوية العلاقات فيما بينهم، وهذا ما يبرر لنا السبب الذي حدا بالدولة الرستمية إلى اتخاذ موقف الحياد حيال كل المشاكل والصراعات التي قامت داخل سجلماسة ، ونظيراً لذلك اتخذ حكام بني مدرار نفس الموقف حيال أي صراعات أو مشاكل قامت في تاهرت .

فتصبح بذلك الدولتان بمثابة دولة واحدة قوية ، تستطيع مواجهة أي عدو يحاول القضاء على كيانِهما السياسي ، خاصةً بعد ظهور دولة الأدارسة السنية التي قضت على الخوارج الذين كانوا في مدينة فاس [١].

ذكرت بعض المصادر : أن عبد الرحمن بن رستم تولى الحكم سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م كانت له ابنة تعرف بأروى فخطبها اليسع بن القاسم لابنه مدرار بن اليسع ، وذلك بعد أن أظهر اليسع رغبته في التودد والتقرب من عبد الرحمن بن رستم ، فأجابه إلى طلبه وزوجها من مدرار ابنه ، دون أن يلي أي اهتمام للمعترضين والمنكرين لذلك الزواج ، بنظرة مستقبلية لليوم الذي يتم فيه [٢] توثيق العلاقة الحسنة بين الدولتين ، بحيث يشكلان دولة واحدة قوية تقف في وجه أي خطر يشنه الأعداء ، حيث كان بكلا الدولتين عدد كبير من الفرسان المعروفين بالقوة والشجاعة [٣] .

لقد جاء هذا النص كتأكيد عن ما أشرنا إليه سابقاً ، وهو ما أشار إليه أحد المؤرخين حيث أورد تحليلاً لهذا النص من أن رغبة حكام الدولتين من هذه المصاهرة

---

(١) ابن الصغير : أخبار الأئمة ، ص ٩٧ . دبوز : تاريخ المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤٤٥ – ٤٤٧ .
طلفاح ، خير الله : كنتم خير أمة أخرجت للناس " أولئك أبائي " ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٥م / ١٣٩٥هـ ، ص ٧٨٨ – ٧٨٩ . محمد : دراسات ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .
الحريري ، محمد عيسى : مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي (الدولة الرستمية) ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٢٠٦ – ٢٠٩ .
زكار : مجلة دراسات تاريخية (الدولة الرستمية) ، العدد١٢ ، ص ٨٠ .
(٢) لم يوضح المصدر القصد من هذا القول هل المذهب الصفري أم الإباضي أم الاثنين معاً ، والراجح القول الأخير لإندماج المذهبين بسبب المصاهرة .
(١)الباروني : الأزهار الرياضية ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ – ١٤٥ .

كسب تأييد كل منهما للآخر ، بحيث يكون حليفاً قوياً يسانده ويؤازره [١].

وأشار رأي آخر أنه من المحتمل أن يكون وراء هذا تحالف سياسي وعلاقات ودية حسنة مهدت لإتمام هذا الزواج السياسي ، خاصةً ما كان يدور من أحداث وصراعات بين بعض دول المغرب المجاورة لهما ، مثل دولة الأدارسة العلويين ، التي كانت تتطلع إلى توسيع رقعة دولتها ، فقامت بعدة غزوات على الأراضي المجاورة لها كللت بالنجاح والانتصارات المتلاحقة ، مما كان له أكبر أثر في قيام هذا التحالف الذي قام بين دولتي الخوارج الصفرية والإباضية في بلاد المغرب [٢].

- **علاقة بني مدرار بالأدارسة في فاس.**

قامت دولة الأدارسة أقصى شمال المغرب بالقرب من سجلماسة ، وهي دولة سنيه وهو السبب الأساسي في خلق العداء بين الدولتين ، فلم تتوان دولة الأدارسة عن محاولة الانقضاض على الخوارج وتشتيت شملهم ، فقضت هذه الدولة الناشئة على معظم القبائل التي تجاور الدولة المدرارية وتدين بمذهب الصفرية مثل مكناسة ومطغرة ومديونة[٣] .

إلا أن الغريب في الأمر أنها لم تشتبك مع دولة الخوارج الصفرية في أي صراع حربي ، على الرغم من أنها تعلم بالخطر الذي يهدد كيانها ، خاصةً مهادنتها لأعدائها، وهم دولة بني أمية في الأندلس ، وقبيلة برغواطة ، والدولة الرستمية ، ربما كان اتخاذ الأدارسة لهذا الموقف هو ميل دولة بني مدرار إلى حياة السلم ، فرغم مهادنتها لأعدائها إلا أنها لم تشن أي صراع أو حرب ضدها ، رغم قيام حكام الأدارسة بمحاربة صفرية تلمسان ، إلا أنها لم تتدخل في مساندة إخوانهم في المذهب ، خاصةً وأن دولة الأدارسة كانت مشغولة في صراعها مع دولة الأغالبة [٤].

ولكن موقف دولة بني مدرار الظاهر لا يمكن أن يكون موقف مهادنة وتودد ،

---

(١) الحريري : مقدمات ، ص ٢٠٧ .

(٢)الشريف : العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب في العصر العباسي الأول ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٣) مديونة : قبيلة من قبائل مغيلة ومطماطة من ولد فاتن ، كانت تقطن نواحي تلمسان .

ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٦ ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٤) محمد : دراسات ، ص ١٢٢ .

ولكن ربما كانت لهم يد خفية تحاول عن طريقها بث الفرقة والشقاق في دولة الأدارسة ، فقد كان يقطن مدينة فاس جماعة من صفرية سجلماسة ، فمما لا شك فيه أن هذه الجماعة كانت تقدم فروض الطاعة والولاء لحكام دولة بني مدرار ، بل كانوا يدفعون زكاة أموالهم لشيوخ صفرية سجلماسة [١] .

هذا الأمر بالطبع سيؤدي إلى غضب حكام فاس ، ومن ثم نسج الخطط من أجل القضاء على كيان دولة سجلماسة ولكن الفرصة لم تواتهم ربما لانشغالهم فيما هو أجدر .

ولكن لا نستبعد أن يحاول حكام بني مدرار القضاء على سلطان دولة فاس ، لا سيما بعد أن تعرض حكام دولة الأدارسة لإخوان صفرية سجلماسة المقيمين في تلمسان[٢]، والذي كان اليسع بن أبي القاسم يرغب في السيطرة على هذا الأقليم ، فتمكن إدريس الثاني من السيطرة عليه سنة ١٧٣هـ /٧٩٠م.

وقد مكث إدريس في هذا الإقليم عاماً كاملاً من أجل تنظيم أمور الدولة ، ومن ثم عين عليه ابن عمه سليمان بن الحسن بن عبد الله ابن الحسن ، إلا أن صفرية تلمسان ثاروا على سليمان وكادوا يخرجونه من البلاد .

ولكن إدريس عاد وأمسك بزمام الأمور، وظل ثلاث سنوات بها حتى تمكن من كسر شوكة صفرية تلمسان ودانت له بالطاعة ، على شدة هذا الصراع الذي قام بين الأدارسة وصفرية تلمسان لم تسرع صفرية سجلماسة لنصرة إخوانهم في المذهب .

ربما كان السبب هو صعوبة بعث جيش من سجلماسة إلى تلمسان ، لأن طريق تلمسان يمر بدرعة ثم أغمات ثم تادلا [٣] وفاس ، فكل هذه المناطق واقعة تحت سيطرة

---

(١) إسماعيل ، محمود : الأدارسة في المغرب الأقصى (حقائق جديدة) ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٤٩ .

(٢) مدينة تلمسان Tlemsen : مدينة مشهورة يقطنها بنو عبد الواد من زناتة ، وتقع مدينة فاس غربها بانحراف نحو الجنوب ، وبين تلمسان وتاهرت أربع مراحل ، بها العديد من الحصون .

أبي الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٣٧ .

(٣) تادلا : مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى ، وقيل مدينة بين جبال صنهاجة .

القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٧١ – ١٧٢ .

الحميري : الروض المعطار ، ص ١٢٧ .

الأدارسة [١] ، وقد اكتفت دولة بني مدرار بالدفاع عن القرى والمدن المجاورة لها إذا ما أدى ذلك إلى الإضرار بمصالحها .

فعندما عمد عبد الله بن إدريس الثاني بعد السيطرة على أغمات والسوس الأقصى ومدينة نفيس ، إلى وادي درعة حيث أراد ضمه إلى ملكه ، هذا الأمر سيؤدي إلى تهديد مصالح دولة بني مدرار ، حيث يعتبر العصب الرئيسي لنشاطها التجاري ، وخاصةُ بعد استيلاء الأدارسة على مدينة تامدلت ، فما كان من اليسع بن أبي القاسم إلا الاستنجاد بزعيم الصفرية عبد الرزاق الصفري المقيم بفاس ، فحرضه على إثارة الفتن والقلاقل ليبعدهم عن ما يصبون إليه ، وبالفعل قامت ثورة صفرية بمدينة صفرو الواقعة جنوب فاس [٢].

وقد انتهت الحرب بمقتل عبد الرزاق في سنة٢٩٣هـ-٩٠٥م/٩٠٥-٩٠٦م ، قبل زوال الدولتين على يد المهدي الفاطمي بثلاث سنوات [٣] .

أورد بعض المؤرخين تحليلاً للسبب الذي جعل دولة الأدارسة تتجنب خوض الحرب مع دولة بني مدرارفقال : بأن للطبيعة الجغرافية دور كبير في هذا الأمر ، حيث يعتصم المدراريون بالواحات والسلاسل الجبلية التي شكلت حاجزاً كبيراً بينها وبين دولة الأدارسة .

لذلك كانت المناطق المدرارية التي ليس بها حماية طبيعية تجد العناء والويل من قبل الأدارسة إلى أن تمكنت من اقتطاعها [٤] .

رغم العداء الذي كان بين الدولتين إلا أنه كان بينهم تبادل تجاري ، فالقوافل

---

(١) مؤنس : تاريخ المغرب ، المجلد ١ ، ص ٣٤١ .
إسماعيل : الأدارسة في المغرب ، ص ١٥٣ .
(٢) مؤنس : تاريخ المغرب ، المجلد ١ ، ص ٣٤١ ،
انظر أيضاً : محمد : دراسات ، ص ٩٦ – ٩٧ .
(٣)العربي ، إسماعيل : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دارالمغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣ م ، ص ٤٦ .
(٤) الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩ م ، ص ١٤٠ .

كانت ، تمارس علاقاتها التجارية بين البلدين بأمان ، لـــذا يمكـــن القـــول أن الصـــراع الإدريسي – المدراري أتجه نحو توسع سياسي ، ضد دولة بني مـــدرار والتـــي قـــامت بدورها بنسج المكائد حيناً وإغفال الأمرحيناً آخر [١] .

علاقة بني مدرار بالدولة الفاطمية .

اتسمت علاقة بني مدرار بالدولة الفاطمية بطابع العداء في الظاهر ، إلا أنه مـــن المحتمل أن تكون بينهم علاقات مشتركة في الباطن ، خاصةً من حيث الغاية والأهـــداف والعداء المتأصل للخلافة العباسية ومناصريها ، فقد كانت بين عبيد الله المهدي واليسع بن مدرار علاقات حسنة قبل اكتشاف أمره ، فقد نزل عبيد الله المهدي الشـــيعي سجلماســـة متخفياً بزي تاجر ، وذلك بناءً عن خطة مدبرة بين عبيد الله المـــهدي وداعيـــه عبـــد الله الشيعي من أجل إقامة دولة فاطمية شيعية [٢] .

وقد أكرمه اليسع بن مدرار إكراماً كبيراً حتى قيل أنه عين المهدي الشـــيعي فـــي منصب الوزارة ، بل وأوصى له بالإمارة على أهل سجلماسة بعد موته ، في المقابل كـــان المهدي يبعث بهداياه النفيسة لليسع بن مدرار ، حيث كانت ترد إليه الأموال الكثيرة عـــن طريق ابي عبد الله الداعي بمساعدة من أوليائهم بكتامة [٣] .

صادف وقت ظهور عبيد الله الشيعي عهد الخليفة العباسي المعتضـــد[٤] ، والـــذي بعث بكتاب لليسع بن مدرار عامله ، يأمره بالقبض على عبيد الله الشيعي ، فقبض عليه ،

---

(١) العربي : الأدارسة ، ص ١٥٠ – ١٥١ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٣٥ – ١٣٨ .

(٢) محمد : دراسات ، ص ٢٠٩ .

(٣)الجنحاني : دراسات ، ص ٦٢ محمد : دراسات ، ص ٢٠٩ . عماد الدين ، إدريس : تاريخ الخلفـــاء الفـــاطميين بالمغرب(القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار) ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنـــان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٥ . ، عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢١٢ .

لمزيد من المعلومات عن قبيلة كتامة ودورها في حركة المهدي الشيعي انظر : لقبال ، موسى : دور كتامة في تـــاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (١١م) ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ١٩٧٩ .

(٤) بعض المصادر ذكرت أن الذي بعث بكتاب لليسع بن مدرار يأمره بالقبض على المهدي الشـــيعي هـــو زيـــادة الله الأغلبي ، قد يكون بين الروايتين رابط ، أي أن الخطاب بعث من قبل المعتضد العباسي إلى زيادة الله الأغلبـــي يـــأمره ببعث كتاب لليسع بن مدرار يأمره فيه بالقبض على المهدي .

ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥٥ . الأندلسي : الحلل السندسية ، المجلد ٢ ، ص ٢١ .

ثم حبسه في حجرة ابنته مريم وقيل أخته [1]، وحبس أبو القاسم في قرية من القري التابعة لسجلماسة ، وقد حدث ذلك بعد تأكد اليسع بن مدرار من شخصيته عن طريق وشاية رجل يهودي ، فتمكن عبيد الله المهدي من إخبار داعيه عبد الله الشيعي بالحالة التي آل إليها طالباً منه العون ، فدعا عبد الله قبائل كتامة لنصرته ، فاجتمع حوله جيش كبير تمكن به من دخول بلاد المغرب والقضاء على دولة بني الأغلب من ثم توجه إلى سجلماسة ، وبعث عبد الله الشيعي خادمه الذي يعرف باسم شفيع يطلب من اليسع بن مدرار أن يخرج المهدي من سجنه ، مقابل أن يكفيه الحرب ، وإعطائه ما يطلب ، ولكن اليسع بن مدرار لم يقبل بما عرضه عبد الله الشيعي ، وقتل الخادم ومن حضر معه .

فلما بلغ عبد الله الشيعي ما حدث بعث بوفد آخر من بينهم محمد بن يحيى اليشكري ويعلي بن باطيط الرماني ، مهدداً ومتوعداً اليسع بن مدرار إن تمادى في عصيانه ، فما كان من اليسع بن مدرار إلا القبض على الوفد وزج بهم في السجن مكبلين، فعلم بذلك عبد الله الشيعي فسار بجيشه صوب سجلماسة ، فخرج إليه اليسع بن مدرار بجيشه والتقى الطرفان ، حيث دارت بيهم معركة قوية استمرت ساعة ، قتل فيها عدد كبير من جيش اليسع بن مدرار ، ثم تمكن عبد الله الداعي الشيعي من الدخول إلى معسكر العدو ، فتراجع الجيش إلى المدينة ، فتبعهم عبدالله بجيشه ، إلا أن جيش عبدالله اضطر للتراجع إلى معسكرهم بسبب قرب المساء وحلول الظلام .

فما كان من اليسع بن مدرار إلا الهروب بأهله دون أن يعلم أحد عن هذا الأمر ، إلا في الصباح حيث توجه لعبد الله الشيعي جماعة من أهل سجلماسة يخبرونه بهروب اليسع بن مدرار ، وبالمكان الذي سجن فيه عبيد الله المهدي ، فتوجه عبد الله الداعي إلى سجن عبيد الله وأخرجه وابنه ، فسر بذلك أشياعهم في المذهب ، وعبد الله الداعي يسير

---

(١) مجهول : الإستبصار ، ص ٢٠٤ . الناصري : الإستقصا ، جـ ١ ، ص ١٥٣ .
القضاعي ، محمد بن سلامة : تاريخ القضاعي – كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، دراسة وتحقيق : جميل عبد الله محمد المصري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص ٤٩١ ، ٤٩٧ – ٤٩٨ .
الطرابلسي ، نوفل : صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ، ص ١٥٥ .

وهو يشير إلى المهدي قائلاً : ((هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون)) ، ثم طلب من أهل سجلماسة الخروج من البلاد قائلاً : ((لا يحل لكم أن تستوطنوا بلداً امتحن فيه الإمام)) ، فخافوا منه فخرجوا بعد أن سلبهم وأخذ أموالهم نساءً ورجالاً ، ثم طلب المهدي من عبد الله الشيعي أن يخرج أعوانهم من السجن ، ولكنهم تمكنوا من الفرار بعد أن علموا بهروب اليسع بن مدرار [١] ، وقام بحرق البلاد ، وعمد إلى نشر المذهب الشيعي بالقوة وشدد في فرض الضرائب على أهل البلاد [٢] .

ثم توجه عبد الله الشيعي بجيشه للحاق بالسيع بن مدرار ومن تبعه ، إلا أنهم لم يتمكنوا من اللحاق بهم ، إلا أنه قتل بيد طائفة من رعيته كانوا يحقدون عليه[٣].

أما المهدي الشيعي فقد أحكم سيطرته على بلاد المغرب بالقضاء على دولة الأغالبة ، والرستمية ، وبني مدرار .

كما ولى حكم دولة سجلماسة القائد الشيعي إبراهيم بن غالب المزاتي ، ولكن ولايته كانت قصيرة بسبب الثورة التي قام بها أهل سجلماسة ضده ، حيث انتهت بقتل إبراهيم بن غالب ، فتقلد الحكم الفتح بن الأمير ميمون ، بذلك أصبح الحكم لبني مدرار إلا أنها تحكم باسم الدولة الفاطمية .

---

(١) ذكرت رواية : في وقت اشتغال الناس بالسلام على المهدي وازدحامهم للنظر إليه ، فر اليسع بن مدرار وأصحابه من المدينة إلى الصحراء فنزلوا عند قبيلة صنهاجة .

وهي رواية غريبة لم ترد في أي مصدر آخر . اليماني ، محمد بن محمد: مذكرات في حركة المهدي الفاطمي – سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وآله الطاهرين ، مجلة كلية الآدآب بالجامعة المصرية ،المجلد الرابع ، جـ٢، ديسمبر ١٩٣٦ ، ص١٢٦ . انظر أيضاً : المقريزي ، تقي الدين أحمد : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة ، الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الأسلامي ، القاهرة ، الكتاب الثاني عشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، جـ ١ ، ٦٥ – ٦٦ .عماد الدين : تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ص ١٥٩ – ١٦٠ . مجهول : الإستبصار، ٢٠٥ –٢٠٦ . الأندلسي:الحلل السندسية ، المجلد٢، ص٢١ –٢٢.

(٢)عماد الدين : تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٩ – ١٦٠ . ابن عذاري : جـ ١ ، ص ١٥٣ – ١٨٥ .

(٣) بعض المصادر أشارت إلى قتل أبي عبد الله الشيعي لليسع بن مدرار أثناء الحرب التي دارت بينهما .

مجهول : الأستبصار ، ص ٢٠٥ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٧ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ص١٣١ . ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربي ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٤٧ .

وقد استمر حكم بني مدرار المستقل حتى سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م ، وظلوا تحت التبعية الفاطمية إلى سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م حيث قضى خزرون بن فلفول الزناتي عامل المنصور بن أبي عامر بسجلماسة آخر من حكم من بني مدرار[1] .

جميع الأحداث السابقة تأكد صحة ما سبق وأن ذكرناه عن حسن العلاقة القائمة بين الطرفين ، فما الذي جعل الدولة الفاطمية تعمد إلى ترك الحكم لبني مدرار حتى بعد السيطرة عليها ؟ أهو حسن العلاقة التي كانت بين الطرفين قبل اكتشاف أمر المهدي ؟ أم أن اليسع بن مدرار اضطر إلى القبض على المهدي خشية على دولته من العباسيين والأغالبة .

وهل كان هذا التصرف الصادر من اليسع بن مدرار حقيقة واقعية ؟ أم أن اليسع بن مدرار قام بهذا التصرف في الظاهر فقط حتى يوحي للعباسيين والأغالبة بأنه استجاب للأمر ، بينما هي مؤامرة دارت بين المهدي واليسع بن مدرار حتى لا يكتشف أمرهما .

فدليلنا على هذا الرأي هروب اليسع بن مدرار في نفس ليلة اليوم الذي دارت فيه المعركة بين المهدي واليسع بن مدرار ، فقد تكون هذه مؤامرة محكمة بين الطرفين ، فما الذي جعل اليسع بن مدرار يهرب رغم أن الغلبة كانت له ؟ وأن المهدي ما زال مسجوناً لديه ، وهو الأمر الذي يستطيع اليسع بن مدرار أن ينتهزه لحماية مملكته .

الأمر الأخر كيف استطاع اليسع بن مدرار الهروب وجيش عبد الله الشيعي يحاصر المدينة من الخارج ؟ فمن غير المعقول أن يتراجع جيش عبد الله الشيعي بعيداً عن المدينة ، هل كان هناك سراديب سرية هرب اليسع بن مدرار عن طريقها ؟ [3] .

وما الذي جعل اليسع بن مدرار يبقي على المهدي لديه دون أن يبعث به إلى حكام

---

(١) أشارت بعض المصادر أن الذي قضى على دولة سجلماسة هو القائد الشيعي جوهر الصقلي ، الذي تمكن من القبض على الشاكر لله ووضعه في قفص من خشب ، وطيف به في البلاد ثم سجن .

مجهول : ثلاث نصوص عربية عن البربر في المغرب الإسلامي (كتاب مفاخر البربر) ، دراسة وتحقيق : محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولى ، مدريد ، ١٩٩٦ ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ .

(٣) ذكر البكري بأن مدينة سجلماسة بها مباني سرية ، وكأنه يخبرعن وجود أنفاق أو سراديب تحت الأرض .

البكري : المغرب ، ص ١٤٨ .

بني العباس أو بني الأغلب الذين تلقى منهم أمر القبض على المهدي ؟

والأمر الأخر ما قيل عن حبس اليسع بن مدرار للمهدي في حجرة ابنته فهل هذه الرواية تأخذنا إلى الأمر الخفي في العلاقة التي كانت بين الطرفين المهدي الشيعي واليسع بن مدرار ؟ وهو احتمال وجود علاقة مصاهرة بين الطرفين ، فما – مما يدعوللدهشة – الأمر الذي جعل اليسع بن مدرار يقوم بحبس المهدي الشيعي ، في حجرة ابنته ؟ وقد كان بإمكانه أن يقوم بحبسه في أي مكان آخر ، وكأن المؤرخ أراد التصريح عن أمر سياسي خطير يعجز عن البوح به في ذلك العهد ، آملاً من أنه سيأتي يوم يستدل به المؤرخون إلى الأمر الخطيرالذي أراد كشفه .

الأمر الأخر تعيين المهدى أحد أبناء بني مدرار بعد أن علم عن مقتل الوالي الشيعي الذي تم تعيينه ، فلو لم يكن هذا نتاج خطة مدبرة بإحكام ، لقام المهدي بتعيين والٍ شيعي آخر ، ولقام بحركة تأديب وردع لشعب سجلماسة .

وبعد استيلاء المهدي الشيعي على سجلماسة أمر بحرقها ، فأشعلت فيها النيران في هذه الرواية تدعو إلى الدهشة فكيف لمدينة سجلماسة أن تستمر ويبقى عهدها ، وقد أُحرقت ، فكان جديراً بالذكر أن يخلى شعب سجلماسة المدينة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، فلم تذكر المصادر عن حدوث كارثة من هذا القبيل في سجلماسة سوى مصدر واحد فقط ، وكيف للمهدي أن يولي قائداً شيعياً على شعب سجلماسة وقد أمر بحرقها ؟! كل هذه الأمور تحتاج إلى بحث دقيق ، إلا أن البحث عجز عن هذا الأمر للأسباب التي أشرنا إليها من قبل وهو عدم ذكر المصادر لهذه التفاصيل.

أما قضية نشر المذهب الشيعي بحد السيف فربما حاول الشيعي ذلك مع صُفْرية سجلماسة ولكن دون جدوى ، ولكن هل كان حكام بني مدرار مؤيدين لهذه المسألة ؟ وإذا كان الجواب بالنفي ، فلماذا لم يذكر دورهم في رفض الأمر ؟ ولماذا لم يقوموا بأي حركة معارضة ضد الحكم الفاطمي ؟ بل قبلوا بأن يبقى حكمهم لمدينة سجلماسة اسمياً ، ويخطبوا باسم المهدي الشيعي .

والذي زاد الأمر تعقيداً عدم ذكرالمصادر للسبب الذي جعل المهدي يقصد سجلماسة عن غيرها من المدن ، هل كان لكونها إمارة مستقلة سياسياً ومذهبياً عن

حكم الطرفين بدأ قبل دخول المهدي لمدينة سجلماسة رغم بعد هذه المدينة، وحتىعندما قدم عبد الله الشيعي بلاد المغرب لم يتوجه لمدينة سجلماسة فور وصوله بل اتجه إلى دولة الأغالبة وقضى عليها وعلى الدولة الرستمية ثم توجه إلى سجلماسة خاصةً وأن سجلماسة هي غايته لإنقاذ مولاه عبيد الله [١] .

كل هذه الأسئلة تحتاج إلى أجوبة ومبررات ، إلا أن المصادر جميعها اكتفت بذكر الأمور الأساسية دون الفرعية ، فربما لو تم توضيح بعض الأمور لزاحت الغمامة ، ولتمكنا من الوصول إلى الأمر النهائي الذي لا شك فيه .

والذي يثبت صحة ما أشرنا إليه ، أن الشخص الذي قضى نهائياً على دولة بني مدرار هو عامل دولة بني أمية في الأندلس خزرون بن فلفول الزناتي ، وليس الدولة الفاطمية على الرغم من أن جميع دويلات المغرب قضي عليها نهائياً منذ أن دخلها عبيد الله المهدي الشيعي ولم يعد لها أي ذكر .

بعض المصادر أشارت إلى تعيين المهدي لبعض رجال سجلماسة [٢] ، وذلك بعد استيلائه على البلاد وهو أكبر دليل على صحة ما سبق وأن ذكرنا [٣] .

هذا إلى أن عبيد الله المهدي استطاع القضاء على دويلات المغرب سنة٢٩٧هـ،فيما استمر حكم بني مدرار لدولة سجلماسة إلى سنة٣٤٩هـ أو٣٦٦هـ [٤] وهو التاريخ الذي قضى فيه على حكم بني مدرار نهائياً ، أليس هذا بفارق كبير ؟ حيث يقرب من خمسين سنة ، على عكس بقية دويلات المغرب .

---

(١) محمد : دراسات ، ص ٢٠٩ .

(٢) استحجب عبيد الله المهدي أبا سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمسلم السجلماس .

بن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٥٩ . أنظرالملحق شكل(١٠) .

(٣) أنظر : ص ٧٨ .

العبادى : في التاريخ العباسي ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

الفصل الثالث

٧٠ - ٨٢

علاقة بني مدرار بالقوى السياسية الخارجية .

- علاقة بني مدرار بالعباسيين .
- علاقة بني مدرار بالأمويين في الأندلس .

علاقة بني مدرار بالقوى السياسية الخارجية .

بدأت علاقة بني مدرار بالقوى الخارجية منذ الوهلة الأولى من ظهور مذهب الخوارج الصفري ، حيث بلغ انتشاره إلى خارج حدود بلاد المغرب ، فوصل إلى بلاد السودان وما جاورها من مدن وقرى ، فقد عمل أبو القاسم سمكو لنشره خارج نطاق دولته ، فكان لعنصر السودان دور كبير في بناء دولة سجلماسة ، بل اختار أبو القاسم سمكو عيسى بن يزيد الأسود إماماً عليهم (١) .

وبعد بناء دولة سجلماسة وتشكيل كيانها السياسي ، استمرت علاقتها مع الدول الخارجية عن طريق عنصرهام وهو عنصر التجارة الذي سهل العلاقة بينها وبين الدول الأخرى ، كما عمل حكام الدولة على اصطناع هذه العلاقة حتى يتمكنوا من توسيع رقعة دولتهم ، وإيجاد حلفاء أقوياء ينضمون إليهم ، ولكي تواكب هذه الدويلة المدن الحضارية الكبرى المجاورة لها ، فقد سلكوا سياسة اللين في التعامل مع هذه الدول ، بل كان يخروج من سجلماسة علماء يتوجهون إلى هذه المدن الخارجية لنشر الإسلام ، وهو العامل الأساسي الذي ساعد على انتشار الدين الإسلامي خارج نطاق بلاد المغرب الأقصى .

كما كان يحضر إلى سجلماسة من هذه المدن طلاب العلم للحصول على قدر وافو من العلوم والمعرفة (٢) .

وقد عبر أحد المؤرخين عن المكانة التي يجدها التجار ، فقد كانت لسجلماسة تجارة رائجة إلى بلاد السودان وغيرها من البلاد ، هذا إلى كثرة من يرد إليها من التجار مما ساعد على كثرة الارباح .

وبالإضافة إلى ما سبق كان للصفات الحسنة التي اتصف بها أهل سجلماسة دور في مرونة التعامل مع التجار ، وهو ما امتاز به أهل سجلماسة عن غيرها من مدن المغرب من جهة المروءة والفتوة ، وإن كانت بينهم خلافات ونزاعات فهم يتناسونها عند الشدائد .

---

(١) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٦١ – ٦٢ .

(٢) مؤنس : تاريخ المغرب ، المجلد ١ ، ص ٣٦٥ – ٣٧٦ .

زيادة ، نقولا : دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ، رياض الريس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١، ص ١٢٨ .

كما عرفت سجلماسة بكثرة العلماء والمشايخ التواقة نفوسهم للعلم والمعرفة [١]، هذا إلى قدوم بعض من علماء وطلاب الفقه والحديث إلى بلاد المغرب ، من أجل القضاء على المذاهب الهدامة التي غزت بلاد المغرب ، من ضمنهم الفقيه المالكي عبد الرحمن بن زياد ، والذي كان له الفضل الكبير في نشر المذهب المالكي السني في بلاد المغرب وما جاورها من المدن والقرى ، فسرعان ما قبله أهل هذه البلاد ، بعد تأكدهم من صحته، والفارق الكبير بينه وبين غيره من المذاهب [٢] .

علاقة بني مدرار بالعباسيين .

أشرنا سابقاً [٣] إلى طبيعة العلاقة التي كانت بين بني مدرار وحكام بني العباس ، وهي العداء المتأصل بين الطرفين ، إلا أنه لم يسفرعن قيام حروب وصراعات بينهما ، بل تخللت هذه العلاقة فروض من التبعية وتبادل المصالح بين الطرفين .

فمنذ إمامة أبي القاسم سمكو لصُفْرِية سجلماسة عمل على توفير الأمن والرخاء لإمارته وشعبه ، فأول الأعمال التي قام بها في سبيل ذلك هو تحسين علاقته مع خلفاء الدولة العباسية ، حيث خطب باسم الخليفتين المنصور والمهدي [٤] .

ربما كان سبب هذه العلاقة ما قيل من أن أبا القاسم سمكو كان معاصراً للوالي يزيد بن حاتم الذي كلف بالقضاء على الخوارج من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور فاستطاع القضاء على ثوراتهم وتعقب فلولهم ، لذلك وخوفاً على كيان إمارته عمل أبو القاسم سمكو على تقديم فروض الطاعة والتبعية ، فمن ذلك تكونت العلاقة الحسنة بين الطرفين ، وهو أمر يدخل في إطار مبدأ التقية الذي تقره تعاليم المذهب الصُفْري تجنباً للأخطار التي يمكن أن تحدث [٥] .

---

(١) ابن حوقل : ص ٩٦ . السبتي ، عبد الأحد – فرحات ، حليمة : المدينة في العصر الوسيط قضايا وثائق في تاريخ المغرب الإسلامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، ص ٩٨ .

(٢) أبو العزم : الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتي قيام دولة المرابطين ، ص ٢٣٨ – ٢٤٠ .

(٣) انظر ص ٦٨ .

(٤)ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

(٥) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٣٠ .الشريف: العلاقات ، ص١٠٢–١٠٣. شافعي ، لمياء: المغرب الأدنيفي عهد ولاة بني العباس حتي قيام الأغالبة ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤١٠هـ ، ص ٢٥٢ .

وقد أدت العلاقة الحسنة مع الخوارج إلى الإشاعة عن اعتناق يزيد بن أبي مسلم للمذهب الصُّفْري ، والذي كان متعاطفاً مع أصحاب هذا المذهب ، فقد قيل إنه لم يتمكن من الجهر بالأمر خوفاً أو تقية (١).

لا يمكننا أن ننكر هذا القول ، إلا أننا لو قرنا سياسة الشدة التي اتخذها يزيد بن أبي مسلم مع البربر والتي أدت في النهاية إلى قتله ، تنفي هذه المقولة فلو صحت لما عمد يزيد بن أبي مسلم إلى الشدة مع البربر، بل لقام بعدة محاولات للتقرب منهم وكسبهم حتى يتمكن من ترغيبهم في اعتناق مذهب الخوارج ، وإنما كل ما في الأمر هو محاولة تشويه شخصية بعض الولاة ، ربما أريد بذلك ترغيب البربر في اعتناق مذهب الخوارج.

كما أنه كان يَفِد طلاب من سجلماسة إلى المشرق ليحصلوا على العلوم والمعرفة من المشايخ المقيمين بها ، فكانت مواسم الحج تعج بالحجيج القادمين من بلاد المغرب لأداء فريضة الحج ، والالتقاء مع ذويهم حيث يتم تبادل المصالح بينهم ، ثم يعودون إلى بلادهم (٢) .

وقد تحدثت المصادر عن وجود علاقات ثقافية وفكرية قديمة بين خوارج المشرق والمغرب ، ودللوا على ذلك ، بما كان من عكرمة (٣) مولى ابن عباس ، الذي كان أحد الفقهاء التابعين بالمدينة المنورة ، يرجع إلى أصل بربري ، وممن أخذ برأي الخوارج ، فاجتمع إليه جماعة من أهل المغرب ممن اعتنق هذا المذهب ، فكان من بين هذه الجماعة سمكو بن واسول بن مصلان جد حكام بني مدرار ، أدرك التابعين وأخذ عنهم ، وهو أحد علماء البربر .

وفي رواية أخرى أن عكرمة رحل إلى المغرب،وأخذ يدعو إلى المذهب الصفري،

---

(١) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٤٩ .

(٢) عبد الرزاق : الأغالبة سياستهم الخارجية ، ص ١١٩ – ١٢١ .

(٣) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله ، أصله من البربر ، كان عبداً للحصين بن الحر العنبري ، فوهبه لعبد الله بن عباس رضي الله عنه ، ولى الأخير البصرة لعلي بن أبي طالب ، وقد اجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنة ،حتى أصبح عكرمة أحد كبار علماء وقته ، كثير العلم والحديث بحراً من البحور ، توفي عكرمة بالمدينة المنورة سنة ١٠٥هـ وهو ابن ثمانين سنة .

الشريف : العلاقات ، ص ١٧١ .

حيث كان يقيم حلقة للعلم في مؤخرة مسجد القيروان ، فاجتمع به جماعة من الخـــوارج الصُّفْرية بالمغرب ، وقد كان معهم سمكو بن مصلان الذي التقى بعكرمة بالمدينة المنورة وأخذ عنه ، فتعلموا على يد الأخير تعاليم المذهب الصُّفْري ، وقد قيل أيضاً إن عيسى بـن يزيد الأسود أخذ من عكرمة تعاليم المذهب ، بينما في رواية أخرى ذكرت أنه تلقى تعاليم المذهب على يد أبي القاسم سمكو بن واسول [١] .

فربما كان عنصر الفكر الثقافي هو السبب الرئيسي الذي جعل حكام بني مـــدرار يعمدون إلى اصطناع حسن العلاقة مع الخلافة العباسية حتى يتيسر لهم الالتقاء بأئمتـــهم وإخوانهم في المذهب ممن يقيمون في بلاد المشرق .

وقد سار حكام بني مدرار بسياسة أبي القاسم سمكو مع الخلافة العباسية فهذا اليسع بن مدرار الذي رضخ لأمر الخليفة العباسي عندما بعث له بخطاب يأمره بالقبض علـــى المهدي الشيعي ، فقبض عليه وسجنه [٢] .

وقد بحثنا هذا الأمر سابقاً [٣] عندما قدمنا تحليل العلاقة بين بني مـدرار والدولـة الفاطمية ، والدليل الأخر الذي ذكرته المصادر عن حسن العلاقة هو اعتناق الشـــاكر لله للمذهب السني ونبذ مذهب الخوارج الصُّفْرية .

وقد علق أحد المؤرخين على هذا الأمر مبدياً عدم تأييده للرأي الذي أكد وجـــود علاقات حسنة بين الطرفين فذكر أن دعوة الشاكر لله لبني العباس لـــم تكـن إلا لـــهدف سياسي ، وهو إثارة أهل السنة ببلاد المغرب ضد الفاطميين الشيعة ، وهو مـــا قـــام بـــه الخارجي أبو يزيد مخلد بن كيداد [٤] عندما ثار على الفاطميين .

---

(١)ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ . الشـويف: العلاقات ، ص ١٧١ .

(٢)القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ .

(٣) انظر ص ٧٩ .

(٤)أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي : هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان ، وهو أبو الكاهنـــة ، جاء أبو يزيد من جبل أوراس يزعم أنه يدعو إلى الحق ، فصدقه الناس وظنوا أنه جاء ليقيم السنة ، فحـــارب الشـيعة وذلك في سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، وقد كان أبو يزيد على مذهب الخوارج الإباضية النكارية .

ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٦ – ٢١٧ . داداه : مفهوم المُلْك ، ص ٧١ .

ومما يشير إلى صحة هذا الرأي ما قيل من أن الشاكر لله ضرب العملة دون أن يضع اسم الخليفة العباسي عليها هذا إلى انتحاله لقب أمير المؤمنين ، وهو ما دل عليه قول القلقشندي من أن دعاء الشاكر لله لخلفاء بني العباس كان غرضه التمويه حتى يتقي خطرهم ، فليس من المعقول أن ينسى خلفاء بني العباس ما قام به أصحاب المذهب الخارجي ، من اقتطاع أجزاء من الدولة ، هذا إلى ما تبذله الخلافة العباسية من جهود في سبيل القضاء على فرق الخوارج في المشرق ، ولا أدل على شدة عداء بني مدرار لخلفاء بني العباس من قيام بني مدرار بالتحالف مع بني أمية بالأندلس ألد أعداء خلفاء بني العباس[١] .

أما البحث فيؤيد رأي الأخير في حين لا يمكنه إنكار الرأي المخالف ، فمعظم الدول في ذلك العصر كانت تسير في علاقتها مع الدول الأخرى بما تقتضي عليه مصالحها كما ذكرنا سابقاً [٢].

أما الدليل الأخر على سوء العلاقة بين بني مدرار وخلفاء بني العباس فيظهر في علاقتها مع الدول التابعة للخلافة العباسية فلم ترد لنا أي معلومة من أي مصدر تشير إلى وجود تعامل أو تحالف بين الطرفين ، فلو كان حكام بني مدرار عمال للخلافة العباسية ، لكان بينهم علاقات ود ، ولتيسر للخوارج الصُّفرية من سجلماسة التجوال في مدن الشرق الإسلامي بحرية ، ولكن شيئًا من ذلك لم يتم .

فقد قيل بأن الخلافة العباسية كانت تبث العيون والجواسيس حتى يترقبوا تحركات الخوارج ، لذلك لم يكن من السهل عليهم التجوال بيسر وسهولة وهذا أيضاً يعتبر سبب آخر للعداء بين الطرفين [٣].

لذلك انتهز الخوارج الصُّفْرية وغيرهم فرصة الذهاب إلى الحجاز لزيارة الأراضي بغرض أداء فريضة الحج ، لأنها المناسبة الوحيدة التي لا يمكن لأحد أن يمنعهم منها حتى وإن اختلف المذهب .

---

(١) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٣٠ .

(٢) انظر : ص ٦٩ .

(٣) الشريف : العلاقات ، ص ١٧٣ – ١٧٤ – ١٧٥ .

وبذلك كان موسم الحج هو الوسيلة الوحيدة التي تتيح للخوارج تحقيق ما يصبون إليه من إمكانية الإلتقاء بعلماء المذهب بالمشرق ، والاتصال برؤساء وعلماء المذهب القادمين من أرجاء العالم الإسلامي (١) .

بل نجد أن فقهاء وعلماء الخوارج كانوا يحثون مؤيديهم على الخروج لأداء فريضة الحج ليتسنى لهم الاجتماع بهم ، والاستزادة من علمهم ، كما كانت الأموال ترد لفقهاء المذهب من أغنياء الخوارج عن هذا الطريق ، فكثر بذلك خروج الخوارج لأداء فريضة الحج والعمرة ، مما أثار مخاوف حكام بني العباس منهم ، هذا ما جعلهم يأخذون الحيطة والحذر من أهل المغرب ، حيث كانت أكثر قبائل المغرب خروجاً لأداء فريضة الحج ، هم أهل جبل نفوسة وهم على مذهب الخوارج الصُفْرية ، فكانوا يصطحبون النساء والبنين ، فلا نستبعد خروج أعداد كبيرة أيضاً من أهل سجلماسة خاصةً وأن أهلها عرفوا بمهارتهم في التجارة ، فكان ذلك فرصة سانحة بها العديد من الفوائد من أداء فريضة الحج ، وزيادة العلم والمعرفة من علمائهم ، وممارسة التجارة ، ومن المؤكد محاولة نشر مذهب الخوارج وهو الأمر الذي كان يخشاه خلفاء بني العباس .

وقد ذكرت رواية أن جماعات من الخوارج كانت تخرج من عُمان والعراق وحضرموت وغيرها لأداء فريضة الحج في مكة المكرمة والاجتماع مع كبار رؤساء وفقهاء المذهب للنظر في القضايا المختلفة وأخذ القرارات المناسبة لها ومن ثم تعميمها عليهم ، وبذلك جُعل موسم الحج والعمرة فرصة يجتمع فيها الخوارج من جميع أقطار العالم الإسلامي(٢).

وقد أبدى بعض المؤرخين رأياً موافقاً للآراء السابقة فيقول : كيف لدولة بني مدرار أصحاب مذهب الخوارج الصُفْرية تبعية وتأييد خلفاء بني العباس وهي ما قامت بهذا المذهب إلا تأكيداً للمعارضة والشقاق ؟

وحتى إذا لم يتيسرلها تجنيد الجنود وغزو دارالخلافة ، فلا يدل ذلك على أنها

---

(١) الشريف : العلاقات ، ص ١٧٤ .

(٢) الشماخي ، أحمد بن سعيد : كتاب السير ، تحقيق : أحمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، عمان، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ، جـ ١ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ . الشريف : العلاقات ، ص ١٧٥ .

نبذت ما بها من عداء و إنكار لشرعية الخلافة وحكمها ، ولا أدل على سوء العلاقة بين الطرفين من قيام حكام بني الأغلب بمناصبة العداء للمدراريين مذهباً ودولة ، حتى أن الأطماع السياسية جعلت بني الأغلب يعمدون إلى التوسع والتغلغل على حساب دولة بني مدرار إلى ما وراء حدود إفريقية ، هذا إلى ما سبق وأن ذكرناه حول السياسة التي انتهجها بنو الأغلب مع الخوارج الصُّفْرية ، حيث منعت الحلقات التي كانت تقام في القيروان ، ومعاقبة كل من خالفهم (١) .

ولكن رغم شدة العداء المذهبي إلا أننا نجد بعض القوافل كانت تجتاز المغرب إلى سجلماسة ، حيث سكنها بعض تجار أهل العراق والبصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقيمون على طريق سجلماسة التجاري (٢) .

وكأن ذلك يدل على أن دولة سجلماسة كانت تضم جماعات من رعايا المشرق وتجارها ، فإذا صح هذا القول فإن الرأي القائل بقيام علاقات حسنة بين بني مدرار وخلفاء بني العباس هو الأصح .

فلو كانت العلاقة بين الطرفين سيئة لماعمد جماعة من المشرق بالإقامة بسجلماسة ومشاركة أهلها في خيراتهم وتجارتهم (٣) .

أما البحث فيرجح الرأي الذي يشير إلى سوء العلاقة بين بني العباس وبني مدرار، وربما كانت الجماعة التي نزحت إلى سجلماسة هي عبارة عن عيون وجواسيس ، بعثت بها الخلافه العباسية كي ترصد لها تحركات الخوارج ، وبالتالي تستطيع عن طريق هذه الجماعة إنشاء خطة محكمة للقضاء على هذه الدولة ، والدليل على ذلك أن المصدر الذي ذكر وجود جماعات من المشرق في سجلماسة لم يذكر أنها اعتنقت مذهب الخوارج ، هذا إلى جانب اختيار هذه الجماعة الإقامة على الطريق التجاري ، وهو أكبر دليل على ما ذكره البحث، فعن طريق التجار تتمكن هذه الجماعة من معرفة كل ما يحدث في الدولة ، هذا إلى أن الخلافة العباسية تدرك مدى أهمية الطريق التجاري بالنسبة لسجلماسة فهو

---

(١) محمد : دراسات ، ص ١٢٢ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٣٢ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٥ . لم ترد هذه الرواية إلا في هذا المصدر .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

الشريان أوالعصب المحرك لنشاط وقوة الدولة ، وكأن الخلافة العباسية أوشكت أن تقضي على سجلماسة ، إلا أن قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب أفشل خطتها في القضاء على الخوارج ، بل توجه اهتمامها إلى كيفية القضاء على الخطر الشيعي ، وأصبحت بين بني مدرار وبني العباس مصالح مشتركة حينما طلبت الخلافة العباسية من اليسع بن مدرار القبض على المهدي الشيعي ، فكان هذا الأمر دافعاً لجعل بعض المؤرخين يؤكدون حسن العلاقة بين الطرفين(١) .

- **علاقة بني مدرار ببني أمية في الأندلس .**

تكللت علاقة بني مدرار مع دولة بني أمية في الأندلس بالود ، والتعاون المشترك فيما بينهم سياسياً واقتصادياً ، فلم يكن للاختلاف المذهبي والبعد الجغرافي أي تأثير،وذلك بسبب توافقهم في الأهداف ،حيث تسعى كلا الدولتين إلى القضاء على الخلافة العباسية(٢).

بدأت العلاقة بين المغرب والأندلس في الظهور منذ وقت مبكر ، وذلك عندما أقلم بربر بلاد المغرب ثورة عارمة ضد ولاة الخلافة العباسية والعرب ، حيث شارك بربر الأندلس إخوانهم في عدائهم للخلافة والعرب ، فقاموا بعدة ثورات ضدهم ، حتى أن الخلافة عجزت عن كبح جماحها إلى أن استقل الأمير عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان (٣).

أما الأمر الآخر الذي تسبب في تقوية العلاقة بين بني مدرار وبني أمية في الأندلس فهو توجه الأمير عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان [مؤسس دولة بني أمية في الأندلس] ، إلى المغرب بعد فراره من الوليمة أو المذبحة التي أقامها الوالي العباسي عبد الله بن علي على نهر أبي فرطس من أجل القضاء على بني أمية (٤) ، فتوجه إلى تاهرت ثم إلى المغرب الأقصى حيث انضم إلى قبيلة نفزاوة

---

(١) محمد : دراسات ، ص ١٢٠ – ١٢١ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

(٢) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٤١ .

(٣) الناصري : جـ ١ ، ص ١١١ – ١١٢ . الثعالبي : ص ١٥٤ – ١٦٠ . سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٢٩ – ٢٣٣ . مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٩١ .

(٤) الجميلي : دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، ص ٢٧ – ٢٨ .

البربرية والتي قيل أن والدة عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام تنتسب إليها ، فلم يعجز أخوال عبد الرحمن عن مساندته وحمايته من خلفاء بني العباس حتى تمكن من إنشاء دولة مستقلة عن الخلافة العباسية [١].

فلا ريب أن يعقد حكام الأندلس العلاقات الحسنة مع حكام بني مدرار ، بغض النظر عن اختلاف المذهب ، خاصة وأنها كانت تخشى من بطش دولة الأغالبة عليها من البر والبحر ، فقد كانت دولة الأغالبة تنافس دولة بني أمية الأندلس في غرب ووسط البحر المتوسط ، رغبة في القضاء على نفوذهم [٢] ، لذلك كان وجود دولة بني مدرار مثل السد المنيع لها من البر ، في المقابل كانت دولة بني أمية في الأندلس مثل السد المنيع بالنسبة لدولة بني مدرار من جهة البحر، فلا يستطيع الأغالبة بذلك التغلب على الدولتين بسهولة ، وهو الأمر الذي جعل دولة بني مدرار في موقع حصين ، بين دولة بني رستم من البر ودولة بني أمية من البحر .

هذا إلى أن دولة بني مدرار كانت تفتقر إلى وجود الموانئ الساحلية ، فتمكنت من جراء حسن العلاقة مع بني أمية من الحصول على منافذ ممتازة تطل على الساحل الأطلنطي، حيث تتصل بموانئ الأندلس ، وهذا ماجعل الأندلس تعج بعناصر صفرية ، وجعل دولة سجلماسة تعج أيضاً بعناصر أندلسية [٣] .

أما الدور البارز الذي لعبه أهل الأندلس المقيمين في دولة سجلماسة فهو مشاركتهم في الجانب المعماري للدولة ، حيث ساهموا في جعل الدولة من أرقى مدن المغرب روعة وجمالاً ، بإدخالهم الطابع الأندلسي الذي بلا شك شمل كل ركن من أركان الدولة [٤] .

من هنا نستدل على أن علاقة حكام بني مدرار بحكام بني أمية كانت عبارة عن علاقة تبادل مصالح مشتركة .

---

(١) العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٩١ .

(٢) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٤١ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٤٢ .

(٤) محمد : دراسات ، ص ١١٦. بنعبد الله ، عبد العزيز : التراث الحضاري المشترك بين أسبانيا والمغرب (الفن المعماري بالمغرب والأندلس الأخذ والعطاء)،غرناطة،١٧ – ١٩ ، شوال ، ١٤١٢/ ٢١ –٢٣أبريل ١٩٩٢، ص٣٠٥ .

وفي أواخر عهد الأمير الحكم بن هشـــام١٨٠-٢٠٦هـــ/٧٩٧ -٨٢١م ســـاءت العلاقة بين الطرفين ، ربما كان السبب في ذلك هو قبول حكام دولة بني مـــدرار إيــواء أعداد غفيرة من الأندلسيين الذين نزحوا إليهم من جراء ثورة الربض التي حدثت بقرطبة.

وعلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سرعان ما عادت العلاقات الحســنة بيــن الطرفين ، حيث وثق صلته بأمير دولة بني مدرار ميمون بن مدرار الملقب بالأمير بعدما اشتد الخطر الأغلبي في البحر الأبيض المتوسط ، رغبة من الخليفة الأموي عبد الرحمــن الناصر في مساندة دولة بني مدرار له ، خاصة بعد القحط الشديد الذي أصاب البلاد ســنة ٢٣٢هــ / ٨٤٧م ، حيث أمد البلاد بغلال الحنطة والسكر والتمر (١) .

إلا أن ما يدعو للدهشة أن جميع المؤرخين لم يتحدثوا عن وجود تعــاون حربــي مشترك بين دولة بني مدرار ودولة بني أمية بالأندلس ، هل كان السبب هو سيطرة دولــة بني الأغلب على دولة بني مدرار كما ذكرت بعض المصادر ، فمن المؤكـــد أن يكــون ميمون بن مدرار قد أمده بعدد كبير من الجيوش حتى يتمكن من التغلب على الأعداء وإن كان عن طريق غير مباشر .

أما في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم٢٣٣هــ/٨٤٧م فقد زادت هــذه العلاقة لدرجة جعلت المؤرخين يتحدثون عن فرض الأمير محمد بن عبد الرحمن ســيادته على دولة سجلماسة واعترافهم بطاعته ، حتى قيل بأن حكام بني مدرار لا يقدمون علـــى فعل أي أمر إلا بإذن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢) .

هذا القول يأخذنا إلى النظر في موضوع الاستقلال الذاتي الذي كانت تتمتع به دولة بني مدرار ، فمن غير المعقول أن تقبل هذه الدولة سيادة دولة أموية عليها ، فهي بلا شك

---

(١) فيلالي ، عبد العزيز : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، دار الفجـــر ، القـــاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ ، ص ١١١ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٤٢ .

(٢) ابن الخطيب : تاريخ أسبانية الإسلامية أو من كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإســـلام ، تحقيق وتعليق : إ ، ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت – لبنان ، الطبعـــة الثانيـــة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٢ . عبـــد الرزاق : الخوارج ، ص ١٤٣ . فيلالي : العلاقات السياسية ، ص ١١٢ .

(٣) انظر ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥٥ .

لم تنس ما فعله خلفاء بني أمية ضد الخوارج ، وهو الأمر الذي يجعلها لا تأمن جانبها ، فالقول الراجح أن هذه العلاقة فرضتها ظروف المصالح المشتركة فقط ، وسرعان ما تزول وينتهي أجلها بزوال المصلحة ، وهو ما سنوضحه في سياق الحديث عن هذه العلاقة.

وعندما تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن الحكم استعمل دولة سجلماسة وتاهرت كجواسيس على الخلافة العباسية يجلبون له جميع الأخبار عنها ، وهو بدوره كان يبعث إلى هاتين الدولتين الهدايا والهبات ، كما كانت تصل لهذا الأمير محمد الهبات والهدايا الجميلة النادرة ، فمن أغرب ما قُدِم له من الهدايا حيوان الزرافة ، والتي قدمها ابن مدرار [ميمون بن مدرار] ، رغبة في اكتساب ود الأمير محمد بن عبد الرحمن ، فقيل أن هذه الزرافة كانت أول زرافة حية تدخل الأندلس ، حيث دهش أهل البلاد من هذا الحيوان الغريب فكثر الحديث عنها (١) .

وقد استمرت العلاقة الحسنة بين البلدين حتى بعد ظهور الخطر الشيعي في بلاد المغرب فقد كانت تصل أخبار عبيد الله الشيعي لحكام بني أمية عن طريق حكام دولة بني مدرار ، إلا أن هذا التعاون بدأ في التلاشي عندما أغار عبيد الله الشيعي على بلاد المغرب واستولى على دويلاته ، فلم يبدِ حكام بني أمية أي مساعدة من أجل إنقاذ أحلافهم ، بل قيل أن نهاية الدولة تمت على يد والٍ من ولاة بني أمية ، فقد زحف خزرون بن فلفل أحد كبار رجال زناتة إلى سجلماسة ، التي كان يحكمها المعتز بالله من حكام بني مدرار ، فتغلب خزرون عليه وقتله وبعث برأسه للخليفة المؤيد بالله هشام بن الحكم بالأندلس ، فشهر به في قرطبة (٢) .

وهذا أكبر دليل على استمرار بغض وكراهية بني أمية للخوارج وأتباعهم ، حتى وإن كانت المصالح بينهم قد مهدت بحسن العلاقة إلا أن الخلاف المذهبي مازال مستمراً ،

---

(١) القرطبي ، ابن حيان : المغتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه : محمود على مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص ٢٦٥ – ٢٦٦ ، ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٢) مجهول : ثلاث نصوص عربية عن البربر ، ص ١٤٥ – ١٤٧ . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٤٣ .

حتى حانت الفرصة للقضاء على دولة الخوارج ، فلم يكن من الخليفة المؤيد بـــالله إلا أن شهر برأس أمير سجلماسة المعتز بالله معلناً بذلك انتصار بنـــي أميـــة علـــى الخـــوارج وانتصار المذهب السني على المذهب الخارجي .

الفصل الرابع

٨٣ - ١٣٦

الجوانب الحضارية في مدينة سجلماسة .

- **الأوضاع الاقتصادية :**

الرعي ، الزراعة ، الصناعة ، التجارة .

- **الحياة العلمية :**

العلوم والمعارف ، أشهر العلماء ، حركة التعريب .

- **المنشآت المعمارية :**
- **الأوضاع الاجتماعية :**

عناصر المجتمع في دولة بني مدرار ، العادات ، التقاليد .

الأوضاع الاقتصادية :

أدى ظهور فرق الخوارج في بلاد المغرب ، والحروب التي خاضها المسلمون معهم ، إلى خلق آثار بعيدة المدى ، من ركود وكساد في التجارة ، إلى تخريب للأراضي والمحاصيل الزراعية ، وهو الأمر الذي حدث منذ أن حكم البيزنطيون بلاد المغرب ، ناهيك عن ما قامت به الكاهنة عندما علمت بمقدم العرب لدخول بلاد المغرب ، فظنت أنهم يبغون السيطرة على خيرات البلاد لذلك أمرت بتخريب البلاد [(١)] ، و مما زاد الأمر سوءً نشوء الصراعات بين ولاة الحكم ، وقادة الجيوش مما زاد من تأزم الأحوال في بلاد المغرب ، من إرغام الشعب على دفع الأموال الباهظة ، وإهمال الجانب الاقتصادي.

ومما زاد من تفاقم وضع الأحوال الاقتصادية ما بذلته الخلافة العباسية في سبيل القضاء على هذه الفرق الضالة ، التي ما قامت ثورات البربر واعتناقهم لها إلا اعتراضاً على سوء الأحوال الاقتصادية ، فقد استمرت هذه الأزمة ما يقرب من نصف قرن من الزمان، فأدى هذا الأمر إلى إرهاق خزائن الدولة ، بسبب المبالغة في أعطيات الجند .

كما ساهم أصحاب المذهب الصُفْري الخارجي في هذا التدمير والخراب أكثر من إخوانهم الإباضية ، حيث قام ميسرة بحرق مزارع طنجة مدة يومين ، أثناء حصاره لبلج بن بشر، فنتج عن ذلك هدم المباني والأسوار ، و تخريب المحاصيل الزراعية ، فأدى ذلك إلى ظهور الفقر وتفشي الأمراض والأوبئة لدرجة أدت إلى أكل الناس للأعشاب والدواب .

أما الدليل الأخر على سوء الأحوال الاقتصادية ببلاد المغرب فتمثل في لجوء ولاة المغرب بالاستعانة بأموال مصر[(٢)] ، للقضاء على فرق الخوارج ، حيث كانت تصل لبلاد

---

(١) لمزيد من المعلومات عن شخصية الكاهنة ودورها التاريخي انظر :
الملحم ، محمد بن ناصر : مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (حركة الكاهنة في المغرب وموقفها من الفتح الإسلامي) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، العدد ٢٠ ، رمضان ١٤١٨هـ ، ص ٣٩٣ – ٤٢٤ .

(٢) محمود ، حسن أحمد – الشريف ، أحمد إبراهيم : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٣٢٣ .

المغرب سنوياً ما يقرب من مائة ألف دينار ، إلا أنها لم تكن كافية لمواجهة كل المشـــاكل التي ظهرت في البلاد ، لذلك زاد اهتمام الولاة بالناحية العسكرية .

ولا ننكر الجهود التي قام بها بعض الولاة من أجل إعـــادة البـــلاد إلـــى عصـــر الازدهار الذي أنشأه ولاة المغرب الأول كعقبة بن نافع ، وحسان بن النعمان ، ومحمد بن الأشعث [١] ، ويزيد بن حاتم الذي اهتم بإصلاح الأراضي وتشـــييد المبـــاني ، وترميـــم الأسوار ، كما كان له الفضل في إقامة الأسواق وتوزيع الحرف بين أفراد الشعب ، ولكن بعد انقضاء فترة حكمه ظهرت فتنة الخوارج من جديد ، ولم تنقض هذه الثورات والفتـــن إلا بعد ظهور الدول المستقلة ببلاد المغرب ، والتي كان لها الفضل الكبـــير فـــي إعـــادة عصر الازدهار.

فقد تنافست هذه الدول في الوصول إلى أعلى درجة من التقدم والرقي الحضاري ، وهو الأمر الذي سارت علية دولة بني مدرار ، فوجد المجال الاقتصادي اهتماماً كبـــيراً من الحكام عن بقية مجالات الدولة [٢] .

---

(١)ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٧٣ .

(٢) طلفاح ، خير الله : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، دار الكتاب العربي ، بـيروت – لبنـان ، الطبعـة الخامسـة ، ١٩٧٥م / ١٣٩٥هـ ، جـ ٤ ، ص ٧٨٧ .

أولاً : الرعي .

تعتبر حرفة الرعي من الحرف المهمة في البلاد ، وذلك لوجود المراعي الخصبة الواسعة ، وهي المهنة التي يعمل بها أكثر سكان بلاد المغرب وخاصةً المناطق الصحراوية ، فقد أشارت العديد من المصادر إلى الأموال الطائلة التي كان يجنيها البربر من هذه الحرفة ، فقد كانت تباع الخراف في بعض نواحي بلاد المغرب بأرخص الأثمان، لذلك تعتبر المورد الأساسي لاقتصاد الدول ، حيث تكمن أهميته في الحروب فكان الجند يصحبون معهم الخيول ومجموعة من الدواب حتى تعينهم في قضاء حوائجهم من مأكل ومشرب ومركب [١] .

وقد تحدث ابن حوقل حول أهمية هذه الحرفة في بلاد المغرب ، حيث جعلت البلاد للمراعي والزرع وجعلت أحواض المياه لورود الإبل والماشية [٢] ، فليس من الغريب أن تولي دولة سجلماسة جل اهتمامها بهذه الحرفة ، فقد كان أبو القاسم سمكو ينزل بالأرض التي أنشأ عليها مدينة سجلماسة ومعه عدد كبير من الماشية .

كما اهتم أهل سجلماسة بتربية الأغنام والأبقار والخيل والبغال والإبل والحمير وأنواع من الوحش الحمر والغزال والمها والزرافة [٣] .

كما اهتموا بتربية العديد من أنواع الطيور وبذلوا جهوداً في تهجينها ومن تلك الدواجن الإوز والحمام والكُركي الذي كان يقطن البلاد بكثرة ، والدجاج والنعام[٤] .

ثانياً : الزراعة :

---

(١) الشريف : العلاقات ، ص ٢٢١ .

(٢)ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٠٠ ، محمد : دراسات ، ص ١٢٧ .

(٣)القرطبي : المقتبس ، ص ٢٦٦ – ٢٧٥ .

(٤)الكركي ((طائر كبير معروف والجمع كراكي ، وهو أغبر طويل الساقين ، وهو من الطيور التي يحل أكلها بلا خلاف)) .

كما أطلقوا عليه اسم (الغرنوق) وهو صيد الملوك ، حيث انتشر هذا الاسم في مصر والشام .

القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٧٥ .

الشريف : العلاقات ، ص ٢٢٥ .

ذكرنا سابقاً أن مدينة سجلماسة تقع على نهر زيز وهناك من قال على نهر ملوية ، أما الصوفي فقد وصف أن هذا النهر يجتمع من أنهارعدة تخرج من جبل درن ويصب هذا النهر في وادي درعة .

نهر زيز : نهر زيز يجري من شرق وغرب سجلماسة ، من جهة الجنوب والشرق، وقال آخرون يأتيها من المشرق ، ولكثرة الأمطار في فصل الصيف فإنه يزيد مثل نهر النيل (١).

كما عرف هذا النهر بكثرة مزارعه ، رغم قلة أمطار هذه البلاد ، ونادراً ما تأتي غزيرة في السنة (٢) .

أما أراضي مدينة سجلماسة فهي سهلية سبخة (٣) تحيط بها أرباض كثيرة على موضع يقال له أجلف وماؤها مالح ، وكذلك جميع المياه النابعة بسجلماسة ، أما مزارعها فإنها تروى من النهر وهي غنية بأشجار النخيل والأعناب وجميع الفواكه (٤) .

---

(١) أبي الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٣٧ . القلقشندي : صبح الأعشى ، ص ١٦٤ ، ١٧٤ – ١٧٥. مقديش : نزهة الأنظار ، المجلد ١ ، ص ٥٦ . الحميري : روض المعطار ، ص ٣٠٥ .ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ . الصوفي ، شمس الدين أبي عبد الله : نخبة الدهرفي عجائب البر والبحر ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٣٨ .الجنحاني : بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية – الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ١٤٩ .

(٢) وجد خلاف في روايات بعض المصادر فمنهم من قال عن كثرة المياه في سجلماسة ، ومنهم من ذكر عكس ذلك . اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٥٩ . مقديش : نزهة الأنظار ، المجلد ١ ، ص ٥٦ . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٤ .

(٣) سبخة : السبخة أرض ذات نز وملح . سباخ : ما يعلو الماء كالطحلب . وقيل هي أرض منخفضة قريبة من مستوى الماء الباطن أو سطح البحر ، وهي أرض شديدة الملوحة .
البلوى ، محمد فرحان : السبخات في المملكة العربية السعودية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٦ .

(٤) أجلف أو جلف : جاف .
حوض : حوض الماء ، واستحوض الماء : اتخذ حوضاً . والمحوض : كالحوض الذي يوضع للنخلة .
الرازي : محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ، ١٩٩٦ ، ص ٩٥ . اللغوي ، أبي الحسين أحمد : معجم اللغة ، تحقيق : زاهر عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، =

المحاصيل الزراعية :

من مظاهر اهتمام أهل دولة سجلماسة بالناحية الزراعية ، أنهم قاموا بشق القنوات الضخمة لوصول الماء إلى مساحات واسعة في البلاد ، فقسمت كحياض البساتين .

وعندما كانت تأتي الأمطار غزيرة ينبت ما قاموا بحصاده سابقاً من غير بذر ، وهو دليل على أن أهل سجلماسة يجنون الزرع ولكن يبقون على أصوله لينبت ثانيةً ، فكلما أغدقت الأرض في عقب أخرى حصدوه سبع سنين ، وقيل أنهم يزرعون عاما ويحصدونه بعد ثلاثة أعوام [١].

وسبب ذلك أن أرض سجلماسة مشققة بسبب الحر الشديد ، فإذا يبس الزرع ، تناثر على الأرض ودخل في الشقوق ، فإذا نزل المطر اهتزت الأرض وربا الزرع ، ثم يحصدونه بلا بذر في العام الذي يليه يغطيه ماء النهر ، وينمو بعد ذلك البذر الذي في الشقوق ، فيظل على هذا الخال ثلاث سنوات ، ثم يحصد من جديد [٢] .

ولعل من أهم محاصيل سجلماسة التمور ، لذلك تكثر بها زراعة النخيل ، فللتمر أهمية كبيرة ، فقد بلغت أنواع التمر الموجودة في سجلماسة ستة عشر صنفاً ، لم يذكر منها سوى صنفين هما (الدقل – العجوة) [٣] ، ومن جودته يفضلونه على تمور البصرة، حيث يوجد بها صنف إيران لا نظير له في البلاد [٤] .

كما كان أهل سجلماسة يأكلون الزرع فور نضجه ، وذلك لجدب الأرض في الأيام

=

الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، جـ١، ص٢٨٥ . ابن الخطيب: القسم٣من كتاب أعمال الأعلام، ص١٣٨ .
الفاسي : الأنيس الطرب ، ص١٢٧.
عوض الله ، محمد : العلاقات بين المغرب الأقصي والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي ، دار المجمع العلمي ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ١١٣ .

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠١ . القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٤ ، الحميري : الروض المعطار، ص ٣٠٥.

(٢)الحموي : كتاب البلدان ، المجلد ٣ ، ص ١٩٢ .

(٣) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ طبع ، ص ٦٨٤ .

التالية ، هذا بالإضافة إلى الرطب فقد قيل أن بسجلماسة رطب أخضر شديد الحلاوة مثل السلق ، وهو الرطب المسمى { البرني } ، ذا نواه صغيرة جداً (١) .

الفواكه :

أهمها العنب الذي كان ينقسم إلى نوعين :

فالأول يزرع بعيداً عن الشمس ، وهو الذي يزبب في الظل وعرف بـ { الزبيب الظلي}.

أما الثاني هو الذي تصيبه أشعة الشمس فيزبب في الشمس ، ربما عرف { بالزبيب الشمسي } ، وقاموا أيضاً بزراعة التين ، والزيتون ، والكمثرى التي تعرف لديهم (الأجاص) مثل دمشق ، والسفرجل والتفاح بأنواعه ، والخوخ بأنواعه ، والبرقوق والقراصيا ، والتوت بنسبة قليلة ، والليمون والليم والأترج ، والزنبوع الذي يعرف بمصر والشام (الكباد) ، والنارنج ، والبطيخ بأنواعه ويسمى (الدلاع) إلا أنه غير مرغوب بكثرة، والباذنجان ، والقرع ، والموز وهو نادر وموجود في بعض الأماكن .

أما أهم البقول :

الشعير ، الدخن ، الذرة ، الفول ، العدس ، الحمص ، القطن ، الكمون ، والسلت الذي حبه صلب وطعمه لذيذ ، والقمح الذي وصف بأنه رقيق يشبه القمح الصيني ، الأرز، حيث يتم زراعته في أماكن محدودة في البلاد ، وأغلبه يجلب من بلاد المغرب ، وذلك لعدم الرغبة في طلبه .

بالإضافة إلى زراعة السمسم بنسبة قليلة ، واللوز ، والجوز ، واللوبيا ، والشمار ، والزعتر ، ويجلب لها الفستق ، والبندق .

وأما الخضار :

الحناء ، واللفت ، والجزر ، والخيار ، والقلقاس الذي يزرع كزينة ولايؤكل .

أما الأزهار :

---

(١) هو نبات شبيه بالشمندر " البنجر في مصر " .

البكري : المغرب ، ص ١٥١ . القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٧٥ – ١٧٦ . القرماني : أخبار الدول ، المجلد ٣ ، ص ٣٨٥ . الشهابي ، مصطفى : معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية ، مكتبة لبنان ، ١٨٩٣ – ١٩٦٨ ، ص ٦٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠١ . مقديش : نزهة الأنظار ، المجلد ١ ، ص ٥٦ .

النرجس ، والياسمين ، والسوسن ، والأسن ، والبنفسج ، والبهار ، والورد [١] .

أما عن النظام المتبع في الأراضي الزراعية فهو يشبه نظام الملكية العقارية المتبع في بلاد المشرق الإسلامي ، وهي تتقسم إلى قسمين حسب طبيعة أراضي المناطق الصحراوية :

- ملكية بساتين الواحات وهي ملكية خاصة .
- ملكية المناطق الخارجة عن نطاق الواحات وهي ملكية عامة [٢].

---

(١) القراصيا : وهو الكرز . القلقاس : قيل هو نبات ذا أغصان طويلة ، وأوراقه عريضة ، يستعمل كعلاج لعدد من الأمراض . الأسن : أو الآس : يزرع في المناطق التي يكثر بها الماء ، ولأزهاره رائحة عطرية ، حيث يستخرج من ورقه العطر .

الشهابي : معجم الشهابي ، ص ٧٨٧ ، ٨٦٧ . كامل ، مختار محمد : الموسوعة العلمية الشاملة النباتات الطبية العطرية ، مراجعة : مها مختار كامل ، المكتب الجامعي الحديث ، الأزاريطة – اسكندرية ، بدون تاريخ طبع ، ص ٨٥ ، ٢٨٩ .

(٢) الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

ثالثاً : الصناعة .

تعتبر الصناعة ذخيرة كل دولة ، لأنها تشمل كل ما يقوم به الإنسان من أعمال تعينه على قضاء ما يحتاج إليه ، ودولة سجلماسة تعتبر من الدول المتحضرة ، إذ تكثر بها العديد من الصناعات خاصة الصناعات اليدوية لتوفر الخامات التي تساعد على قيام مثل هذه الصناعة ، فضلاً عن أن اليسع بن أبي القاسم عندما تولى الحكم ، قام بإنشاء الكثير من المصانع (١) .

P ـ صناعة النسيج :

وهي المأخوذة من الصوف والقطن ، فقد برعت النساء في هذا المجال على حد قول المؤرخين أن لنسائهم يد صناع في غزل الصوف ، فهن يعملن منه أشكالاً جميلة نادرة من الأزر تفوق القصب الموجود بمصر ، فيبلغ ثمن الأزر خمسة وثلاثين دينار أو أكثر ، وهذا يعتبر أغلى من القصب الذي بمصر (٢) .

أما الثوب المصنوع من الصوف فيبلغ أكثر من عشرين مثقالاً (٣) ، حيث كان اللباس السجلماسي مشهوراً في البلاد الإسلامية ، وهو قريب الشبه بالثوب الدرجيني إلا أنه أعلى منه جودة (٤) .

ب ـ صناعة الجلود :

برع أهل سجلماسة في صناعة الأحذية ودبغ الجلود ، حيث اشتهر النعل السجلماسي شهرة واسعة (٥) ، وصناعة الصمغ حيث يجلب شجره من مدينة أودغست(٦).

جـ ـ صناعة المعادن :

تعتبر هذه الصناعة من أهم الصناعات خاصةً وأن مدينة درعة تعرف بكثرة مناجم

---

(١)القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .

(٢)الحموي : معجم البلدان ، المجلد ٣ ، ص ١٩٢ .

(٣) البكري : المغرب ، ص ١٤٧ . الجنحاني : الحياة الاقتصادية ، ص ١٥١ .

(٤) متقال : ((متقال الشيء ميزانه من مثله)) .

الرازي : مختار الصحاح ، ص ٧٥ .

(٥) محمد : دراسات ، ص ١٢٩ .

معدن الذهب والفضة ، هذا إلى أنها كانت تستورد الذهب من بلاد السودان ، وبجوار سجلماسة جبل به معدن الفضة ، حيث يصنع منها المصوغات الذهبية والفضية والحلي ، وقد برع في هذه الحرفة أهل الذمة من اليهود وغيرهم والأندلسيون والفرس والمشارقة[١].

د ـ الصناعات الحربية :

بالإضافة إلى صناعة الأدوات الحربية ، فلا يخفى علينا ما واجهه أصحاب مذهب الصفرية وغيرهم من حروب وصراعات ، فحري بها أن تمنح جل عنايتها بها ، وأهمها صناعة السيوف ، خاصةً وأن مدرار جد حكام بني مدرار كان حداداً برع في صناعة أجود السيوف، حتى أن أبا القاسم سمكو أعجب به وقربه إليه وأوصى له بالولاية عقبه[٢].

هـ ـ الصناعات الغذائية :

وقاموا أيضاً بصناعة الحلوى بالعسل والزيت ، وصناعة السكر ، حيث تكثر أشجار قصب السكر بجزائر بني مزغنان وسلا ، ويعصر ثم يعمل منه القند ، ومن القند للسكر على أنواع خاصةً بمدينة مراكش التي قيل إن بها أربعين معصرة للسكر ، إذ إن حمل حمار من القصب يساوى درهماً من دراهمهم ، والذي يساوي ثلثاً من الدراهم المصرية ، كما يصنع منه أيضاً الكرر الفائق [٣].

كما يستخدم السمسم في صناعة الأدوية الطبية ، ولا يتم عصره لكثرة الزيت ،

---

(١) محمد : دراسات ، ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم الثالث من أعمال الأعلام ، ص ١٤١ . العبادي : في التاريخ العباسي ، ص ٢٢٨ .

(٣) جزائر بني مزعنان أو مزغناي : مدينة تقع على البحر الأبيض المتوسط ، بها العديد من الأسواق ، تكثر بها العيون العذبة ، يقطن البربر في الجبال والبادية ، الذين يعملون بحرفة الرعي ، بها الكثير من الغسل والسمن والتين ، حتى ليجهز ويصدر لمدينة القيروان وغيرها .

القند : هو عسل قصب السكر ، ، ويطلق عليه سويق (مقنود ومنقد) . هو لفظ معرب من كند أي عصارة أو العسل المستخرج من قصب السكر بعد تجميده ، وعرف أيضاً باسم سكر النبات وهو لفظ أطلقه الأطباء ، أما الإفرنج أطلقوا عليه sucre candi أي سكر المربى .

القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ . الرازي : مختار الصحاح ، ص ٤٨٦ .

الجاحظ ، حسن حسني عبد الوهاب : التبصر بالتجارة ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦ ، ص ٤١ .

و ـ صناعات أخرى :

كما كان لشجر (تامجاثث) أهمية كبيرة حيث استخدم في صناعة الأواني الخشبية الفاخرة [١] .

كما أهتموا أيضاً بصناعة البناء التي كانت تختص باليهود الذين كان لهم دور بارز في مدينة سجلماسة .

وصناعة ضرب السكة [٢] .

---

(١) تامجاثث : وهو شجر أوراقه كبيرة مثل الطرفاء ، يأخذ منه أهل سجلماسة وغيرهم في عمل آنيتهم . البكري : المغرب ، ص ١٥٦ .

(٢) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٧٦ .

رابعاً : التجارة .

نتيجة لاهتمام دولة بني مدرار بحرفتي الزراعة والصناعة ، تولدت حرفة التجارة، التي تعتبر العامل الأساسي لازدهار وحضارة أي دولة ، فقد كان لدولة سجلماسة نشاط تجاري واسع داخل بلاد المغرب وخارجها ، والذي ساعد على بلورت هذه الحركة هو الأمن ولاستقرار الذي هيأه حكام بني مدرار للدولة .

فقد كانت دولة سجلماسة تلعب دور الوسيط التجاري لمدن الصحراء الكبرى وغيرها من الدول ، فكانت علاقتها التجارية سارية سواء مع دول المشرق الإسلامي أو المغرب ، حتى أنه لم يكن للعلاقة العدائية التي كانت بينها وبين بعض الدول أي دور في طمس العلاقات التجارية فيما بينها .

أصبحت سجلماسة مركزاً وقاعدة تجارية نشطة في بلاد المغرب ، وهمزة وصل تجمع بين بلاد المغرب والأندلس والسودان الغربي والمشرق الإسلامي ، والغرب الأوربي أيضاً ، بل أصبحت مركزاً تجارياً عالمياً على حد قول الجنحاني [١] .

لذلك كانت مدينة سجلماسة تضم عدداً كبيراً من سكان العراق والبصرة وبغداد والكوفة ، وربما كان السبب في إقامة هذه الجماعات هو الخيرات الكثيرة التي كانت بها ، فقد استهوت هذه الدولة نفوس الكثيرين ، خاصةً وأنها كانت المركز الرئيسي لتجارة الذهب [٢] .

كما كانت تخرج قوافل من سجلماسة إلى بلاد الزنوج ، خاصةً غانا التي قيل عنها بأنها دولة ثرية وأن ملوكها أيسر من على وجه الأرض من الملوك ، وذلك بما لديهم من الأموال المدخرة من بلاد التبر[٣] ، وغيرها من المدن التجارية في بلاد الزنوج ، فكانت

---

(١) الجنحاني : الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٣ . عوض الله : العلاقات ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ . طلفاح : كنتم خير أمة ، ص ٧٨٧ . مؤنس : تارخ المغرب ، المجلد ١ ، ص ٣٦٣ – ٣٦٧ .

(٣) بلاد التبر : هي بلاد السودان في جنوب المغرب ، عرفت بشدة حرها ، أما أهلها فكانوا يمكثون في سراديب تحت الأرض ، ويوجد الذهب في رمل هذه البلاد بكثيرة ، والطريق من سجلماسة إلى هذه البلاد يستغرق ثلاثة أشهر . القزويني ، زكريا ابن محمد : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨ – ١٩.

المعاملة الحسنة التي انتهجها حكام سجلماسة مع التجار الوافدين إليهم من مدن أخرى هي السبب في تسهيل سبل التجارة .

كما كانت التجارة بين سجلماسة وبلاد السودان الغربي وما جاورها من المدن السبب في وصول الإسلام إلى تلك المناطق ، إذ كانوا يقومون بنشر الإسلام أثناء المعاملات التجارية ، وبالتالي نشر اللغة العربية ، وبذلك انتشر الدين الإسلامي في مجموعة كبيرة من المدن والقرى [١] .

هذا إلى أن أصحاب حرفتي الزراعة والتجارة في سجلماسة كانوا قد جاءوا من مدن أخرى قاصدين سجلماسة بسبب رغد العيش وعدل الحكام ، فلولا ذلك لما وصلت سجلماسة إلى هذا التقدم والازدهار .

ولقد رأى ابن حوقل بمدينة أودغست صكاً لرجل من أهل سجلماسة على رجل من تجار اودغست، بقيمة اثنين وأربعين ألف دينار، وهو رقم كبير بالنسبة لذلك العصر حتى ذكر أحد المؤرخين المشارقة : ما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذا الصك مثيلاً [٢] .

لا غرابة بأن يكون هذا الرقم أذهل المستمعين ، وذلك لأنه واحد من أعلى الأرقام التي كتبت لحساب شخص في الدولة العربية أو في دول أوروبا في العصور الوسطى ، فلاتزال كل من مدينتي نابولي وأمالفي [٣] الإيطاليتين في القرن العاشر ، تسير في بداية التوسع التجاري ، حيث لم تبلغ المركز الكبير الذي وصلت إليه مدينة سجلماسة أو أي

---

(١) مؤنس : تاريخ المغرب ، المجلد ١ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) أودغست Audoghast : مدينة كبيرة تقع على بعد ١٥ يوماً غرب كومبي الشرقية ، انشأت بها المباني الجميلة، تحيط بها أشجار النخيل ، تكثر بها الأراضي زراعية ، أما أهم المحاصيل فالقمح ، والبلح ، والتين ، والكروم ، والحناء، ومن وارداتها معدن الذهب الذي يجلب من بلاد السودان .

صك : أي كتاب لفظ فارسي معَّرب .

الرازي: مختار الصحاح ، ص٣٢٢.رياض ، الممالك الإسلامية ، ص٩٥-٩٦.ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦.

(٣) مدينة نابولي : مدينة تجاريه هامة تقع في جنوب إيطاليا .

أمالفي : مدينة تجارية إيطالية ، تقع جنوب إيطاليا .

أبو علية ، عبد الفتاح – ياغي ، اسماعيل : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، دار المريخ ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩ م ، ص ٢٩٥ . عاشور ، سعيد عبد الفتاح : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٢٨٣ .

دولة من الدول العربية في المشرق [١] .

النظام التجاري :

اتبع حكام بني مدرار نظاماً تجارياً شبيهاً بالنظام المتبع في الوقت الحاضر ، ففي عهد ولاية المعتز على سجلماسة فرضت المكوس المالية على القوافل المتجة إلى بلاد السودان ، ونواحي إفريقية وفاس والأندلس والسوس وأغمات ، على ما يباع بها ويشترى من إبل وغنم وبقر [٢] .

أما النسبة المقدرة لجباية المكوس التجارية فليست محددة ، إلا أنه قيل إن جباية مدن بلاد المغرب ثمانية الآف دينار ، قد تزيد أوتنقص عن ذلك أحيانا ، فمن المحتمل أن تكون هذه الأموال تجبى من مركز واحد مشترك ثم بعد ذلك توزع على الجميع ، ما عدا جباية سجلماسة التي كانت تختص بها ، وهو مايوحي إلى ما وصل إليه أهل سجلماسة من غنى وثراء [٣].

هذا إلى أن سياسة التعامل التي سار عليها بني مدرار مع القوافل التجارية تختلف عن غيرهم من القبائل المجاورة ، فالقبائل البرنسية المقيمة في بلاد السوس وفاس وأغمات ، يجبرون القوافل المارة من فاس إلى سجلماسة على دفع بعض مما معهم من بضائع على عكس أهل سجلماسة الذين عرفوا بحسن الخلق [٤] .

---

(١) جون س . بدورت فرنسيس أي وآخرون ، عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ، المحرر : جون ر . هايز المترجمون : صلاح جلال – نزيه الحكيم – ن يوسف داود – بكر عباس – مكرم عطية – معد كيالي – عبد الرحمن السمرة كودي جار الله ، مطبعة معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا الولايات المتحدة الإمريكية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦ – ٩٧ . طلفاح : كنتم خير امة ، جـ ٢ ، ص ٧٨٧ . كحيلة ، عبادة : المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الأواى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٦٢ .

(٣) الجنحاني : الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٢ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦ – ٩٧ . طلفاح : كنتم خير أمة، ص ٧٨٧ . كحيلة : المغرب ، ص ٦٢ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٩ .

الطرق التجارية :

تعددت الطرق التجارية التي بين سجلماسة وغيرها من مدن المشرق و المغـوب ، فمنها طريق بحري والغالب منها بري :

- ***طريق بحري*** : وهو طريق واحد يبدأ من طريق دولة سجلماسة إلى الساحل الأطلنطي وموانئ بلاد الأندلس وأشبيلية وشاطبة [١] ، وهو الطريق البحري الوحيد الذي يصل دولة سجلماسة بالتجارة البحرية .
- ***طرق برية*** : وهي عبارة عن عدة طرق برية تجارية كلها تمر بمدينة سجلماسة وهي كالتالي :

أ ـ طريق يبدأ من بغداد والبصرة والأنبار وهيت والرقة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة ثم إلى مصر حيث تمر بالفسطاط والإسكندرية ثم إلى بلاد المغرب مارة ببرقة والدولة الرستمية والدولة المدرارية ثم بلاد السودان وما جاورها ثم تعود وهي محملة بالخيرات الكثيرة .

ب ـ طريق يبدأ من وجدة ثم إلى قرية صاع ، إلى جبل بني برنسيسيان ، ثم إلى قير ، ومنها إلى الأحساء ، ثم إلى لامسلي ثم دار الأمير ، ومنها إلى سجلماسة .

جـ ـ طريق يبدأ من تلمسان متجهاً إلى الجنوب الغربي حيث تمر القوافل بقلعة ابن الجهل ثم إلى مدينة تبزيل ، ثم يصل عن طريقها إلى سجلماسة ، ثم إلى وارجلان .

د ـ طريق يبدأ من فاس باتجاه الجنوب حيث تسير القوافل إلى مدينة صفروي ثم إلى موضع يعرف بالمزي ، ومنه إلى تاسغمرت ، ثم إلى موضع يقال له أمغاك على

---

(١) اشبيلية sevill : مدينة إلى وادي قرطبة ، بها الكثير من الفواكه والخيرات وخاصةً التين والكروم . بينها وبين قرطبة ما يقرب من الثمانين ميلاً ، وهي مدينة قديمة ، وأصل تسميتها أشبالي أي ((المدينة المنبسطة)) ، قيل بناها يوليس قيصر .

وقد عرفت بأسوارها العالية الحصينة وأسواقها العامرة ، كما عرفت بكثرة مزارعها ، حيث تكثر بها زراعة أجود أنواع القطن الذي يصدر إلى سجلماسة وما حولها من بلاد ، .

شاطبة jafiva : مدينة تقع على أنهار ، لها حصن قديم ، يطل على هذه الأنهار .

الحميري : ص ٥٨ – ٥٩ . ابن حوقل : ص ١١٠ . مصطفى ، شاكر : المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، دار السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، جـ ١ ، ص ٤٨١ .

مسافة ستين ميلاً ، ومنها يصل إلى مدينة سجلماسة .

ن ــ طريق يبدأ من سجلماسة ، ثم إلى موضع يسمى تيحمامين ، ثـم إلـى وادي درعة، ومنه إلى موضع يسمى أذامست ، ثم إلى ورزازت ، ثم إلـى بـلاد هسـكورة ، فمنطقة قبيلة هرزجة ، ثم إلى أغمات .

هـ ــ طريق يمر باتجاه الجنوب وهو طريق صحراوي طويل وعر المسلك متجه نحو بلاد السودان .

و ــ طريق يخرج من سجلماسة ثم تاهرت ثم إلى القيروان .

ي ــ طريق يبدأ من فاس ، إلى صفروي ، ثم قلعة مهدي ، فتادلة ، ثم وادي شعب الصفا ، ثم يمر عبر الجبل الكبير باتجاه الجنوب حيث توجد مدينة سجلماسة (١) .

---

(١) وجدة : من مدن المغرب ، تبعد عن تلمسان بثلاث مراحل ، مدينة قديمة كثيرة البساتين ، والمزارع ، بها المراعي الصالحة ، لذلك تكثر بها تربية الماشية ، حيث تصنع منها الأكسية ، ويوجد بمدينة وجدة طريق تجاري يمر من بـلاد المشرق ثم المغرب ثم إلى سجلماسة وغيرها . انظر الملحق شكل (٦-١١) .

الأحساء : هو موضع رملي ، يخرج الماء من أعماقه إذا حفر بقدر ذراع ، وهو يلي موضع يقال له (ارفود) .

وأرجلان : تقع على مسيرة خمسين يوماً في الصحراء ، وهي عبارة عن سبعة حصون للبربر سـمي أكبرهـا باسم (أغرم أن يكامن) بمعني حصن العهود ، كما تبعد عن قلعة أبي طويل مسافة ثلاثة عشر يوم .

المزي : هو موضع بلدة مكلاتة .

تيحمامين : تلي مدينة سجلماسة مسافة يومين .

وادي درعة : يلي موضع تيحمامين ، تكثر به الأشجار والثمار ، التي من أهمها شجر (التاكوت) الذي يشـبه شـجر الطرفاء ، حيث يصنع منه الصمغ الذي يدبغ به الجلد الغدامسي ، وبوادي درعة سوقان تقام في يـوم الجمعـة ، فـي موضعين مختلفين ، وفي الغالب كان كان يقام سوقان في مكان واحد وذلك لبعد المسافة ، وكثرة الناس الذين يرتادونه ، فقد كانت له عمارة متصلة على مسافة سبعة أيام .

أذامست : وهو موضع يلي وادي درعة .

بلدة هكسورة : وهي ورزارات ، تقع بالقرب من وادي درعة ، وهو اسم لقبيلة كانت تستقر في السوس الأدنى جنـوب تاوردانت ، وقيل إن هناك منطقة سكورة الواقعة باقليم ورزازات .

منطقة قبيلة هزرجة : وهي عبارة عن منازل تبعد عن بلدة هسكورة مسيرة أربع أيام ، وبها جبـل عـرف باسـمها ، وتوجد بهذه المنطقة أنواع من حجر اليقوت وجمال اللون ، إلا أن جلبه صعب ، وذلك لصلابة الجبل الذي يؤخذ منه .

تحدث ابن حوقل عن الطريق التجاري المتجه إلى السودان وقال بأنه عبارة عن براري قليلة المياه ، قليلة المراعـي ، لا تسلك إلا في فصل الشتاء ، وسالكها دائم السفر ، وهو طريق تجارة الذهب مع غانة وأودغست .

قلعة مهدي : هي حصن تقع على جبل عالٍ وبها مزارع وأسواق وهي تبعد من تادلة بمرحلتين يسكنها قبائل زناته . =

البكري : المغرب ، ص ١٥٣،١٥٢،١٨٢،١٤٧،٧٧، . الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ ، ٤٧٧ – ٤٧٨ . الوزان : وصف إفريقيا ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٠٠ . محمد : دراسات، ص ٨٠ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٧٨ .

المعاملات التجارية لدولة سجلماسة :

تعتبر المعاملات التجارية بين الدول المعلم الرئيسي الذي نستطيع من خلاله التعرف على المدى الحضاري الذي وصلت إليه أي دولة من الدول ، وهو ينحصر في أمرين هما :

أولاً : العملة .

إذا أردت أن تعرف عن تاريخ أمة من الأمم أو دولة من الدول فإن هناك أثر واضح جداً يغنيك عن النظر في أي أمر آخر يختص بمركزها التجاري ، وهو قطع العملة المتداولة بتلك الدولة .

فعن طريق تسلسل حلقاتها وأوزانها تستطيع أن تحكم عليها ، كما أن تعدد دور السكة فيها أكبر دليل على ثراء هذه الدولة ، كذلك يمكنك التعرف من خلال حجم تلك الدولة إن كانت رقعتها تنحصر في أطراف محدودة أم إنها إمبراطورية مترامية الأطراف فلها في كل جهة دار للسكة (١) .

لذلك اهتم حكام بني مدرار بعملتهم اهتماماً كبيراً لأنها السبب الأساسي في غنى وثراء أهل سجلماسة .

فقد اعتبر الدينار الشاكري الذي ينسب إلى الحاكم المدراري محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله ، مضرباً للمثل من حيث دقة السبك وعيار الذهب ، فكان وزن العملة في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م ١٩غراماً وقطرها ٣٩مم .

ثم زادت بعد ذلك قيمة العملة حتى بلغ وزنها في سنة٣٤٠هـ /٩٥١م إلى ١٢غراماً وقطرها ٤٠,١٠ (٢) .

وقيل أن الخليفة الأموي الناصر كان يدفع للتجار الذين يجلبون الرخام من قرطاجنة وتونس لإتمام بناء مدينة الزهراء بقرطبة ، والذي بدأ في بنائها سنة

---

(١) التازي ، عبد الهادي : العملة ودور السكة في المغرب ، مجلة أكاديمية المملكة المغربية ، ربيع الثاني ، ١٤٠٨ ، نوفمبر ١٩٨٧ ، ص ١٩٣ .

(٢) كحيلة : المغرب ، ص ٦٢ . محمد : دراسات ، ص ١٢٧ . أنظرالملحق شكل(٧) .

٣٢٥ هـ / ٩٣٦م أجر عملهم بالدينار السجلماسي ، كل رخامة ثلاثة دنانير ، وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلماسية .

كما استمر التعامل بالعملة السجلماسية عدة قرون ، ففي عهد الموحدين استخدم سعد بن الرشيد الموحدى الدينار السجلماسي المعروف بالدنانير العشرية (١) .

وقد صنفت الدراهم السجلماسية إلى نوعين : درهم كبير : وهو يقدر بثلث درهم من دراهم النقرة (٢) بمصر والشام . درهم صغير: وهو نصف الدرهم الكبير وقدره سدس درهم من دراهم النقرة المتعامل بها في مصر والشام ، وقد كان هذا المقدار من التعامل يسير بدولة سجلماسة فقط .

وحددت أسعار بعض السلع السجلماسية كالتالي :

فسعر كل وسق من القمح أربعون درهماً من الدراهم الصغار أي ثلاثة عشر درهماً وثلث درهم من نقرة مصر ، والشعير أقل من ذلك ، وكل رطل لحم بدرهم واحد من الدراهم الصغار ، وكل طائر من الدجاج قدر بثلاثة دراهم من الصغار وعلى نحو ذلك كانت تقدر وتقاس السلع السجلماسية (٣).

ثانياً : الأسواق .

هو المكان المحدد للبيع والشراء (٤) ، فمن خلال سعة الأسواق ورواج السلع بين التجار ، يتبين المدى البعيد الذي يمكن أن يصل إليه ذكر أي دولة .

فمن أهم السلع التجارية الرائجة في ذلك العصر والتي كانت السبب في نشوء العلاقات التجارية بين جميع دول العالم سواء في المشرق أو المغرب الإسلامي

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ . الجنحاني : الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٦ .انظرالملحق شكل (٨).

(٢) دراهم النقرة : ((أن يكون ثلثها من فضة وثلثها من نحاس ، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير ، ويكون منها دراهم صحاح)) .

لمزيد من المعلومات انظر ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٣٩ .

(٣)المصدر السابق : جـ ٥ ، ص ١٧٦ .

(٤) الرازي : مختار الصحاح ، ص٢٨٣ .لمزيد من المعلومات عن نظام الأسواق في بلاد المغرب انظر:عبد الوهاب، حسن : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، مكتبة المنار، تونس ، الطبعة الثانية ، القسم الأول ، ص٥٧ – ٦١ .

والأووربي ، والتي كانت سجلماسة تلعب دوراً مهماً فيها وهما :

١. الذهب :

يعتبر الذهب من أهم السلع التجارية الرائجة بين الدول ، ولكثرته فقد كان لـه وزن ثابت لا يختلف فيه .

لذلك استمر الدينار السجلماسي المسبوك بالذهب الخالص عهوداً طويلة ، وهومعدن مهم جداً في حياة الإنسان ، لأنه لا يتأثر بالعوامل الطبيعية المؤثرة في غيره من المعادن، فقد اهتمت جميع الدول المتحضرة باقتناء هذه السلعة الثمينة ، لاستخداماته المتعددة ، خاصةً العملة التجارية ، فكل دولة لا تتعامل بالعملة الذهبية الخالصة ، تعتبر دولة ضعيفة، ناهيك عن أن أوروبا في عهد العصور الوسطى لم تكن تستورد هذا المعدن إلا بكميات قليلة .

ولكن بعد عهد الكشوف الجغرافية التي توصلت إليها أوروبا في القرن السادس عشر، بدأت تقدر قيمة هذا المعدن ، وتوسعت بعد ذلك تجارتها من أجل الحصول عليه بكميات كبيرة ، في المقابل كانت هذه السلعة معروفة وتجارتها واسعة في إمبراطورية العالم الإسلامي ، حيث كانت مناجم هذا المعدن موجودة بكثرة في الجانب الغربي منها ، فقد كانت له مراكز هامة لتصديره ، وخاصة في شمال إفريقية والسودان وما جاورها من المدن ، بالإضافة إلى الصحراء الكبرى (١) .

وقد عرفت تجارة الذهب بـ [التجارة الصامتة] ولعل السبب في تسميتها بهذا الاسم هو ما يجري من طقوس في التعامل بها :

فإذا وصل تجار شاطئ النهر ضربوا الطبل الكبير يدعون به الوطنيين العراة الذين يعيشون في كهوف تحت الأرض ، قيل هم سكان بلاد التبر التي سبق ذكرها(٢)، وكانوا يرفضون الخروج من هذه الكهوف التي كانت ولا شك المكان الذي يستخرج منه الذهب، فكانت التجارة تعرض على شكل أكوام من الذهب بجوار كل كومه من البضائع التي

---

(١) زيادة : الطرق التجارية في العصور الوسطي سلع ومتاجر ، مجلة العرب والعالم ، العدد ٥٣ ، ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) انظر : ص ١٠٨ .

جلبت لتستبدل بالذهب وغالباً ما كان الملح لأنه مرغوب لدى هذه البلاد بكثرة ، وإذا ما رضى التجار بما وضع هؤلاء من الذهب أخذوه ورحلوا وهم يضربون الطبول إذاناً بانتهاء السوق ، وقد حاول التجار في إحدى المرات اكتشاف أماكن الذهب عن طريق الخيانة ، وذلك بالقبض على أحد الزنوج ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، فقد فضل الزنجي الموت على البوح بمكان الذهب ، ومن جراء ذلك توقفت التجارة ثلاث سنوات ، ثم عادت مرة أخرى لأنه لم يكن لديهم أي وسيلة للحصول على الملح . وقد عرفت هذه التجارة في سجلماسة أيضاً .

هذه الطريقة تدل على أهمية معدن الذهب ، خاصة وأن ذلك العصر عرف بكثرة الحروب من أجل الحصول على قدر كبير من المال ، لأنه عصب حياة كل دولة متحضرة .

لذلك أكد بعض المؤرخين قدم هذه التجارة ، حيث تعامل بها القرطاجيون ، أي قبل ظهور دولة بني مدرار بقرون (١) .

أما الطريق الرئيسي لتجارة الذهب فكان يبدأ من سجلماسة ، ثم إلى مالي في غرب إفريقية عن طريق أيوالاتن أو ولاّطو ، فكان السفر من سجلماسة إلى ولاطة يستغرق مسيرة شهرين عبر الصحراء ، ومن ولاطة إلى مالي كانت القوافل تجتاز المسافة في شهر وبعض الشهر لأن هذا الطريق لم يكن صحراوياً تماماً ، وكان أهل مالي يحملون تبرهم إلى ولاطة دون أن يسمحوا لأحد بالإطلاع على مصدره ، حيث جرب الكثيرون ، عبر قرون طويلة ، أن يكتشفوا مصدر التبر السوداني ، ولكن محاولاتهم لم تنجح ، وظل الأمر سراً نحو ألفي سنة ، أي إلى القرن التاسع عشر.

وكان كل ما عرف من أيام القدامى حتى أيام الأدريسي وبعده هو أن تجار الذهب هم أهل ونفرة ، ولكن أين تقع ونفرة ؟ فلم يحط أحد بموقعها (٢) .

---

(١) رياض ، زاهر : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٠٩ – ١١٠ . (انظر الملحق شكل(٢) .

(٢) أيولاتن : هي أول مدينة من مدن السودان ، شديدة الحر تكثر بها زراعة النخيل والبطيخ ، هذا إلى كثرة المواشي خاصةً الضأن ، شعب هذه المدينة من قبيلة مسوفة .

زيادة :الطرق التجارية ، العدد٥٣ ، ص٣٦ .عوض الله : العلاقات ، ص١٥٤ – ١٥٨. زيادة : إفريقيات ، ص٣٢٦ .

٢. الرقيق :

عرف الرقيق منذ أقدم العصور ، فقد كان من أهم السلع التجارية في العالم ، فلم يكن يخلو في ذلك العصر بيت من الرقيق ، حيث كان يسخر للخدمة في البيوت والعمل في المزارع والجيش كجنود مرتزقة ، ثم استفحل أمرهم في عصور متقدمة ففي زمن الخلافة العباسية والدولة العثمانية ، أصبحوا يلون الوزارة وقيادة الجيوش بل تولي السلطة أيضاً .

وقد كان يجلب الرقيق عن طريق أسرى الحروب أو عن طريق الشراء من أفراد الدولة نفسها لوفاء دين أو من بعض الدول الخارجية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: دلماسيا[(١)] – البندقية التي تعتبر من أشهر المدن في هذه التجارة ، حيث تعرف أسواقها بـ النخاسة ، فيجلب من بلاد الترك والسودان التي تصدرها عن طريق مدينة أودغست .

وقد كان في سجلماسة سوقاً لهذه التجارة ، ثم استمرت هذه التجارة إلى عهود متقدمة ولكن بأقل من السابق ، هذا في مدن الغرب الأوروبي ، إلا أنها تكاد تعدم في البلاد العربية الإسلامية بسبب صدور النهي عن الأسترقاق [(٢)].

ومن أهم المدن التي كانت تقيم تجارتها مع سجلماسة في المشرق الإسلامي والغرب الإسلامي والأوروبي هي :

- دولة القيروان :

تحتل مدينة سجلماسة المركز الثاني من مراكز التجارة المغربية بعد القيروان ، بالرغم من العداوة التي كانت بين القيروان وصفرية سجلماسة ، فقد كانت بينهم علاقات

---

(١)دلماسيا : الجزء الغربي من يوكوسلافيا أو كرواسيا الواقعة على البحر الأدرياتيكي ، عاصمتها ليوبيانا . المحامي ، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : احسان حقي ، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٧٤ .

(٢) زغروت ، محمد محمد : العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبد العزيز ، العدد الأول ، السنة الحادية عشرة ، شوال ١٤٠٥هـ / يونيو ١٩٨٥م ، ص ١١٦ – ١١٩ . زيادة : الطرق التجارية ، العدد ٥٣ ، ص ٤٠ – ٤٢ .عوض الله : العلاقات ، ص ١٥٨ – ١٦١ . محمد : دراسات ، ص ٧٨ – ٨١ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٧٣ .

بالإضافة إلى السلع السودانية التي ترد إلى سجلماسة ثم تنقل إلى القيروان .

وتستورد سجلماسة من القيروان : الحديد والرصاص والزجاج والخزف والسروج والمنسوجات الحريرية .

- دولة فاس :

توطدت الصلات التجارية بين الدولتين ، رغم العداء المتأصل بينهم ، فقد كانت أسواق فاس تعج بالتجار المدراريين والسلع التي كانت سجلماسة تصدرها لفلس هي السكر والكرات والأحذية والتمر والقمح والمنسوجات الصوفية والقطنية (١) .

- دولة تاهرت :

سبق وأن ذكرنا أن العلاقة بين تاهرت وسجلماسة علاقة حسنة ، لذلك كان لا بد من اشتراك الدولتين في الأعمال التجارية ، خاصةً وأن المسافة بينهم قصيرة فيما يقرب من خمسين مرحلة (٢)، لذلك كان النشاط التجاري وتبادل السلع والبضائع بينهم أمرمحتوم.

- دولة الأندلس :

كان لحسن العلاقة التي بين الدولتين ، أثرها في تقوية العلاقات التجارية وتبادل السلع ، فكانت سجلماسة تصدر للأندلس السكروالقمح والكروم والتمور .

وفي المقابل كانت بلاد الأندلس تصدر لدولة سجلماسة الثياب الأندلسية والمطرزات القطنية والكتانية والحريرية التي اشتهرت بها قرطبة ، ونتيجة لتطور صناعة النسيج القطني في سجلماسة ، فقد استوردت القطن الإشبيلي الخام المعروف بشهرته في العالم الإسلامي ، من ذلك وجدنا من المؤرخين من يشير إلى جودة القطن الإشبيلي وتصديره إلى سجلماسة (٣).

---

(١) قلعة مهدي: هي حصن تقع على جبل عالٍ وبها مزارع وأسواق وهي تبعد عن تادلة بمرحلتين يسكنها قبائل زناتة.
تادلة : تقع بين صنهاجة وهي قاعدة لها ، تطل من جهة الغرب إلى جبل درن .
أبي الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٣٤ . مقديش : نزهة الأنظار ، المجلد ١ ، ص ٧١ . محمد : دراسات ، ص ٨٠ – ٨١ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٧٦ – ٢٧٨ .

(٢) مرحلة : واحدة المراحل ، وتعني المسافة بين مدينة وأخرى .
الرازي : مختار الصحاح ، ص ٢٠٩ .

(٣) محمد : دراسات ، ص ١٢٩ .

كما أنه نتيجة لهذا التبادل التجاري أن توطدت العلاقات بين الطرفين وقدمت التسهيلات للتجار الأندلسيين والمدراريين في جلب السلع التي يرغبون في المتاجرة بها ، وعبر ميناء تابجريت [١] .

- السودان وما جاورها من البلاد :

تعتبر العلاقات التجارية بين سجلماسة وبلاد السودان وما جاورها من أهم وأقوى الروابط التجارية، فكانت حجر الزاوية في ازدهار ورقي النشاط الاقتصادي في سجلماسة.

وقد ذكر أن هذه البلاد تضم أخلاطاً مختلفة من الزنوج ، وهي التي تقطن ما بين شرق البحر الأحمر وغرب البحر المحيط وبين شمال المناطق الصحراوية وجنوب الغابات الاستوائية ، فكانت مواطن هذه الشعوب مجاورة للصحراء الكبرى ، حيث يفصل بينها وبين بلاد المغرب حدود طبيعية وهي عبارة عن سلاسل جبلية ، تتخللها المفاوز التي كانت المنفذ الوحيد الذي يعبر عن طريقة أهل هذه البلاد إلى بلاد المغرب ، فنشأت صلات تجارية قوية ، والسبب الأول لهذه العلاقة ما كان من استعانة حكام بني مدرار بعنصر السودان في تأسيس كيان سياسي يضم عناصر الصفرية المشتتة ، وحتى يقوي أبو القاسم سمكو من عزيمة شعب السودان عين عيسى بن يزيد الأسود وقام بنشر الإسلام بينهم ، وهو ما تطرقنا إليه سابقاً [٢] ، فكان هذا الأمر أول الطرق التي وطدت العلاقة بين دولة السودان وبني مدرار [٣]، مما دفع لإنشاء مراكز تجارية في هذه المناطق وهي :

---

(١) تابجريت : يقع غلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، تصدر عن طريقه بضائع سجلماسة ، كما يعتبر محطة للسفن، ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها .

محمد : دراسات ، ص ١٢٩ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٧٦ . عوض الله : العلاقات ، ص ١٢٩ . زيادة : دراسات في المغرب ، ص ٣٢٣ . الجنحاني : الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٥ .

(٢) انظر : ص ٤٤ – ٤٥ .

(٣) لمزيد من المعلومات عن بلاد السودان انظر : الفاروق ، عمر بن على : فتح الرحمن في تاريخ نجيريا الشمالية والسودان ، مطابع دار الثقافة ، مكة ، ١٣٨٤ ، جـ ١ ، ص ٨ . التونسي ، محمد بن عمر : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، حققه وكتب حواشيه : خليل محمود عساكر – مصطفى محمد مسعد ، راجعه : محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٥٤ ، ١٣٣ – ١٣٤ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

مبروك وأروان وولاته وتُمبُكتو وجاو وسكوتو وكانو وكوكا وسندر ، وهــذه المراكــز كانت في نفس الوقت محطات للقوافل ، وأماكن تعين على انتشار الإسلام(١).

ولم تكن علاقة هذه البلاد التجارية مقتصرة على سجلماسة فحسب ، بل كانت لــها علاقات وطرق تجارية مع كل مدن بلاد شمال إفريقيا .

وقد كانت صادرات وواردات دولة سجلماسة والسودان كالتالي :

تُصدر سجلماسة لبلاد السودان وخاصة أودغست وتكرور وغانة :

القمح والنحاس وأنواعاً من التمور والثمار المجففة والمنسوجات والملح والخرز .

أما الذهب والرقيق والعنبر فتستورده من السودان وأشجار الصمغ تجلب من جبل قريب من أودغست ، حيث يستخدم في صمغ قماش الديباج ، والذي كانت له قيمة كبــيرة في الأندلس، لذلك كانت أشجاره تصدر لها .

كما تستورد سجلماسة من أودغست الذهب الأبرنز الخالص عبارة عـــن خيــوط مفتولة ، فقد قيل أن ذهب أودغست أجود من ذهب أي مكان على الأرض وأصحه (٢) .

أما ما يصدر لأدغست فهو الزبيب والقمح وأنواع من الثمار والنحاس ، والفســتق

---

(١) أوروان أو أروان : هي واحة خصبة ، مركز ومحطة للقوافل المتجهة إليها من بلاد المغرب ، وتبعد أوروان عــن موقع تمبكتو بسبعة مراحل . وسكان أوران كانوا من الطوارق ، وهم الذين أسسوا مدينة تمبكت ، وتقوم التجارة بيــن السودان والمغرب في أسواق أوروان ، بين القوافل التي تجلب الذهب من مدن الجنوب والتي تأتي من توات وغدامس .

تمبكتو : تأسست هذه المدينة عام ١١٠٠م ، وهي مدينة إسلامية وتجارية شهيرة ، وقد أثنى ابن بطوطة على أهلها فــي القرن ١٤م بأنهم ذوى حماس شديد لمعرفة الدين الإسلامي والإقبال عليه ، وقد كانت مأوى للمغاربة ومصــر ، لذلــك كان المغرب هو المصدر الرئيسي لحضارة تمبكتو ، وقد ساعد موقعها على طرف الصحراء على جعلها مركز تجــاري هام لتجارة الصحراء وخاصة الملح والذهب .

جاو (كاغو) : تقع على بعد ٤٠٠ميل نحو جنوب شرق تمبكتو ، أنشأت قبل تمبكتو ، وهي عاصمة ســلطنة ســنغي ، وأهلها شعب مسلم ، بها عدد كبير من التجار الأثرياء ، كما يوجد بها سوق لتجارة الرقيق ، يرد إليــها القمــاش مــن المغرب وأوروبا ، وقد تم تأسيس هذه المدينة قبل وصول الإسلام إليها في أواسط القرن الثاني من الهجرة .

سكوتو أو سكتو : وهي مملكة تقع بين بنوى والنيجر . كانو: من أعظم مدن نجيريا .

لمزيد منالمعلومات عن مملكة سكتو وكانو انظر : الفاروق الفولاني : فتح الرحمــن ، جـــ١-٢ ، ص ٩ ، ٦٥ ومــا يليها. عوض الله : العلاقات ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ . مؤنس : المغرب ، المجلد ١ ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ١٤٤ .

الذي يجلب من مدينة قفصة ، أما غانة فيجلب منها التبر ، ويصدر لها الرقيق .

وقد أشار بعض المؤرخين إلى أهم مراكز التجارة بين البلدين ، فمنها مدينة درعة التي كانت مركزاً تجارياً هاماً في سجلماسة ، حيث تخرج منه القوافل النازلة بمدينة سجلماية والقادمة من السودان ، في المقابل كانت مدينة أبوالاتن من أولى المراكز التي تصل عن طريقها القوافل إلى بلاد السودان ، فكانت قوافل المدراريين تخرج قاصدة بلاد السودان وهي تحمل الملح والنحاس والودع ، وتعود في المقابل وهي محملة بالذهب وسن الفيل الذي يصنع منه العاج والأبنوس والجلود الشركية ، والرقيق .

كما تعتبر مدينة تغازة من أهم المراكزالتجارية أيضاً ، حيث تعتبر المصدر الـهام لمعدن الملح لقرون عديدة ، تقطنها قبيلة مسوفة ، وهي مركز أيضاً لتجارة الذهب ، حيث يتم استبداله بالملح ، وقد أدت أهمية هذه المدينة الاقتصادية إلى نشوب الصراع بين المغاربة والسودانيين على ملحها ، ولم تكن لهذه المدينة عمارة ، بل كان أهلها يعيشون على ما يجلب إليهم من مدن أخرى كدرعة وسجلماسة والسودان ، حيث كانت تنعقد بين تغازة وهذه المدن تجارة الملح [١] .

---

(١) قفصة : من عمالة بلاد الجريد ، متوسطة بين القيروان وقابس ، قيل بناها غلام النمرود بن كنعان ، وقد كان تعرف هذه المدينة باسم [الحنية] لأن بها بناء يشبه الحنية ، وهي مدينة زراعية يكثر بها الآس والياسمين والنارج والسوسن ... وغير ذلك . كما يوجد بها الفستق أكثر من أي بلاد أخرى ، فيصدر لبقية مدن إفريقية والأندلس ، وبها أيضاً العديد من الصناعات مثل صناعة الخزف والأواني وغير ذلك .

غانة : من مدن بلاد السودان ، تبعد عن سجلماسة مسيرة شهرين ، وهي عبارة عن مدينتين لذلك اعتبرت من أكبر مدن السودان ، وأهلها مسلمون من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن ، ذكر البكري عنها ((وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أكار وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً أحدهما يجتمع فيه الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم ، وتعتبر من المدن الغنية بالذهب والفضة .

الودع : من السلع التجارية الهامة ، فقد كان يستعمل كعملة تجارية متداولة ، فكان التجار المغاربة يتاجرون به في بلاد السودان بعد جلبه من بلاد الهند ، وذلك بعد احتلال أوروبا لسواحل افريقيا الغربية ، فأصبحت السفن تتنافس في جلب هذه السلعة من الهند . وكانت أهمية هذه السلعة تكمن في استخداماته فكان يصنع منه الحلى التي كانت شائعة ببلاد السودان .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٢٦ – ٤٢٧ ، ٤٧٧ – ٤٧٨ . البكري : المغرب ، ص ١٧٤ – ١٧٦ . الأندلسي : الحلل السندسية ، جـ ٢، ص ٤١٩ – ٤٢٠ . عوض الله : العلاقات ، ص ١٣٠ ، ١٤٩ – ١٥٠ . الجنحاني : الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٥ .

- الدولة الفاطمية :

استمر ازدهار دولة سجلماسة التجاري لزمن طويل حتى تمكنت الدولة الفاطمية من امتلاك سجلماسة .

بدأت العلاقة التجارية بين الدولة الفاطمية وسجلماسة في عهد مبكر قبل قيام الدولة الفاطمية ، منذ وصول عبيد الله المهدي الشيعي لمدينة سجلماسة بشخصية تاجر ، فمن المؤكد أنه كانت له علاقة تجارية مع حاكم المدينة اليسع بن مدرار ، فكان يصله بالهدايا الثمينة ، والأموال التي تصله من أتباعه في قبيلة كتامة (١) .

وبعد قيام الدولة الفاطمية وتمكنها من السيطرة على سجلماسة وغيرها سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م ، أدى ذلك إلى ثورة الخوارج ضدها فتسبب ذلك في تدهور الأوضاع الاقتصادية ، خاصةً التجارة ، وقد زاد الأمر سوءًا عندما قام الفاطميون بأعمال تعسفية ضد شعب البلاد ، حيث نهب الفاطميون أهلها واستولوا على أموال بني مدرار ، ثم أشعلوا فيها النيران ، هذا إلى فرض جباية مالية وغرامات جائرة على البلاد ، وقد أدى كل ما سبق ذكره إلى تخريب الطرق وإحراق المزارع وتدمير المدن ، وهو ما أدى إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية ، ومن المؤكد أن هذه الأمور أدت إلى توقف النشاط التجاري(٢).

ولكن بعد أن تم للفاطميين السيطرة النهائية على سجلماسة أبقوا على مركزها التجاري كما هو ، للمكانة التي تحتلها هذه المدينة لدى تجار الصحراء الغربية والشرق(٣).

- مدن المشرق الإسلامي :

لم يجد البحث أي معلومات عن نوعية التجارة التي كانت بين المشرق وسجلماسة إلا اليسير ، وذلك من أن بعض تجار المشرق كانوا يرتادون إلى سجلماسة بغرض التجارة .

---

(١) الجنحاني : دراسات في تاريخ المغرب ، ص ٦٢ .

(٢)عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٨٤ .

(٣)زبيب : الموسوعة العامة ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .

- دول الغرب الأوروبي :

كانت لبلاد المغرب علاقات مع الدول الأجنبية قبل وصول الإسلام وبعده ، فقد علمنا مسبقاً [١] ما جناه البيزنطيين من بلاد المغرب من خيرات ، فمن الطبيعي أن تصدر هذه الخيرات إلى مدن أوروبا ، وبعد وصول الإسلام لأرض المغرب ، تمكن المسلمون من التغلب على البيزنطيون ، إلا أنه بلا شك استمر التعامل بين مدن أوروبا وبين بلاد المغرب ، خاصةً وأن أوروبا كانت في حالة من الركود ، حتى أطلق على ذلك العصر بالعصور المظلمة ، على عكس ما حاول المستشرقون الأوروبيون تصويره عن بلاد المغرب عندما أطلقوا تسمية عصور المغاربة المظلمة ، حيث أتهم العرب بأنهم السبب في خراب بلاد المغرب [٢] .

فبعد أن شاهد الأوروبيون ما وصل إليه العرب من رقي حضاري ، عملوا على الاستفادة من هذه الحضارة ، فبدؤا بعقد صلات تجارية بينها وبين بلاد المشرق ، وخاصةً المغرب الإسلامي لأن به أهم سلعه هي : الرقيق ، والذهب فقد كانت مدينة البندقية مركزاً هاماً لتجارة الرقيق حيث كان اليهود هم أصحاب هذه التجارة ، فوجود عنصر اليهود في سجلماسة يؤكد اشتراكهم في هذه التجارة ولو بطريق غير مباشر .
هذا إلى أن دول الغرب الأوروبي كانت تستورد الجوز والنحاس من سجلماسة[٣].

---

(١) قام سالم حميش بتأليف كتاب تناول اراء المستشرقين عن بلاد المغرب في العصور الوسطى ، حيث ذكر : إن ما يهمنا ويشغلنا في تاريخ المغرب في العصر الوسيط هو ما حاول الاستشراق الأوروبي إثباته عن الفتح العربي بأنه كارثة ووبال على البلاد المغربية حيث أطلقوا عليهم عرب الغزو والكارثة .

حميش ، سالم : المغرب في الدراسات الإستشراقية ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة الندوات ، مراكش ، شوال ١٤١٣هـ / أبريل ١٩٩٣م ، ص ٦٥ .

لمزيد من المعلومات عن عصور أوروبا المظلمة انظر : المستشرقة الألمانية : هونكة ، زيفريد : شمس العرب تسطع علي الغرب ، نقله عن الألمانية : فاروق بيضون – كمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه : مارون عيسى الخوري ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ .

(٢) انظر : ص ٢٣ .

(٢) زغروت : العلاقات التجارية ، ص ١١٥ – ١٢٠ .

الحياة العلمية :

تعتبر الحياة العلمية والثقافية الركيزة الأولى في بناء المجتمع ، به تستطيع الدول معرفة حضارات الأمم السابقة لها، فجاء الدين الإسلامي والعلم متلازمين وجزءًا لا يتجزأ من تاريخه .

فقد دخل الإسلام بلاد المغرب مقترناً بالعلماء والفقهاء ، وعندما غزا مذهب الخوارج بلاد المغرب ، أثرتأثيراً كبيراً على أهل هذه البلاد ، حيث كانت تعاليمه تختلف عن تعاليم المذاهب الأخرى التي كانت في المغرب ، فهو يدعو في جوهره إلى العودة لتعاليم الإسلام الصحيحة ، لذلك أقبل البربر وغيرهم من أهل المغرب ومن جاورهم إلى اعتناقه [١].

فكان هذا الأمر هو السبب الرئيسي في تشكيل كيان دولة سجلماسة ، حيث ازداد عدد من إعتنق مذهب الصُّفْرية ، لذلك رأى أئمة المذهب ضرورة إقامة دولة أو كيان يضم أتباع المذهب ويكون مقراً له ومركز لنشر هذا المذهب .

ومن المؤسف ألاَّ نجد معلومات كافية عن دور سجلماسة في الحياة الثقافية ، فلم يجد البحث إلا ما ندر من المعلومات في هذا الجانب ، فجميع الكتب التي تحدثت عن الجانب الثقافي لم تذكر إلا قدراً يسير من المعلومات عن الناحية الثقافية .

فلم يتبق كما ذكر بعض المؤرخين من آثارهم الفكرية ما يجعلنا نتوصل إلى كثير من التفصيلات والمعلومات المهمة ، حيث تعرض أكثره إلى التلف والإهمال ، كما لايوجد من المؤرخين والكتاب المعاصرين لهم ما يدلنا على أخبار سجلماسة وبني مدرار واهتماماتهم بالحركة الفكرية والعلوم كما هو الحال بالنسبة للرستميين ، ربما أتلف الزمن مؤلفات من اهتم بتواريخهم وتصانيفهم [٢].

كما علق بعض المؤرخين على هذا الأمر بأن أخبار الخوارج عرفت عن طريق الأقوال أو الأحاديث المنقولة من الناس عنهم ، فلم يعثر لهم على كتاب مصنف كالمعتزلة

---

(١) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٢) محمد : دراسات ، ص ١٢٥ .

والرافضة والزيدية والكرامية والأشعرية وأهل المذاهب الأربعة ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والظاهرية والصوفية وغيرهم [١] .

فالعديد من المصاعب كانت تعترض سبيل من أراد الكتابة عن هذة الدولة ، ففي بعض الأحيان تندر المادة التاريخية فعلى الرغم من كثرة ما دون عن تاريخ الخوارج لم يصل إلينا من تاريخ دولة بني مدرار إلا القليل النادر [٢] .

ربما يرجع قلة تأليف الخوارج وضياع ما ألفوه إلى طبيعة حياتهم الثورية حيث كانت الثورات والمعارك تأخذ منهم جهودهم وأوقاتهم ، فيصعب عليهم وضع المؤلفات في تاريخهم وتسجيل آرائهم [٣] .

أما البحث فيرى بالإضافة إلى ما سبق أن السبب في ندرة مؤلفاتهم ربما كان الحريق الذي أضرم في سجلماسة بأمر المهدي الشيعي ، فأدى ذلك إلى حرق الكثير من الكتب النادرة ، التي لم تصل إليها يد العلماء ، فقد بدأت الكتابة عن تاريخ المغرب وأحداثه في وقت متأخر عن بلاد المشرق ، فكان السبب هو رفض البربر للدين الإسلامي في بادئ الأمر [٤] .

فمما أشار إليه الباحثون اهتمام حكام سجلماسة وأهلها بالعلم ، إلى حد أنهم كانوا إذا اختلفوا في مسألة استعانوا بأحد العلماء للبت فيها [٥] .

العلوم والمعارف .

وصل مذهب الخوارج لبلاد المغرب على أيدي عدد من الأئمة ، إلا أنه لم يقدر لأصحاب المذهب الصفّري الأول نشر هذا المذهب ، أمثال عكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعيد وابن مغيطر ، فما كان من أهل المغرب إلا أن بعثوا عدداً من رجالهم

---

(١) ابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس أحمد : مجموعة الرسائل الكبرى ، دار الفكر ، بدون تاريخ طبع ، جـ ١ ، ص ٣٧ .

عواجي : الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ، ص د .

(٢) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١١٢ .

(٣)عواجي : الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ، ص هـ .

(٤)عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢١٧ . ابن عذاري ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٥) الشماخي : السير ، ص ٢٣٧ .

إلى المشرق لدراسة تعاليم المذهب ، ومن ثم عادوا بعد أن أمضوا خمس سنوات في هذه الرحلة العلمية إلى بلاد المغرب حملة للعلم ، فقاموا بتدريس تعاليم المذهبين الصفري والأباضي ، حيث كثرت الحلقات في بلاد المغرب لنشر الكثير من العلوم والمعارف التي كانت بمثابة مدارس لتفقيه وتدريس العلوم العقلية والعلوم الشرعية ، وهي منهج الأصول والفروع والشريعة والسير وآراء وسجالات الفرق ووجه الاختلاف بينها وتدريس التوحيد وعلوم اللغة والرياضيات والفلك (١) .

كما أن الخوارج برعوا في نظم الشعر منذ ظهور مذهب الخوارج في المشرق، وهو ما أشار إليه بعض الكتاب ، فيعتبر الخوارج شعرهم زهدي ثوري جامح ، يرفع الإنسان الخارجي مكانة رفيعة ، لأن كل إنسان ذهب في سبيل العقيدة يُعد شهيداً ، ومثلاً أعلى في نظر أصحابه بعد استشهاده ، لذلك تشابهت جميع الفرق في الاهتمام بالشعر وإن اختلفت أغراضه .

فمن الشعراء شاعر خارجي يبكي حزناً وأسى على الأصحاب الذين استشهدوا قائلاً :

ولقد مضوا وأنا الحبيب إليهم ... وهم لدي أحبةٌ أبرارُ
قدر يخلفني ويمضيهم به ... يا لهف كيف يفوتني المقدار (٢)

أما من الخطباء قطري بن الفجاءة الذي كان يرجع نسبه إلى بني مازن بن عمرو بن تميم ، فقد ذكر خطبة ذم فيها الدنيا وحذر فيها من السير وراء ملذاتها ، لأن خضرتها لا تدوم ، حائلة زائلة (٣).

---

(١) القلقشندي :جـ٥ ، ص١٦٣،١٦٥. البشاري ، المقدسي: دراسة كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من الناحية التاريخية ، تحقيق :عدي يوسف مخلص ، مطبعة النعمان ، النجف ،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٢٣٠ – ٢٣٢.أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ص٩٣. عبد الرزاق : الخوارج ، ص٢٩٢.

(٢) مجهول : ديوان شعر الخوارج ، جمع وتحقيق : إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٩ – ٢٢ .

(٣) الأندلسي : العقد الفريد ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه : أحمد أمين – أحمد الزين – إبراهيم الابيارى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، جـ ٤ ، ص ١٤١ – ١٤٧ .

فالحركة الخارجية لم تكن ضد التطور والازدهار الفكري ، فعلى عهد الدولة العباسية ظهر كثير من علمائهم وأدبائهم .

أما عن تعاليم الخوارج فقد طرأ عليها مع مرور الوقت الكثير من التغيير مما مهد الإستفادة منها حيث ظهر أثرها في تقدم الفكر الديني عند المسلمين ، خاصةً بعد أن تقربت من أهل المذاهب والنحل واستخدمت أسلوبهم بالتحدث بعلم الكلام[١].

فلا شك في أن أهل سجلماسة اهتموا بهذا الجانب الفكري ، ودليل ذلك ما ذكره ابن خلدون من أن أبا القاسم سمكو كان يخطب باسم خلفاء بني العباس المنصور والمهدي ، فهو دليل على اهتمامهم بالشعر وأغراضه [٢] .

هذا أمر طبيعي فقد عرف عن قبيلة مكناسة اهتمامهم بالعلم والعلماء فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس الموهوبة ، ومن حملة العلم عن التابعين ومن مشاهيرهم سعيد بن واسول جد بني مدرار ملوك سجلماسة ، الذي أخذ عن عكرمة مولى العباس [٣] . هذا يدل على مدى شغف سلالة مكناسة بالعلم والثقافة والمعرفة .

أما الجانب الآخر الذي اهتم به الخوارج بوجه عام وحكام سجلماسة بوجه خاص، هو حلقات المناظرات والمجالس العلمية ، فقد أحدث انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب ضجة كبيرة ، أثارت التنافس الفكري بين مذهب الخوارج وغيره من المذاهب والفرق الأخرى التي وصلت بلاد المغرب ، وهي المذهب المالكي السني والمعتزلة وآخرها كان المذهب الفاطمي الشيعي ، فكل من هذه المذاهب يعمل على كسب البربر ومن ثم الانضمام إليها .

وبلا شك فالمذهب المالكي السني هو أفضل هذه الذاهب وأقواها حجة ، إلا أن مذاهب الخوارج تمكنت من الانتشار بسرعة في جميع بلاد المغرب ، حتى أن المذهب

---

(١) حسن ، نبيلة : في تاريخ الدولة العربي ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ٣٣٣ – ٣٣٤ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١١٢ .

(٢)ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ ٦ ، ص ١٥٠ .

(٣) المصدر السابق : جـ ٦ ، ص ١٢٣ – ١٢٤ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٩٣ . أبو مصطفى : جوانب الحياة الإجتماعية ، ص ٩٣ .

المالكي السني لم تعد له المقدرة على القضاء عليها رغم كل المحاولات التي أبداها ولاة المغرب من أجل ذلك ، فقد أشارت بعض كتب التاريخ إلى قيام أصحاب مذهب الخوارج بعقد حلقاتهم بجامع القيروان دون أن يحاول أي من ولاة المغرب منع هذه الحلقات إلى أن جاء سحنون الذي تمكن من منعها وعاقب كل من خالف الأمر بالعقاب الشديد لذلك تفرقوا في أنحاء المغرب ، وأقاموا دويلات مستقلة (١) .

وإن ما يؤخذ على ولاة الخلافة العباسية أنهم توقفوا عن محاولة القضاء على هذه الدويلات ، مما أدى إلى إزدياد عدد معتنقي هذا المذهب ، ومن ثم قويت بذلك شوكتهم حتى أصبح من المحال القضاء عليهم بيسر وسهولة (٢) .

تأكد لنا من البحث المستوى الذي وصل إليه العلم لدى الخوارج في جميع المجالات ، فمن المؤكد أن تهتم سجلماسة بهذا الجانب أيضاً إلا أنه من المؤسف أن لا نجد أي كتاب أو أي أثر يوضح لنا ذلك إلا ما أشارت إليه بعض المصادر التي ذكرت أن مشائخ سجلماسة أكثر من مشائخ بلاد المغرب ، بالإضافة أنهم كانوا يفوقونهم أيضاً في المنظر والمخبر ولكن الغريب أن هذه المصادر لم تذكر لنا أسماء هؤلاء المشائخ (٣) .

كما ذكر نقولا زيادة وجود مكتبة كبيرة بمدينة سجلماسة تضم عدداً كبيراً من الكتب، فيقول: بأن لها دوراً كبيراً في إثراء الحركة العلمية والثقافية ، حيث استنتج ذلك مما ذكره المورخون عن مكتبة تاهرت التي كانت تعرف بالمعصومة حيث كانت تضم عدداً كبيراً من الكتب ، ولا شك من أن هذه الكتب كانت ترد على الدولتين تاهرت وسجلماسة ، حيث تضم هذه الكتب علم الفقه والتوحيد والنحو والفلك والرياضيات والتفسير (٤) .

---

(١) داود ، محمد أبو العزم : الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢٣٩ . زيتون : القيروان ، ص ٣٥٤ ، ٤٣٢ .

(٢)محمود ، حسن أحمد – الشريف ، أحمد إبراهيم : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ٣١٨ .

(٣) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٤) زيادة : دراسات في المغرب ، ص ١٢٨ .

(٥) محمد : دراسات ، ص ١٢٦ .

ويعتبر أهم عمل قامت به سجلماسة من أجل إثراء الحركة العلمية هو نشر الديـــن الإسلامي وعلوم المعرفة في بلاد السودان وماجاورها من بلاد [٥] .

---

(١) محمد : دراسات ، ص ١٢٦ .

أشهر العلماء .

بالرغم من أن سجلماسة كانت تسير جنباً إلى جنب مع دولة تاهرت في جميع مجالات الحضارة ، خاصة الجانب العلمي ، إلا أن وجود الكتابات عن الدولة الرستمية أكثر من الكتابات عن الدولة المدرارية ، فقد تعذر على البحث العثور على الأعلام والشخصيات المشهورة في تلك الفترة إلا ماندر .

هذا إلى أن الشخصيات التي تم العثور عليها لم تتحدث عنها المصادر بشكل مفصل ، حيث كان أكثر النقص في ذكر تواريخ الميلاد والوفاة ، فمعظم هذه الشخصيات لم يذكر لها تاريخ مولد ولا تاريخ وفاة ، ولم نتوصل إلى الدور الذي لعبته هذه الشخصيات في مجريات الدولة ، ولم نعثر لهم في معظمها على مؤلفات تختص بهم، كما لا توجد لدينا معلومات كافية عن المجال الذي برعت فيه هذه الشخصيات ، وهي كالتالي:

١ـ أبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي [١] .

ذكر أنه من أصحاب الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك والتزموا مذهبه وساروا على نهجه من دون أن يروه أو يستمعوا له [٢] ، فقيل إنه أول من أدخل فقه عبد الملك الماجشون لبلاد المغرب ، حيث استمع له ولى عبد الله بن بكر السلمي وسحنون[٣].

---

(١) ذكره القاضي عياض باسم : حماد بن يحيى أبو يحيى السحلماسي . لم تذكر المصادر تاريخ وفاته ولا مولده ، إلا أننا من الممكن أن نستنتج فترة تواجدها في فترة عهد الدولة المدرارية من خلال الشخصيات البارزة التي عاصرتها فقد كانت هذه الشخصية موجودة قبل وفاة سحنون سنة ٢٤٠هـ .

زيتون : القيروان ، ص ٢٧٥ . السبتي ، أبو الفضل عياض : تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تحقيق : محمد الطالبي ، طبع بالمطبعة الرستمية للجمهورية التونسية ، ١٩٦٨ ، ص ٨٦ .

(٢)السبتي : تراجم أغلبية ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٣)عبد الملك الماجشون : هوأبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز التميمي الماجشون ، من فقهاء المذهب المالكي ، روى الكثير عن أبيه وعن الإمام مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد ، وقد روى عنه سليمان بن داود وعمر بن على وعبد الملك بن حبيب ، مات بالمدينة قيل سنة ٢١٢ ، وقيل سنة ٢١٣ .

عبد الله بن بكر السلمي أو عبد الله بن بكير السهمي : محدث وفقيه من فقهاء البصر ، مات ببغداد سنة ٢٠٨هـ ، وروى عن حميد الطويل ، وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره .

السبتي : تراجم أغلبية ، ص ١٤٦ – ١٤٧ . القيرواني : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٢٠٣ . القيرواني : طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع ، ص ١١٨ .

وهذا دليل على أنه من أتباع المذهب السني ، إلا أن المصادر لم تذكر السبب الذي جعله ينبذ المذهب الصفري .

كما أن عمله في التجارة أتاح له الترحال من مكان لأخر ونيل العلم من أهله حيث كانوا ، وعرف بأنه شيخ صالح ، استمع له عامة أصحاب سحنون ، فلو كان صُفْري المذهب لما استمع له أصحاب سحنون وأخذوا منه.

ربما كانت سجلماسة هي البلد الذي ولد بها وعاش بها أهله ، ولكنهم على مذهب أهل السنة والجماعة ، فقد ذكرت بعض الروايات وجود أقوام من المشرق رحلت إلى المغرب ، واستقرت بمدينة سجلماسة ، فلربما كان هذا الشيخ منهم ، لذلك لقب بالسجلماسي .

والإفتراض الآخر ربما كان أبواه وعشيرته على المذهب الصفري ، ولكنه لم يكن راضياً عن هذا المذهب ، فخرج في طلب العلم ، حتى يصل إلى المذهب الذي يرضيه .

لذلك قصد القيروان حتى يستمع لأصحاب المذهب السني ، فوجد فيه الخير الذي يبحث عنه ، فأصبح عالماً من علماء هذا المذهب ، حتى أن أصحاب سحنون عدوه من شيوخ العلم .

وقد أخذ عليه لأن كتبه بها تصحيف كثير ، أي تضعيف . فهل يدل هذا أن الضعف كان من حيث الخط أم من حيث دقة رواية الأحاديث ، فمن المؤسف أن البحث لم يتمكن من إيجاد أي نسخة لكتبه .

٢ ـ حسن حماد بن يحيى السجلماسي .

أخذ العلم عن أبيه أبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي ، استمع له محمد بن بسطام[١].

---

(١) محمد بن بسطام : وهو أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي السوسي البصري الأصل ، من الثقات له العديد من الكتب ، سمع من أصحاب سحنون ، أدخل إلى إفريقية كتباً غريبة من كتب المالكيين ، كما كان فقيراً عاش بالقيروان ثم انتقل منها إلى السوس ، توفي سنة ٣١٣ .

القيروان : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٥٤. السبتي ، القاضي عياض بن موسى : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ، الرباط ، جـ٤، ص٩٧.

والغريب أن المصادر لم تتحدث عن هذه الشخصية بشيءٍ من التفصيل ، ربما يكون قد مات قبل أن يعمد لنشر العلم الذي بيده .

٣ ـ عيسى بن سعادة السجلماسي .

من أهل سجلماسة ، كنيته أبو موسى ، تلقى العلم عن مشايخ القيروان ، وهو من كبار العلماء وفضلائهم ، من مؤلفاته رواية بالأندلس لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم ، صاحب أبا الحسن القابسي ، وأبا محمد الأصيلي ، وحمزه بن محمد الكناني وغيرهم ، في رحلته إلى المشرق .

قال عنه أبو الحسن القابسي :« يقول في بعض المسائل : هذه المسألة قال فيها عيسى بن سعادة الذي لم يرض أن يتكلم في مسألة قط حتى يتقنها كذا وكذا . وقد أخذ عنه أبو محمد بن أبي الفقيه وغيره من كبار العلماء رحمهم الله » [١] .

٤ ـ أبو غانم الصفري .

لم يجد البحث ترجمة لهذه الشخصية ، فقط عثر على مخطوطة نسبت لها ، حيث تناقش هذه المخطوطة أمور متعلقة بالدين وبعض الشرائع ، إلى أن المطلع عليها يجد بها، بعض الأمور المخالفة للشريعة الإسلامية .

لانعلم السبب الذي جعل المصادر لم تذكر ترجمة لهذه الشخصية ، ولم نجد أيضاً على المخطوطة ما يمكننا من استنتاج أي معلومة تساعدنا على معرفة الفترة التي عاشت فيها هذه الشخصية ، كما أن المخطوطة صعبة القراءة لعدم وضوح كثير من الحروف ، ولكننا تمكنا من معرفة بعض المعلومات ، حيث تناول المؤلف فيها المسائل الفقهية [٢].

٥ ـ أحمد بن الأمير ميمون بن مدرار المكناسي .

حكم سجلماسة بعد أخيه الفتح بن الأمير ميمون سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢ م [٣].

---

(١) ابن بشكوال ، أبي القاسم خلف بن عبد الملك : كتاب الصلة ، عنى بنشره وصححه وراجع أصله : السيد عزت العطار الحسني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤ – ١٩٥٥ ، جـ ٢ ، ص ٤١٨ .

(٢) عبد الوهاب ، أفلج : مدونة أبو غانم ، مخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية ، رقم الفن ٢١٥٨٢ ب . ذكرت هذه المخطوطة في كتابين : مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ، المجلد ١ ، ص ٣٤٤ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص١٧.

(٣) منصور ، عبد الوهاب : أعلام المغرب العربي ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

ولكن ما يدعو للدهشة والتساؤل ما السبب الذي جعل المؤرخ يضع هذه الشخصية من ضمن الأعلام ، فلم يذكر ابن عذاري ولا ابن الخطيب أو أي مصدر ذلك ، بل ذكر أنه كان حاكم من حكام بني مدرار فقط .

٦ ـ أبو الحسن علي بن خلف السجلماسي .

ألف مسند الموطأ مالك بن أنس ، ورواه عنه عبدوس بن محمد [١] .

٨ ـ عبد المؤمن بن يحيى السجلماسي .

لم يرد لهذه الشخصية ذكر في المصادر الأخرى ، وحتى هذا المصدر الذي تناول الحديث عن هذه الشخصية لم يذكر ترجمة له ، إلا فقط بعض أبيات من الشعر ، وذكر أنه أخذها من كتاب النظم والنثر لأفاضل أهل العصر لأبي بشرون المهدوي [٢] .

٩ ـ أبو على أمدكنو السجلماسي .

أخذ العلم عن محمد بن أبي زيد في القيروان ، الذي استمع له أيضاً عدد من طلاب سجلماسة ، إلا أننا لم نجد ذكر لهم في المصادر[٣].

١٠ ـ أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي .

من أفاضل علماء المشرق تلقى علومه في سجلماسة ، ومن ثم أصبح من أساتذتها حيث تلقى على يده عدد من طلاب سجلماسة ، والذين كان منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني ، ولما رحل أبو الربيع من سجلماسة اختلف أهلها في مسألة كادوا يدخلون في صراع بسببها، إلا أنهم اتفقوا على بعث من يسأل أبا الربيع فيها ، فأجابهم وأزال الخلاف[٤].

حركة التعريب .

بدأت حركة التعريب في بلاد المغرب منذ وقت مبكر، فجاءت حركة التعريب مع

---

(٢)السبتي : ترتيب المدارك ، جـ ٢ ، ص ٨١ .

(٢) الأصفهاني ، العماد : جريدة القصر وخريدة العصر قسم شعراء المغرب ، تحقيق : محمد المرزوقي – محمد العروسي المطوي – الجيلاني بن الحاج يحيى ، الدر التونسية ، ١٩٧٣ ، جـ ١ ، ص كا .

(٣) زيتون : القيروان ، ص ٤٣٣ .

(٤) الباروني : الأزهار الرياضية ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ .

انتشار الدين الإسلامي ، فلذلك كان ازدياد حركة نشر الدين الإسلامي تسير جنباً إلى جنب مع حركة التعريب ، فكون أهل المغرب بربراً تطلب الأمر تعليمهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، هذا إلى أن اختلاطهم مع العرب المسلمين ، ساعد على نشر حركة التعريب بشكل واسع ، لذلك كانت حركة نشر الدين الإسلامي التي قام بها حكام بني مدرار في بلاد السودان وما جاورها من البلاد ، تبعتها حركة التعريب (١) .

فقد كان في بلاد السودان وما جاورها عدد كبير من القبائل التي تتحدث بعدة لغات (٢) .

ولقد ذكر أن الدين الإسلامي دخل بلاد السودان منذ عهد مبكر ، حيث وصلت فتوحات عقبة بن نافع إلى بلاد السودان (٣) .

لذلك لم يقاوم أهل البلاد الدين الإسلامي ، بل اعتنقته أعداد غفيرة من السودانيين ، حتى وإن كان على مذهب الخوارج الصفرية فهم يرون فيه العدل والمساواة فمن المؤكد أنهم كانوا تحت سيطرة الاحتلال الأوروبي مثلهم مثل جميع أراضي المغرب،لذلك انتهز حكام بني مدرار هذه الفرصة ، فقام أبو القاسم سمكو بتعيين عيسى بن يزيد الأسود وهو سوداني الأصل ، ليجعل قلوب السودانيين ترغب في هذا الدين ومن ثم تكون حامية له .

وهذا دليل على كثرة قبائل السودان وقوة شكيمتهم ، وربما كان هذا الأمر هو الذي جعل الخلافة تعرض عن مناجزة هذه الدولة ، بل ربما كان لهذا الأمر أثر كبير في مجريات الأمور التي قامت في سجلماسة وعلاقاتها مع الدول الأخرى .

ومن المؤكد قيام حكام بني مدرار بإنشاء مراكز خاصة للقيام بحركة التعريب ، ولا شك أن هذه المراكز أنشئت في المدن التي خصصت مراكزاً لتجارة سجلماسة (٤) .

لذلك فإن أهم أثر تركه الخوارج الصفرية في دولة بني مدرار هو نشر الإسلام

---

(١) رضوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ٨١ .

(٢) الفاروق : فتح الرحمن ، جـ ١ ، ص ٨ ، ١٣ – ١٤ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٨٠ . التونسي : تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٣)الفاروق : فتح الرحمن ، جـ ١ ، ص ١٣ – ١٤ .

(٤)عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٩٣ . محمد : دراسات ، ص ١٢٦ .

على المذهب الصفري بين الجماعات السودانية ، فقد نجحوا في التأثيرعليهم واستقطابهم لحركتهم وسعيهم في توطيد أسس المذهب في بلادهم الواقعة جنوبي الصحراء حيث تغزر القبائل البربرية ، حتى أن الأفكار الإسلامية وصلت إلى غانة .

وقد استقر قسم كبيرمن هؤلاء بعد إسلامهم في مدينة سجلماسة،والتي أصبحت قاعدة للمذهب الصفري ليس في بلاد المدراريين فحسب بل في جميع أنحاء المغرب [١].

وعندما جاءت الدولة الفاطمية بالمذهب الشيعي ، اشترك كل من السنة والخوارج في القضاء عليه ، وعلى الجهود الكبيرة التي عملت على نشره ، فكانت نهايته وشيكة ، لولا فشل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وإخفاق حركة الشاكر لله بسجلماسة في إرساء قواعد المذهب السني في البلاد ، إذ لو قدر نجاح هاتين الحركتين لزالت الدعوة الشيعية الإسماعيلية من بلاد المغرب .

وبالقضاء على نفوذ الخوارج السياسي في بلاد المغرب انحسرت ثقافتهم وتراثهم ، وانحصر في بقاع من جبل نفوسة وواحة وأرجلان ووادي الميزاب [٢] .

---

(١) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٩٩ .

(٢) جبل نفوسة : جبل عالي به مدينتين عامرتين إحداهما تسمى شروس والثانية جادوا بهما جماعة من الإباضية والوهابية .

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٣٠٠ .

المنشآت المعمارية .

يقوم النظام المعماري في سجلماسة على نسق نظام العمارة الإسلامية في المشرق، فقد اتجه العرب المسلمون إلى التأنق في عمائرهم بعد أن اطمأنوا إلى إتمام الفتوح وبلوغ الهدف منها ، من حيث نشر الدين الإسلامي واللغة العربية ، وإتمام بناء قواعد الدولة العربية الإسلامية على أساس الدين واللغة.

وقد قامت على تلك الأسس الحضارة العربية الإسلامية وعمارتها ، وسارت قدماً في الطريق الذي هيأته لها الظروف السياسية والمناخية والاجتماعية وغيرها والتي كان لها أكبر الأثر في تكوينها.

ومن ذلك أصبح للعمارة مفاهيم وأفكار وتقاليد على تلك الأسس المشتركة بين جميع أقطار الدولة ، مما أضفى على الطراز الإسلامي في جميع تلك الأقطار وفي جميع العصور طابعاً عاماً مشتركاً لا يضاهى.

غير أنه كان يشترك معه في نفس الوقت طابع معماري محلي يمتاز به في كل قطر عن الآخر .

وبالإضافة إلى هذين الطابعين ، العام والخاص ، فقد تجتمع في بعض الأحيان خصائص قطرين أو أكثر في النظام المعماري (١) .

وهذا ماسيتضح لنا في التخطيط البنائي لمدينة سجلماسة ، وسنلاحظ أن هذه العمارة كانت نتاج طراز معماري مشترك بين المشرق والمغرب ، خاصةً الطراز الأندلسي.

فكانت العمارة الإسلامية تبدأ ببناء المسجد ثم دار الإمارة ثم ينشأ حولهما بقية الدور ، وهو النظام الذي أخذ عن النبي عليه السلام ، عندما قدم المدينة ، ومن ثم شرع ببناء الدعائم الأساسية للمدينة الإسلامية . وهذا هو النظام الذي قام عليه بناء مدينة سجلماسة (٢).

---

(١) شافعي ، فريد محمود : العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص ٨ – ٩ .

(٢)عبد القادر، الريحاوي:العمارة العربية الإسلامية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ،١٩٧٩، ص٩.

تخطيط مدينة سجلماسة :

بدأ تخطيط المدينة منذ عهد أبي القاسم سمكو عندما اختار موقع سجلماسة ، فقيل أنه كان موضع براح ، فكان يجتمع به عدد كبير من قبائل البربر ، فيقيمون به الأسواق ، فهو يعتبر لذلك موقع إستراتيجي ، لأنه مكان لتجمع قبائل البربر المختلفة ، مما يسهل عملية نشر المذهب الصُّفْري بينهم .

بعد اختيار الموقع ، أقام زعيمهم خيمتة ، فتبعه قوم يدينون بالمذهب الصُّفْري ، فضربوا خيامهم حول خيمته [١] .

وعندما تولى عيسى بن يزيد الأسود زعامة القوم ، قام بتطوير الموقع ، ولا نعلم ما إذا كان اسم سجلماسة من اختيار أبي القاسم سمكو أو عيسى بن يزيد ، أو هو من إختيار نفر من القوم ، إذ لم تخبرنا المصادرعن ذلك .

وقيل بأن عيسى بن يزيد أكمل بناء سجلماسة ، وأتقن أسوارها . هل قصد بهذا القول أنه بدأ بوضع نواة المدينة ، ونبذ الطابع القبلي ، وذلك بتشييد المساكن بالطوب والحجارة بدلاً من الخيام ، ثم أحاط المدينة بأسوار متقنة البناء [٢].

والدليل على صحة هذا الرأي ما قاله ابن حوقل من أن أبنيتها كانت تأخذ الطابع المعماري لأبنية الكوفة في بادئ الأمر ، وهذا ليس بغريب فمن المحتمل أن أتباع المذهب الصُّفْري القادمين من المشرق هم الذين أقاموا هذا البناء ، حتى يقيموا مدينة تنافس مدن المشرق والمغرب الإسلامي [٣] .

ولا يوجد بجوار مدينة سجلماسة عمران لا قبلها ولا من جهة غربيها ، إلا أنها ذات بقاع وعمارات جميلة ، من قصور وعمارة على طول طريق النهر .

كما وصف بناؤها بأنه حسن ، بها حصن يسمى العسكر[٤] ، وبها أيضاً جامع

---

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن الخطيب ، المغرب العربي ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٣٨ . ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ .

(٤) ذكر المقدسي وجود عدد من الحصون في مدينة سجلماسة وهي : حصن ابن صالح النحاسين وحصن السودان =

ودار الإمارة ، وقال آخرون أحيط ببساتينها حائط كبير مساحته أربعون ميلاً ، وهو كالحصن يمنع إغارة العرب عليها (١) .

هل نستدل من هذا القول على أن هذا السور هو نفسه حصن العسكر ، أم أن بالمدينة موضع آخر أطلق عليه حصن العسكر .

ولكن إذا أمعنا النظر في روايات المصادر حول هذا الأمر نجد أنهم يتحدثون عن السور بشكل مفرد عن الحصن ، ولو أن العديد من المصادر لم تتطرق لذكر الحصن ، بل ذكرت السور فقط (٢).

وقد اختلف مؤرخون آخرون في الرأي من حيث وجود الحصن بسجلماسة أم لا ، فيمكن تحليل هذا الأمر بأن الحصن لم يكن موجوداً في البناء الأول للدولة ، وأنشئ بعد ذلك عندما أعيد بناء المدينة من جديد ، ربما على عهد عيسى بن يزيد ، أو على عهد اليسع بن أبي القاسم ، فلم يحدد المقدسي على عهد أي من حكام بني مدرار تم بناء حصن العسكر (٣) .

وبسجلماسة عدد كبير من الأبواب ، قيل ٨ أبواب وقيل ١٢ باباً (٤) ، ربما كانت على عهد والد اليسع بن أبي القاسم ثمانية أبواب ، ثم زاد عليها اليسع بن أبي القاسم أربعة أبواب أخري فأصبحت اثني عشر باباً ، قال البكري ثمانية من هذه الأبواب كانت من الحديد ، فربما جاء اختلاف الآراء ناتج عن هذا الرأي ، فمن المحتمل أن تكون هذه

=

هلال وحصن برارة . لم تذكر هذه الحصون عند غيره من المصادر .

البكري : المغرب ، ص ١٤٨ – ١٤٩ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(١)الصوفي : نخبة الدهر ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٣٦ – ١٦٤ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٥ . الفقي ، عصام الدين : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، زهراء الشرق ، القاهرة، ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٢) ابن الخطيب : تاريخ المغرب ، القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٣٩ ؟ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ . مقديش : نزهة الأنظار ، المجلد ١ ، ص٥٦ .

(٣) البكري : المغرب ، ص ١٤٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ . أبي الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٣٢؟ . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ١٤٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١.

الأبواب الثمانية هي الأبواب الرئيسية ، والأربعة الباقية فرعية .

كما وصفت أبواب سجلماسة بأنها مرتفعة على قصورها ضخمة عالية ، ولكن البكري ذكر أن هذه الأبواب موجودة على سور سجلماسة وليس على القصور[١] .

إعادة تأسيس المدينة :

أُعيد بناء المدينة من جديد على عهد اليسع بن أبي القاسم ، الذي أعتبر المؤسس الحقيقي لدولة سجلماسة ، فقد تمكن من أن يصل بمدينة سجلماسة إلى أعلى درجات الرقي والتقدم ، لتواكب مثيلاتها من المدن الإسلامية الحضارية الكبرى [٢].

ربما كان هذا هو السبب الرئيسي في خلو مدينتين عظيمتين هما مدينة ترغة ومدينة زيز كما ذكرت المصادر، إذ أن أهل هاتين المدينتين توجهوا للسكن بمدينة سجلماسة، وربما تمكن حكام بني مدرار من التغلب عليها وضمها إلى حوزتها [٣] .

فأول عمل قام به بعد توليه حكم البلاد هو إخلاء المدينة ، ومن ثم أعاد بناءها من جديد ، فهدم السور الذي بناه أبوه ، وأعاد بناءه من جديد بشكل متقن حسن .

فقد وردت رواية أخرى تشير بأن جماعة من ربض الأندلس التي هاجرت من فاس قد نزحت إلى سجلماسة ، فاستقبلهم اليسع بن أبي القاسم ورحب بهم ، ومن ثم استعان بهم في بناء السور ، وربما استعان بهم في إضفاء الطابع الأندلسي على جميع مساكن سجلماسة .

وقد قيل إن هذا السور مبني من الطين ، وهو مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب ، وبفضل الجهد الكبير أتم اليسع بن أبي القاسم بناءه سنة ١٣٤ هـ / ٦٥٤م وانتقل للمدينة آخر المائة الثانية[٤].

---

(١)عبد الحميد : تاريخ المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٠٩ .

(٢) ذكر ابن الخطيب ((أن أبا القاسم سمعون بن يزيلان ، هو الذي بنى السور الخارج المدار على النخل والمزارع بسجلماسة عام تسعة وتسعين ومائة)) ، ولما بويع ابنه أبو المنتصر اليسع بن أبي القاسم سمعون ((هدم ما كان أبوه بناه من سور المدينة ، وبناه بناء حسناً أحسن من الأول)) .

ابن الخطيب : القسم ٣ من كتاب أعمال الأعلام ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٤)البكري : المغرب ، ص ١٤٨ . ابن عذاري : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ – ١٦٦ . عبد الحميد : تاريخ المغرب ، جـ ٢ ، ٤١٤ .

وقد حددت إحاطة السور لمدينة سجلماسة باثني عشر فرسخاً[١] ، ووصـف بأنـه دائري الشكل ، يشبه في تصميمه الشكل الذي كانت عليه مدينة بغداد ، فقد كـان بناؤهـا على شكل دائري ، وكأن ذلك إشارة على أن تخطيط بناء سجلماسة كان تقليداً لتخطيـط بناء بغداد [٢] .

ولكن كيف يكون شكل مدينة سجلماسة مستطيلاً وسورها دائري ؟ هنا ظهر خلاف في الآراء .

وقد تحدثت المصادر عن الجهد الكبير الذي بذله اليسع بن أبي القاسم فـي بنـاء مدينة سجلماسة ، حيث قيل أنه بنى سور سجلماسة من حر ماله لم يشاركه أحد في بنائه ، واستفحل ملك بني مدرار في عهده ، فأنشأ العديد من المصانع والقصور، كما قسم البـلاد على القبائل ، وأنشأ الأسواق ، ومن المؤكد أن اليهود ساهموا في بناء الدولـة ، حيـث سخروا لهذه المهنة .

والسبب في تسخير أهل سجلماسة لليهود في ذلك كونهم محبين في سكن بلادهـم لاكتساب ،عندما علموا بوفرة التبر بها أكثر من غيرها من مدن بلاد المغرب لكونها بابـاً لمعدنه ، فهم يعاملون التجار به ليخدعوهم بالسرقة وأنواع الخداع ، وقصروا البناء عليهم خاصة لأنهم خائفون من أن يعتدي أحدهم على مسلم فيهلكه ، لذلك هم ينصحونهم بالبنـاء وملازمة الخدمة دون تردد [٣] .

ومدينة سجلماسة مدينة متحضرة جداً ، دورها ومساجدها جميلة ، أمـا المـدارس فكانت ذات سقايات عديدة يجلب ماؤها من النهر ، تأخذه ناعورات من وادي زيز وتقـذف به في قنوات تحمله إلى المدينة [٤] .

---

(١) معنى فرسخ : لفظ فارسي معرب وهو واحد الفراسخ .

الرازي : مختار الصحاح ، ص ٤٣٨ .

الصوفي : نخبة الدهر ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ . البكري : المغرب ، ص ١٤٨ .

(٢) الناصري : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٠ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧. ابن عـذاري : البيـان المغرب ، جـ ١ ، ١٥٦ .

(٤)الوزان : وصف إفريقيا ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

يرى البحث في هذه الرواية التاريخية غرابة ، هل هـذا الوصـف عـن مدينة سجلماسة ينطبق على الفترة التي استمر فيها حكم بني مدرار؟ الأمـر فيـه شـيء من الغموض لأن المؤلف لم يحدد الزمن الذي كانت فيه مدينة سجلماسة بهذه الصورة .

وقيل أيضاً أن بها حمامات ، إلا أنها ذات بناء رديءٍ وغير محكـم العمـل [١] . ولكن ما الذي جعل الحكام لا يهتمون بإتقان بناء الحمامات ، فكيف لمدينة جميلة ذات بناء حسن، ومركز تجاري كبير ، أن تغفل عن هذا الأمر، فليس من المعقول أن يكون اليسـع بن مدرار قصد ذلك ، لأنه لم يترك جانب من جوانب الدولة إلا وأولاه بالرعاية .

كما تحدث البكري عن وجود مبانٍ سرية في المدينة [٢] ، وهذا دليل علـى فطنـة اليسع بن أبي القاسم وحنكته السياسية ، لأن هذه المباني سوف تكون سنداً له إذا ما أغـار عليهم أحد الأعداء بغتة وحاول تدمير البلاد ، فما على أهلها إلى التوجه إلى هذه المبـاني السرية ، والتي من الراجح أنها مبنية تحت الأرض ، كالسراديب لا يعلم بها أحد .

وإن من أجمل ما برع فيه أهل سجلماسة هي القصور التي تحدث عنها الوزان [٣]، ولكنه لم يحدد التاريخ الذي شيدت فيه هذه القصور ، هل شيدت على عهد اليسع بن أبـي القاسم ، أم بعد ذلك ؟ وهل كان لظهور الدولة الفاطمية دور في ذلك أم لا ؟

والغريب في الأمر أن المصادر لم تتحدث عن هذه القصور ، سواء في دولة بنـي مدرار أم في غيرها.

---

(١) البكري : المغرب ، ص ١٤٨ .

(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٣)الوزان : وصف إفريقيا ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

الأوضاع الاجتماعية .

عناصر المجتمع في دولة بني مدرار :

لا شك من أن قيام دولة سجلماسة في بلاد المغرب ، والمكانة التي حظيت بها أدت إلى نزوح عدد كبير من القبائل المختلفة لهذه المدينة ، وبذلك شملت الدولة عدد كبير من العناصر المختلفة وهي :

أولاً : البربر .

يعتبر البربر أهم عنصر في المجتمع المغربي ، والذين دعّموا الخوارج الصفرية، ومنهم خرجت القبائل التي كونت مجتمع دولة سجلماسة ، حيث انتهزت جماعات من بربر مكناسة ، فرصة ابتعادها عن القيروان وانشغال العرب بمنازعاتهم مع البربر ومع انفسهم ليستقلوا ويقيموا لأنفسهم دولة مستقلة عن الخلافة العباسية .

وأقامت بطون من نفوسة على منابع نهر ملوية عند الموقع الذي قامت فيه بلدة سجلماسة ، وكانت هذه القبائل تسيطر على تازا وتسول [١] .

لقد كانت دولة بني مدرار تضم عدداً من قبائل صفرية المغرب من البتر والبرانس ومكناسة ، وزناتة ، وصنهاجة ، وزويلة ، ومسوفة ، ولمتونة ، وصنهاجة اللثام، فتعاونت هذه القبائل على بناء مدينة سجلماسة ، وبعد أن تم بناء المدينة توافدت العديد من القبائل البربرية التي تقيم في وادي ملوية ونواحي تازا وتسول والمغرب الأقصى [٢] .

ثانياً : السودان .

يأتي عنصر السودان في المرتبة الثانية بعد البربر ، وهم الذين ساهموا مع البربر في بناء المدينة ، وساهموا أيضاً في نشر الدين الإسلامي بين شعب السودان وما جاورها، ولجوء بني مدرار لهذا العنصر دليل على قوته وكثرته .

وأدى انتشار مذهب الخوارج إلى ظهور عنصري الأفارقة والسودان بعد أن كانا

---

(١) مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٨٦ .

(٢) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٨٨ .انظرالملحق شكل(٤) .

على هامش الحياة السياسية من قبل ، فاعتنق الأفارقة المذهب الصفري ، وهو ما أدى إلى تعيين زعيمين منهم ، الأول هو عبد الأعلى بن جريج الذي حكم طنجة بأمر من ميسرة المضغري ، ومن ثم ولي أبو القاسم سمكو عيسى بن يزيد الأسود رئاسة بني مدرار ، وذلك عندما تأكد من تغلغلهم في المذهب الصفري(١).

فرغم المكانة الكبيرة التي وصل إليها هذا العنصر في دولة سجلماسة ، إلا أن المصادر لم تتحدث عنه إلا بقدر بسيط ، لذلك وجد البحث ندرة من المعلومات في هذا الجانب ، هذا إلى أن المصادر التي تحدثت عن بلاد السودان لم تتطرق للحديث عن العلاقات التي كانت بين سجلماسة وبلاد السودان بشكل واسع إلا في الجانب التجاري ، فمن المؤكد أن العلاقة بين البلدين كانت قوية ، هذا إلا أننا لا نستبعد وجود علاقات مصاهرة بينهم ، وانصهارهم في بوتقة واحدة ، بحيث أصبحت العادات والتقاليد واحدة بين البلدين . لأن أتباع الخوارج الصُّفرية ، أظهروا لهذا العنصر أن مبدأهم يقوم على العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، فمن المؤكد أيضاً أن يعملوا على تدعيم هذا الأمر بإسلوب تعاملهم مع عنصر السودان ، لذلك أولوا زعامتهم إلى أحد أفراد هذا العنصر وهو عيسى بن يزيد الأسود .

ثالثاً : اليهود .

ظهر هذا العنصر في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي ، منذ القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً (٢) ، ولم يتمكن المؤرخون من تحديد الأصول التي يعود إليها هذا العنصر ، فالبعض يذكر أنه يرجع إلى أصل أوروبي شرقي ، وقيل أصل خزري(٣).

ولقد تمكن هذا العنصر من أن يبلغ مكانة رفيعة في الدولة رغم قلة عدده، حيث قام اليهود بالسيطرة على اقتصاد دولة سجلماسة ، ربما كان سبب ذلك القروض التي كانوا يقدمونها لحكام الدولة ، والتي كانت تسير وفق النظام الربوي ، هذا إلى أنهم تمكنوا من

---

(١) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٨٧ -٢٨٨ .

(٢) رضوان : المغرب ، ص ٨٥ .

(٣) أحمد ، على : اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، السنة ١٧ ، العدد ٥٧ – ٥٨ أيلول – كانون أول ، ١٩٩٦ ، ص ١٦٣ .

نشر اليهودية التي اعتنقتها قبيلة جراوة [١] . وبذلك تمكن اليهود من الانتشار في عدد كبير من أقطار المغرب ، من بدايتة حتى نهايته ، لذلك وجد عدد منهم في دولة سجلماسة ، حيث لعب هذا العنصر دوراً كبيراً في مجريات الأمور في الدولة ، فقد زاول اليهود عدد من المهن في الدولة ، مثل مهنة البناء، والتجارة ، هذا إلى أنهم تدخلوا في أمور الدولة ،والمؤكد أنهم سيطروا على اقتصاد الدولة ، وربما أيضا سعوا لقرض الحكام مبالغ من الأموال ، ما عدا اليسع بن أبي القاسم الذي كان ينفق من ماله [٢] ، أي من الأموال التي كان يأخذها من مدينة درعة بعد سيطرته عليها، فبذلك كسر شوكة اليهود، ولا نستبعد أن يكون هو الذي قصر عمل اليهود في البناء ،عندما تنبأ عن سوء نواياهم.

ولكنّ نفوذهم عاد من جديد على عهد مدرار بن اليسع بسبب الفتن التي قامت بالدولة ، فمن المحتمل أن يكون لهم دور في الصراع الذي حدث بين ابني مدرار بن اليسع ، بل ربما كانوا الأداة المحركة لها ، وقد استفحل أمرهم حتى أنهم سيطروا على التجارة ، إلى أن جاء عبيد الله المهدي إلى مدينة سجلماسة ، فعلموا بالمكانة التي بلغها عبيد الله عند اليسع بن مدرار ، فقام أحدهم بالوشاية على عبيد الله المهدي لدى اليسع بن مدرار ، أو أن اليهود تنبأوا بالمكانة التي سوف يصل إليها عبيد الله المهدى ، ربما حدث بين المهدي واليهود موقف سيىء ، فقد عرف اليهود بتعاملاتهم الربوية والغش والخداع والسرقة في البيع ، فهددهم المهدي بالعقاب الشديد بعد تمكنه من السيطرة على الدولة ، فخافوا على مركزهم التجاري في الدولة خاصة تجارة الذهب التي أصبح لها دور فعال في القرن الثالث الهجري [٣] .

فربما علموا بوصول خطاب الخليفة العباسي الذي يأمر فيه اليسع بن مدرار بالقبض على عبيد الله المهدي ، في حين كان الأخير متخفياً في زي تاجر لا يعلم أحد

---

(١) رضوان :المغرب ، ص ٨٥ .

(٢) على : اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، ص ١٦٦ .

(٣) الحميري : ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .

مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

الجنحاني : بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٥٨ – ١٦٠ .

عنه شيئاً وليس لليسع بن مدرار أن يعلم بأمر المهدي مالم يبح له أحد بحقيقته ؟ ، فالدولة مليئة بالتجار القادمين من مدن مختلفة .

لذلك عمد عبيد الله بعد أن تمكن عبد الله الداعي الشيعي من إخراجه من سجنه إلى تعذيب اليهود ، حيث حرق الأغنياء منهم ، وأخذ أموالهم وأذاقهم ألواناً شتى من العذاب ، وأمر بطردهم من البلاد ، وعلى من أراد البقاء في المدينة أن يعمل في مهنة البناء و مهنة الكنافين[1] ، لذلك أعتبر كل من دخل في مهنة الكنافين من الناس مجرماً ، لأنه اجترم مهنة موقوفة على اليهود [2].

أما السبب في قصر مهنة البناء عليهم لخوف السلطة منهم على المسلمين ، فلربما تجرأ أحد اليهود على مسلم فيهلكه ، فهذا دليل على قوة اليهود الجسمية ، وأنهم يتصفون بالغدر والخيانة أيضاً ، فهم كفره لا يؤدون الفرائض الدينية ، لذلك لازموا مهنة البناء دون تردد ، وبعد زوال الدولة الفاطمية عاد اليهود للسيطرة على الدولة .

وهم الأن قد خالطوا المسلمين وداخلوهم ، وهو العز الذي يرتقبونه منذ زمن بعيد، إلا أن رب العزة والجلالة توعدهم بالعذاب والذلة بعد العز [3] .

رابعاً : النصارى .

ذكرنا مسبقاً [4] المكانه الكبيرة التي كانت لهذا العنصر في بلاد المغرب ، إلا أنه لم يكن له أي ذكر في دولة سجلماسة ، سوى تعاملاتهم التجارية معها فقط [4] .

---

(١) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) الكنافين : كنفه أي أحاطه وصانه . وتكنفوه واكتنفوه وكنفوه تكنفاً أي أحاطوا به . والكِنفُ : وعاء به أداة الراعي. الرازي : مختار الصحاح ، ص ٥١٠ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر : ص ٣٢ .

(٥) فال الجنحاني : ((إن المحنة التي مر بها يهود سجلماسة بعد استيلاء الفاطميين عليها لم تدم طويلاً حسب نص صاحب الاستبصار ، وقد عادوا إلى دورهم البارز في الحياة الاقتصادية ، وقد استمر هذا الدور ، ويبدو أن الزلة الدانية التي انتظرها الجغرافي المراكشي لم تحدث ، لأننا نجد المال بسجلماسة أيام الخليفة الموحدي هو ابن شلوخة اليهودي، كما أن صمويل الفارسي حبر مراكش الذي اعتنق المسيحية أيام المرابطين ، ويسمى semmel marochitanus قد شغل منصباً ذا شأن في بيعة سجلماسة .

أما أهل الذمة من النصارى في سجلماسة فلم تنقل لنا المصادر عنهم شيئاً ، ولا سيما أيام الدولة المدرارية . =

خامساً : عناصر أخرى من المشرق والمغرب .

منذ أن تم بناء مدينة سجلماسة والمركز التجاري الذي وصلت إليه هذه المدينة ، جعل أعداداً غفيرة تقطن هذه المدينة ، منهم أهل العراق والبصرة والكوفة وبغداد .

فكانت قوافلهم تجوب بالمغرب إلى سجلماسة هم وأولادهم ، ولهم تجارة رائجة في البلاد ، فقوافلهم تتنقل من مكان إلى آخر سعياً وراء الكسب والأرباح الكبيرة ، وهي تفوق بذلك معظم تجار المشرف ثراءً وتجارة وسعة الحال (١) .

وإن الصك الذي سبق وأن تحدثنا (٢) عنه فهو يوضح بذلك المكانة الكبيرة التي بلغتها تجارة سجلماسة ، مما جعل التجار الوافدين إليها يقيمون بها فترات طويلة ، بسبب ما كانوا يجنونه من المال والثراء ، على عكس أي دولة إسلامية أخرى .

هذا إلى أن ازدهار البلاد أدى إلى نزوح العديد من العناصر الأندلسية التي هجرت بلادها واستقرت بسجلماسة (٣) .

وقد أدى نزوح هذه الفئات إلى سجلماسة في ظهور تغيرات كثيرة أثرت في عادات وتقاليد أهل البلاد ، فتركوا العادات القبلية المتشدد وحياة البداوة واتجهوا إلى الحضارة والتقدم مما أدى إلى ازدياد العمران وازدهار البلاد ، وهو الأمر الذي حدث من جراء نزوح عناصر من المشرق إليها ، مما أدى إلى نقل العديد من طباع أهل المشرق من حياة الترف والرفاهية .

= والإشارة الوحيدة عن وجودهم بالمدينة ما ذكرناه من الفئة التي أثارها أنصار الخليفة الموحدي السعيد سنة ٦٤٢هـ بين النصارى والمسلمين قرب باب القصبة ليتمكنوا من الدخول إليها ، والقضاء على ابن زكريا الهزرجي الثائر على السلطة الموحدية)) .

الجنحاني : بحوث ، ص ١٦٠ .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٥ . متز ، آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده . أعد فهارسه : رفعت البدراوي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ، المجلد ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٢) انظر : ص ١١٠ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٨٨ . محمد : دراسات ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ – ١٣٤ .

أصحاب فكروعلم ومروءة وستر ورجاحة عقل يفوقون جميع أهل المغرب في هذه الصفات [١] ، فقد بلغت سجلماسة أوج تقدمها في عهد بني مدرار، على عكس القبائل الرحل في الصحاري وبراري سجلماسة ولمطة وتادمكة وأودغست وفزان ، حيث كان منهم قبائل متأخرة يعيشون حياة البداوة لا يعرفون الطعام من حنطة أوشعير أو أي نوع من الحبوب ، بل كان قوام حياتهم اللبن واللحم ، حيث يظهر عليهم البؤس والشقاء [٢] .

أما عن الدول المجاورة لها في بلاد المغرب ، فقد أقامت جماعات من الدولة الرستمية ، إلا أن علاقتها بالدولة الأم لم تنقطع ، وهذا دليل على المكانة الكبيرة التي كانت لهذه الجماعات في دولة سجلماسة ، وقيل أن بالدولة الرستمية كان يقيم جماعة من رعايا الدولة المدرارية [٣] .

كما كان يقيم عدد من رعايا الدولة المدرارية بدولة الأدارسة ، فلا نستبعد أيضاً وجود عدد من رعايا دولة الأدارسة بمدينة سجلماسة إلا أنه لم يكن لهم أي دور في الأحداث والصراعات التي كانت بين الدولتين ، لذلك لم يكن لهم أي ذكر [٤] .

هذا إلى أنه من المحتمل وفود العديد من التجار من مختلف المناطق الذين طاب لهم البقاء في هذه الدولة ، إذ لم تتوسع المصادر في ذكر هذه العناصر .

سادساً : الرقيق :

كما كان يقيم بها العديد من الرقيق الذين كانوا البضاعة الأساسية في الدولة ، حيث يتم جلبهم من بلاد السودان ، وهؤلاء خلاف عنصر السودان الذين تحدثنا عنهم في السابق، حيث جلبوا من أجل العمل من بلاد أودغست ، وغانة ، فذكر منهم الجواري اللاتي اشتهرن بمهارة الطبخ [٥].

---

(١) البكري : المغرب ، ص ١٤٨ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ . محمد : دراسات ، ص ١٣٣ .

(٢) محمد : دراسات ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٢٥ . عبد الرزاق : الخوارج ، ص ١٤٠ .

(٤) مؤنس : تاريخ المغرب ، المجلد ١ ، ص ٣٤١ .

(٥) عبد الرزاق : الخوارج ، ص ٢٨٦ .

وبعد طول العهد وسير البلاد إلى الاضمحلال من كثرة الفتن وغـارات القبائل الرحل على البلاد ، ناهيك عن ما قام به عبيد الله المهدى الفاطمي وأتباعه في البلاد ، كل ذلك أثر على الناحية الاقتصادية التي يقوم عليها الوضع الاجتماعي في الدولـة ، فمن المؤكد أن يؤدي هذا الأمر إلى هجرة العديد من الفئات المقيمة في البلاد، وقلة عدد التجار أو انعدامهم في هذه الفترة (١) .

العادات والتقاليد :

يختلف كل قطر أو إقليم إسلامي عن غيره من حيث العـادات والتقـاليد ، فـإقليم المغرب يختلف عن إقليم المشرق أو أي إقليم آخر ، هذا بشكل عام ، أما الشكل الخـاص فنجد في المغرب نفسه اختلاف في عادات وتقاليد كل قطر ، فقد انفرد المغرب الأقصـى من حيث العادات والتقاليد عن المغربين الأدنى والأوسط ، ولكن هذا القول لا ينفي وجود اشتراك بين الجميع في بعض العادات والتقاليد .

ذكر مصدرعن شعب إقليم المغرب الأقصى أنه شعب محب لسفك الدماء ، يكثر به الحسد والحقد والغل . . . إلخ ، فيعتبر قتل الإنسان عندهم مثل ذبح العصفور، حيث قال: ((وكم قَتِيل قُتِل عندهم على كلمة وهم بالقتل يفتخرون)) ، هذا إلى أنهم عرفـوا بكـثرة التنافس فيما بينهم ، والتهور والمفاتنة ، وأيضاً البخل دون الأغنياء منـهم الذيـن كـانوا يوصفون بالسماحة والمفاخرة (٢) .

ولكن من المؤكد أن هذه الأمور قد خفت حدتها منذ أن ظهر الخوارج فـي بـلاد المغرب ، وهذا ما سنلمحه من العادات والتقاليد الحسنة التي انتشرت في شعب سجلماسـة خاصة ، وفي من جاورها من الأعراب بصفة عامة .

فقد تحدثت المصادر عن شعب سجلماسة أيضاً أنهم قوم شجاعة ، وهمـم عاليـة وأخلاق رفيعة ، يخالفون أهل المغرب في معاملاتهم وعاداتهم ، ومسارعة فـي أعمـال الخير وتجنب الشر (٣) .

---

(١) الجنحاني : بحوث ، ص ١٥٨ .

(٢)القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٧٨ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦ .

ومن ضمن العادات التي اعتادها أهل سجلماسة هو وضع اللثام على وجوههم ، حتي أن من يزول عن وجهه لم يكد ليعلم به أحد ، ربما كانت هذه عادة أو تقليد يسير عليه معظم سكان إقليم المغرب الأقصى ، لذلك نجد أن بعض القبائل ميزت بذلك مثل : قبائل صنهاجة اللثام أو قبائل الملثمين (١) .

ومن عاداتهم أيضاً أنهم يسمنون الكلاب والذئاب والجرذون ويأكلونها ، فلا يوجد بسجلماسة كلاب ولا ذئاب ، وهي عادة يقوم بها أهل الجريد : من قفصة وقسطيلية وغيرها (٢) .

أما ما يدعو للدهشة أن أهل هذه البلاد يعانون من أمراض العين والحمى ، إلا أنه لا يوجد بها مجذوم ، حتى وإن دخلها مجذوم برئ من مرضه (٣) .

أما عن المرأه السجلماسية فلم تفردها المصادر بالذكر إلا ما ندر ، وقد توصل البحث إلى بعض المعلومات البسيطة عنها والمستنبطة من العادات التي تقوم بها نساء المغرب ، فالمرأة في جميع مدن المغرب ترتدي البرقع، ولباسها ساتر إلى أخمص القدمين ، وبعضهن ترتدين على الرأس برنس ، وعادة ما يحمل بعض النساء أطفالهن وراء ظهورهن ، فلا نستبعد أن تكون المرأة في سجلماسة تتبع هذه العادة أو هذا التقليد(٤).

---

(١) لمزيد من المعلومات عن قبائل الملثمين انظر :

(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ . البكرى : المغرب ، ص ١٤٨ . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٣)البكري : المغرب ، ص ١٤٨ . القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٥ ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(٤) نجيب : الموسوعة العامة ، جـ ٢ ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

الخاتمة

من خلال العرض السابق يمكن أن نصل إلى النتائج التالية :

١. منذ وفاة مؤسس الدولة الإسلامية النبي محمدﷺ وهي تشهد ظهور حركات وثـورات عظمى هدفها هدم كيان الدين الإسلامي ، وهو الأمر الذي استمر طوال عـهد العصـور الوسطى الإسلامية ، فقد أوشكت هذه الفتن في القضاء على الخلافة الإسلامية ، لـولا أن الله سبحانه جعل لهذا الدين العزة والمنعة﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَاللهِ بِأفْواهِهِم واللهُ مُتِمُّ نورهِ ولَوْ كَرِهَ الكَافِرون﴾ ، فرغم كل المحاولات البناءة التي قـامت للقضـاء علـى الديـن الإسلامي إلا أنها تكللت بالفشل ، وهو الأمر الذي ظهر في دول المغـرب ذات العقـائد المذهبية المخالفة للإسلام والتي منها الدولة المدرارية الصّفرية ، حيث قام آخر حكام هذه الدولة وهو الشاكر لله بنبذ مذهب أبائه الخوارج الصّفرية واعتناق المذهب المالكي السـني ، وهو أكبر دليل على عظمة الدين الإسلامي وسلامة شريعته .

٢. إن ضعف سياسة أي دولة من الدول تجعل أرضها خصبة لنشوء الفتن والصراعـات الداخلية والخارجية ، مما يعجل من سقوط الدولة وهي في أوج مجدها أمراً محتوماً، وهذا ما وجدناه من خلال البحث فلو كانت سياسة جميع ولاة المغرب حسنة لما وجد الاعـداء الثغرة التي تمكنوا عن طريقها من تدمير سلطة الخلافة ، ولما تمكنت الدول المستقلة مـن التوطد والتوسع على أملاك الخلافة الإسلامية ، هو دليل أيضاً على عدم تثبت الإسـلام وشرائعه في نفوسهم ، فلو كانوا مدركين لذلك لما استجابوا للأعداء الذين تمكنـوا مـن تمزيق كيان بلاد المغرب بعد أن كان إقليماً أو دولة واحدة ، تشـملهم عـادات وتقـاليد وأعراف واحدة .

٣. رغم مركز الصدارة الذي حوته الدولة المدرارية عن جميع مدن المغرب الإسـلامي، إلا أننا نجد أن المصادر والكتب تفتقر كثيراً في رواياتها ومعلوماتها عن هذه الدولة .

فمن الغرابة بمكان أن نجد دولة حضارية لها المكانة التي كانت لدولة بني مـدرار لم تحظ بكتابات المؤرخين من ذلك العصر حتى هذا العصر الذي نحن بصـدده ، وهـو الأمر الذي عجز البحث عن إجاد تفسير له ، حتى وإن وضعت بعض الاحتمالات ، رغم

رغم أنها دولة ثقافية يقصدها الكتاب والمؤرخون ، حتى من كتب عن الدولة الرستمية لم يعمل على تأليف كتاب يتحدث عن علاقتها بدولة بني مدرار باشتثناء الاشارة إلى وصف العلاقة بأنها علاقة حسنة خاصةً الزواج السياسي الذي قارب بين الدولتين ، ولكنه لم يتحدث عن كيفية هذه العلاقه خاصةً الجانب الفكري والثقافي.

٤. قيام دولة قوية كدولة بني مدرار الصفرية في بلاد المغرب دليل على قوة سياسة قادتها ، والشعب الذي يناصرها ، والموقع الجغرافي الذي ساعد على ظهورها ، فقد تجمعت هذه الأمور لتعطي لهذه الدولة طابعاً مميزاً عن غيرها من الدول المجاوره لها، فلم تتمكن أي دولة من دول المغرب من القضاء عليها إلا عن طريق الحيلة والغدر، من قبيلة كتامة وعبيد الله الفاطمي الشيعي ، وحتى بعد أن سيطر الفاطميون عليها لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم النهائية عليها ، بسبب قوة أصحاب هذه الدولة وشعبها ، فجعل الحكم بيد حكام بني مدرار مع التبعية الاسمية للدولة الفاطمية .

٥. أدى ضعف الخلافة العباسية إلى عدم قدرتها في القضاء على هذه الدولة ، بل اتخذت معها سياسة اللين ، بل كان يتم بينهم تبادل تجاري ، حيث تمكنت الدولة المدرارية من أن تحوز على مركز تجاري قوي وفعال ، فكانت بوابة لتجارة السودان وما جاورها من المدن التي كانت تملك معدن الذهب الذي كان مطلوباً لدى جميع الدول ، سواء الشرقية الإسلامية أو الغربية الأوروبية ، وقد استمر هذا المركز حتى بعد سقوط دولة بني مدرار ، حيث ابقت الدولة الفاطمية عليه .

٦. إن علاقة دولة بني مدرار مع غيرها من المدن غربية كانت أم شرقية علاقة تبادل مصالح فلم يكن للمذهب الديني أثر بجوار المصالح المتبادلة بينهم ، حتى أن دولة الأغالبة التي قامت للقضاء على الدول المستقلة لم تصطدم مع دولة بني مدرار في أي صراع أو خلاف ، بل إن بعض المؤرخين ذكروا بأن الدولة المدرارية تابعة اسمياً لدولة بني الأغلب .

٧. لم يكن لدولة بني مدرار بحار أو محيطات تساعدها على القيام بتجارة بحرية خارجية، ولكنها تغلبت على هذا الأمر ، بإقامة علاقات حسنة مع المدن البحرية المجاورة لها وعن طريقها تتم المبادلات التجارية مع المدن الأوروبية عبر طرق

المتوسط والمحيط الأطلسي .

٨. اقتبست الدولة المدرارية من المدن المجاورة لها وخاصةً الأندلس الطابع المعماري الأندلسي الزخرفي ، إلا أننا لم نعثرعلى أي معلم حضاري يشير إلى هذا الأمر ، أو ينسب إلى دولة سجلماسة ، وحتى من كتبوا عن تاريخها لم يحتفظوا بأي معلم سوى رسم للعملة السجلماسية .

٩. بالرغم من أن دولة سجلماسة دولة خارجية صفرية إلا أن هذا الأمر لم يمنع من نزوح أعداد غفيرة وعناصر بشرية مختلفة في أرض سجلماسة ، خاصةً من سكان أهل المشرق .

١٠. ساهمت العناصر المختلفة القاطنة في مدينة سجلماسة من إدخال تغيرات كبيرة من حيث العادات والتقاليد والطباع ، فقد عرف البربر بصلابة الطبع ، ولكن كل هذا تلاش شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحت دولة مرنة يقصدها الكثير من التجار .

١١. بالرغم من الصعوبات التي واجهت دولة سجلماسة إلا أنها صمدت ما يقرب من قرنين من الزمان في يد حكام بني مدرار .

١٢. ندرة ذكرالشخصيات السجلماسية التي حملت على عاتقها العلم والتراث والثقافة ، فمعظم الكتب التي تحدثت عنهم فقدت ولم يبق منها إلا القليل ، والتي مكنت البحث من العثور على بعض الشخصيات ، ولكن لم يجد لبعضها ترجمة واضحة .

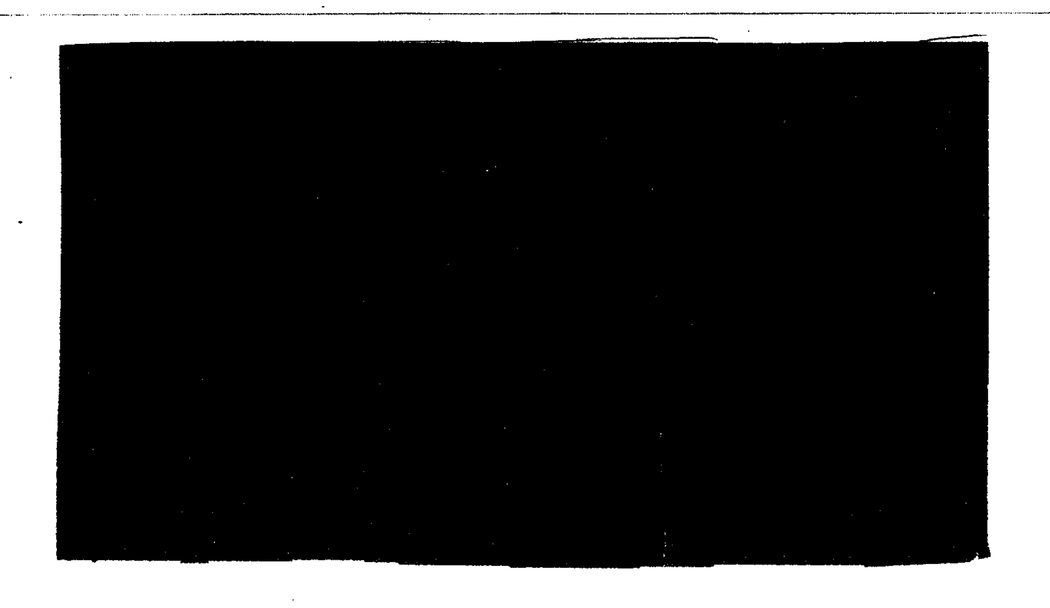
١٣. لم يكن تولي مناصب الحكم خاص بالرجال فقط ، بل شاركت المرأة فيه ، فنجد أن جدة أحد الحكام تولت الوصاية على حفيدها لصغر سنه ، وتمكنت من إدارة الدولة رغم الخطر الذي يخيم على دولة سجلماسة في تلك الأثناء وهو الخطر الشيعي وهذا دليل على الواقع الحقيقي الذي قامت على أساسه هذه الدولة وهو العمل على تحقيق أغراض شخصية حاقدة على الإسلام والمسلمين .

١٤. اعتبر اليسع بن القاسم المؤسس الحقيقي لدولة سجلماسة ، فقد أصبحت دولة سجلماسة في عهده دولة مستقلة ذات كيان وطابع حضاري فريد ، كما عمل على توسيع رقعة بلاده ، ولكنه توفي فلو قدر له البقاء لأصبح لدولة سجلماسة شأن كبير .

١٥. وجد البحث عدة خلافات وتناقضات في آراء المؤرخين من حيث صحة وجود هذه المدينة من عدم وجودها ، وقد ورد الخلاف من حيث التسمية والموقع ، فمنهم من يقول بأنها غانة ، ومنهم من يقول بأنها زيز ، هذا غير الخلاف من حيث ظهورها قبل الفتح العربي للمغرب أم بعده .

رغم جميع ما توصل إليه البحث من معلومات عن دولة بني مدرار ، فهي معلومات غير كافية ، فنأمل من الباحثين أن يواصلوا البحث عن معلومات أخرى جديدة ، تساعد على معرفة أو كشف مالم يتمكن البحث من التوصل إليه .

الملاحق

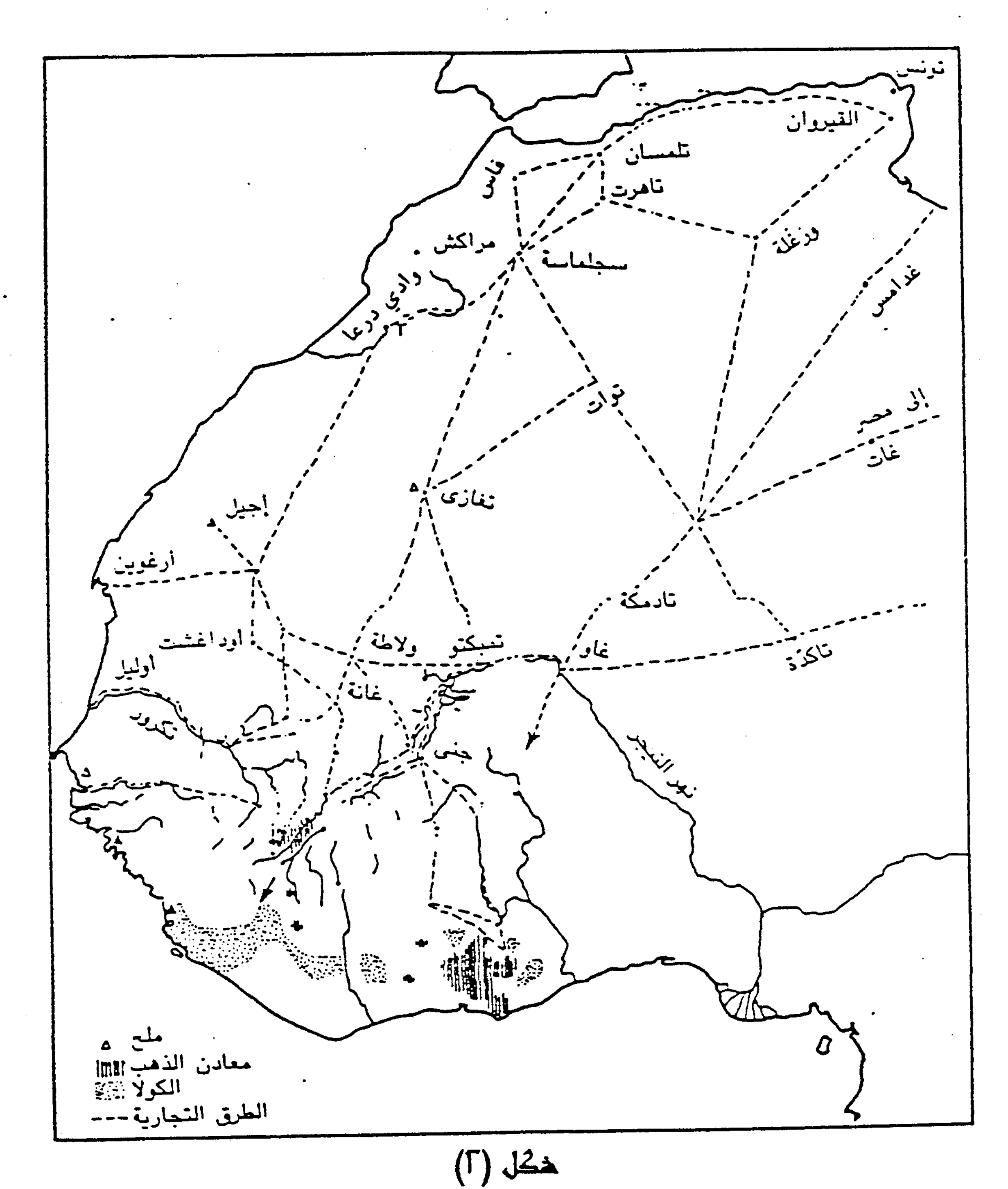


خريطة المغرب الإسلامي

شكل (أ)

خريطة بلاد المغرب

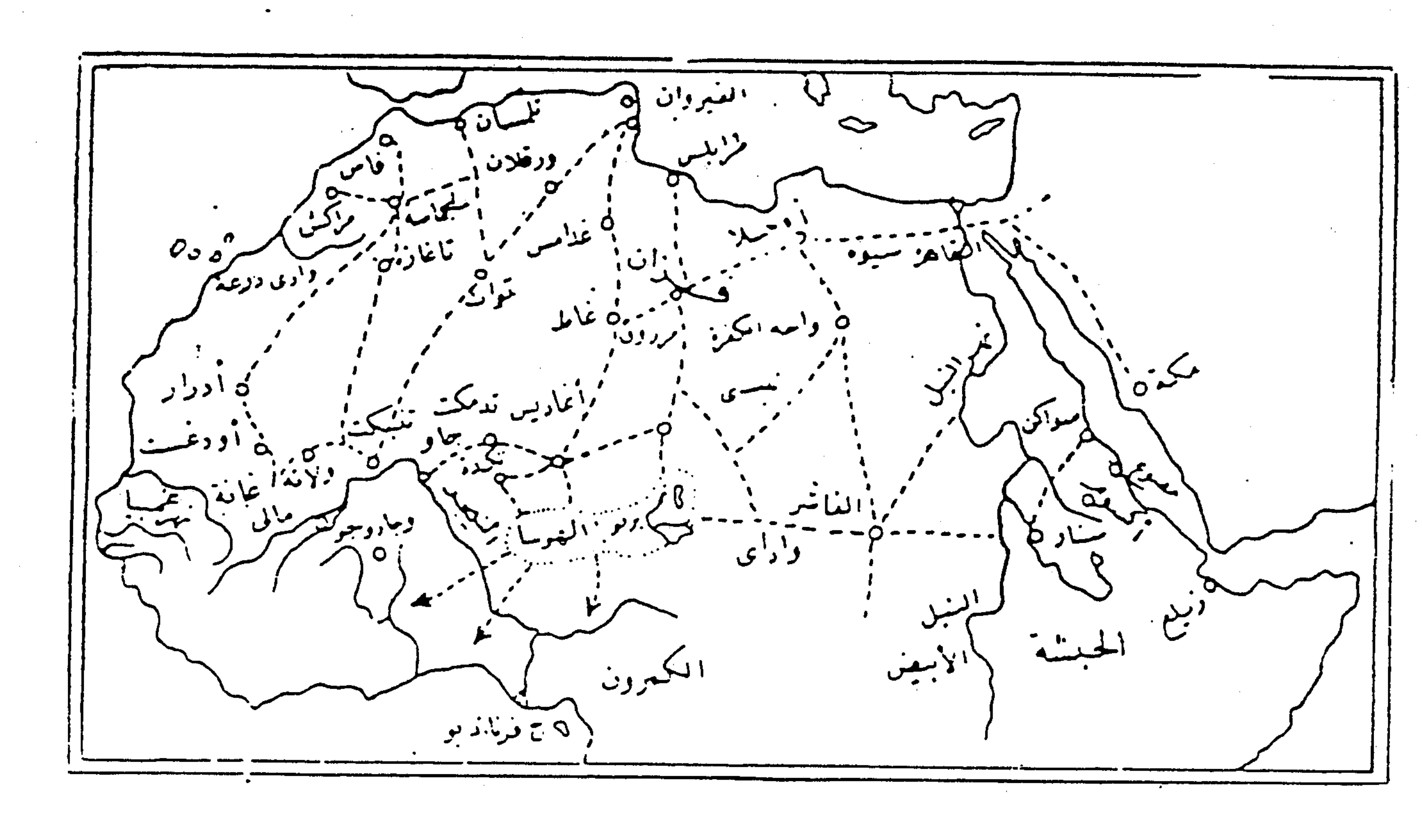
نقلا عن كتاب / كمال السيد أبو مصطفى ،جوانب من الحياة الاجتماعية .



شكل (٣)

طرق تجارة الذهب والفضة والملح

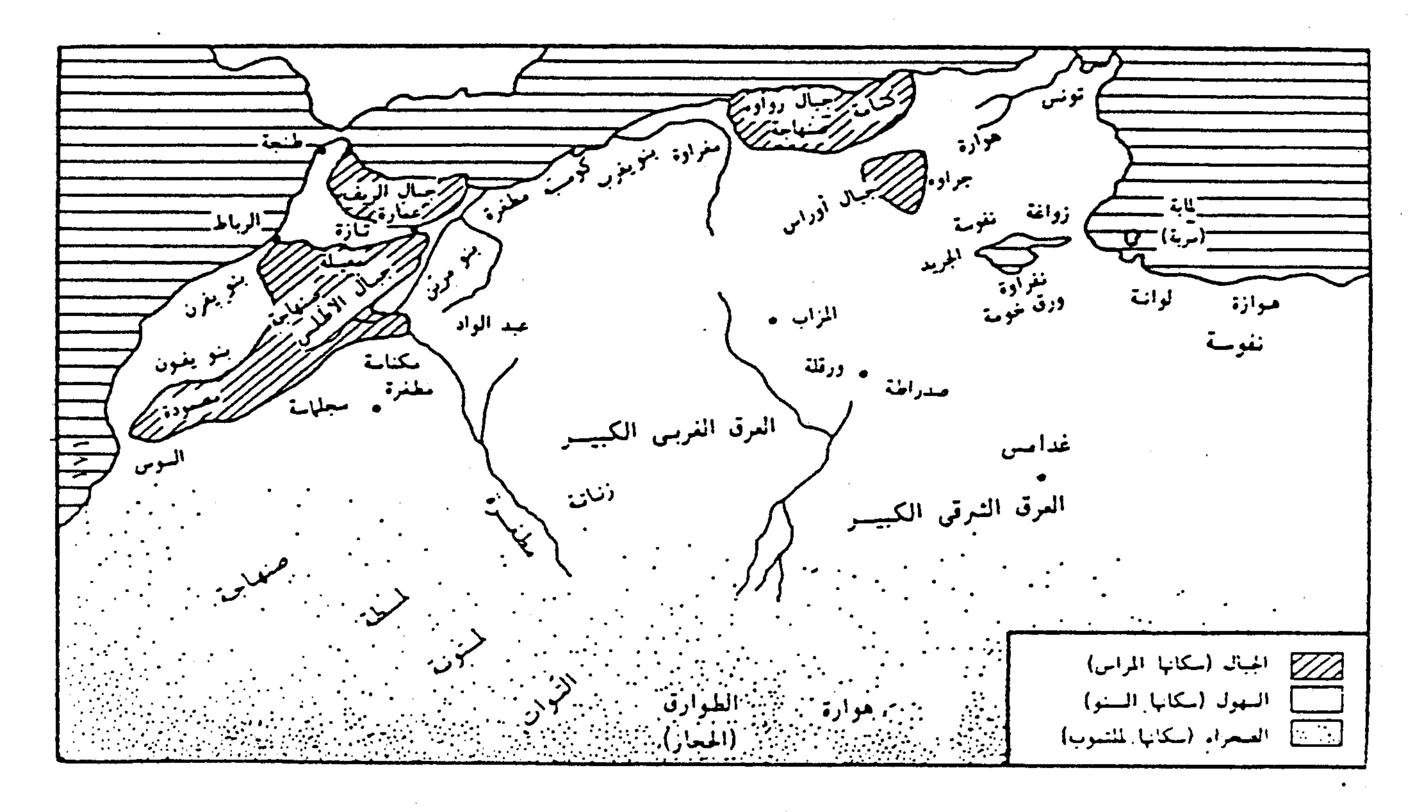
نقلاً عن كتاب / زيادة نقولا . إفريقيات .



شكل (٣)

طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان شمالى أفريقيا

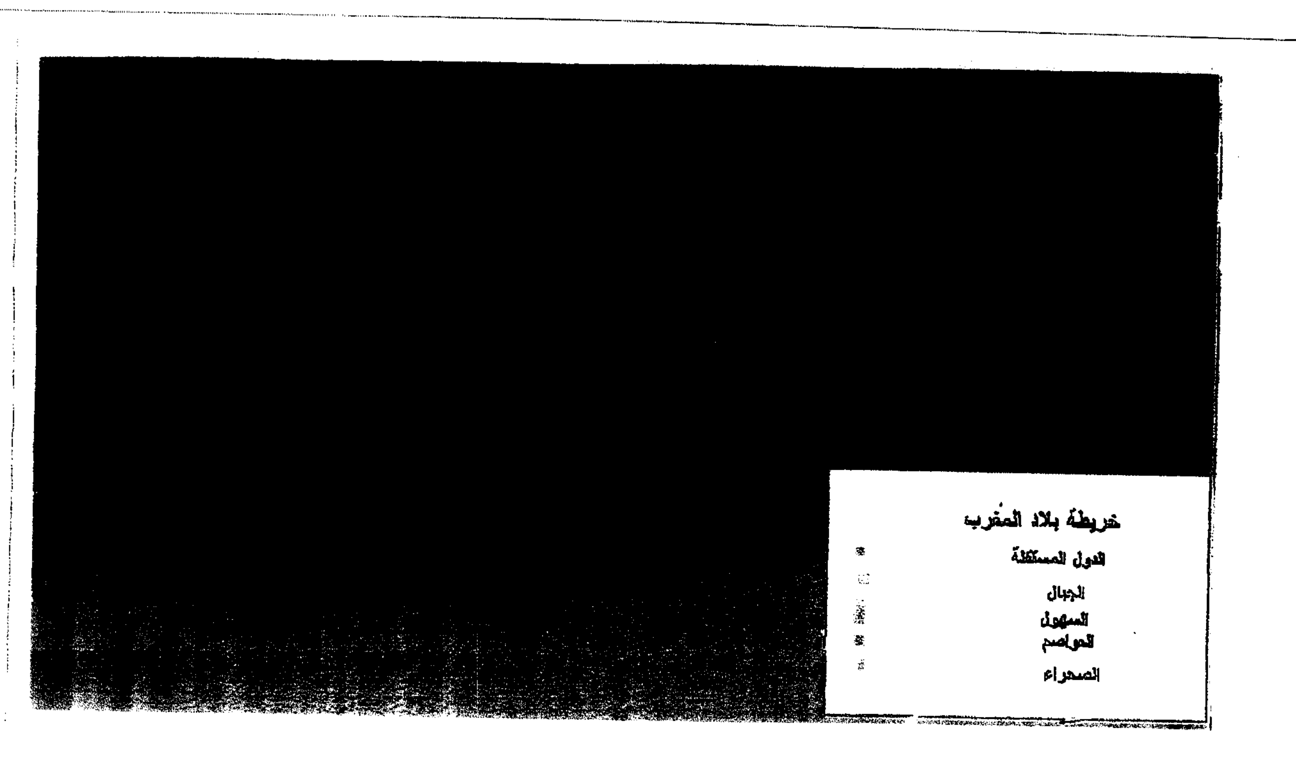
نقلاً عن / محمد عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى .



شكل (٤)

قبائل البربر في المغرب

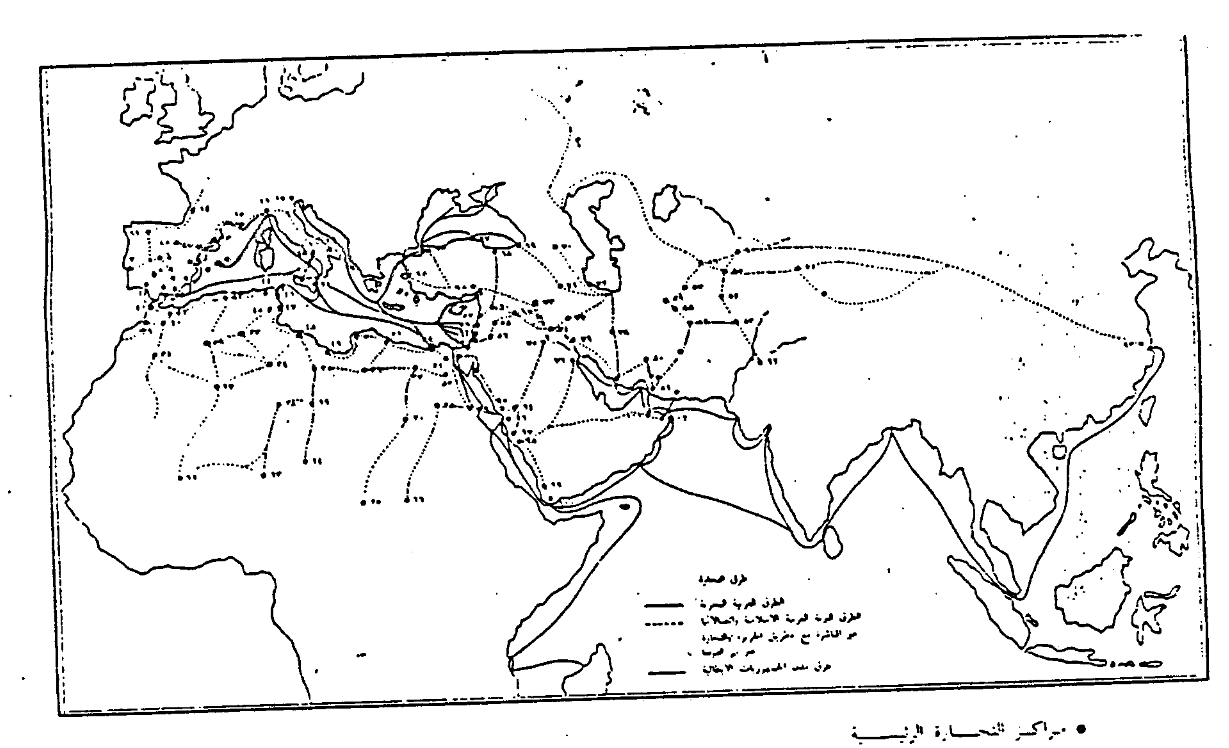
نقلا عن / عبد العليم عبد الرحمن ، الإسلام والمسلمون في إفريقية



شكل (٥)

خريطة الدول المستقلة

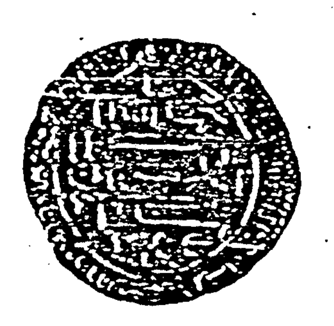
من عمل الباحثة .



شكل (٦)

مراكز التجارة الرئيسية

نقلاً عن / جون س . بادو وآخرون . عبقرية العربية ينبوع النهضة .




شكل (٧)

دينار بني مدرار ضرب بسجلماسة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة باسم الشاكر لله

نقلا عن / مجلة الأكاديمية المغربية . عبد الهادي التازي . العملة ودور السكة في المغرب

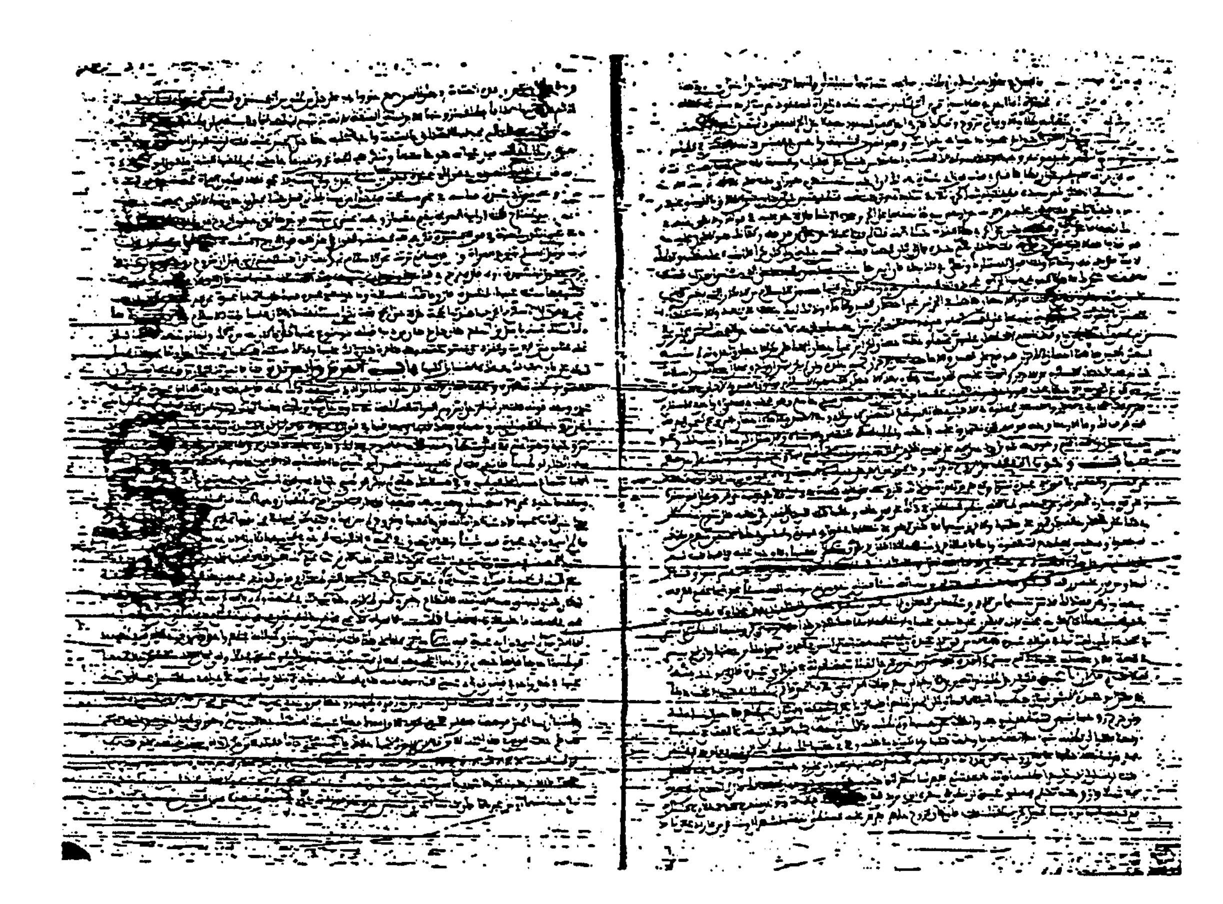




شكل (٨)

من نقود السلطان مولاي الرشيد ضرب بسجلماسة

نقلاً عن / الأكاديمية المغربية . عبد الهادي التازي . العملة ودور السكة في المغرب.



شكل (٩)

صورة لمخطوطة

نقلاً عن / مخطوطة أبو غانم الصفرى

حديث المعز لدين الله الفاطمي إلى المنتصر لله المدراري وشيوخ الصفرية بسجلماسة

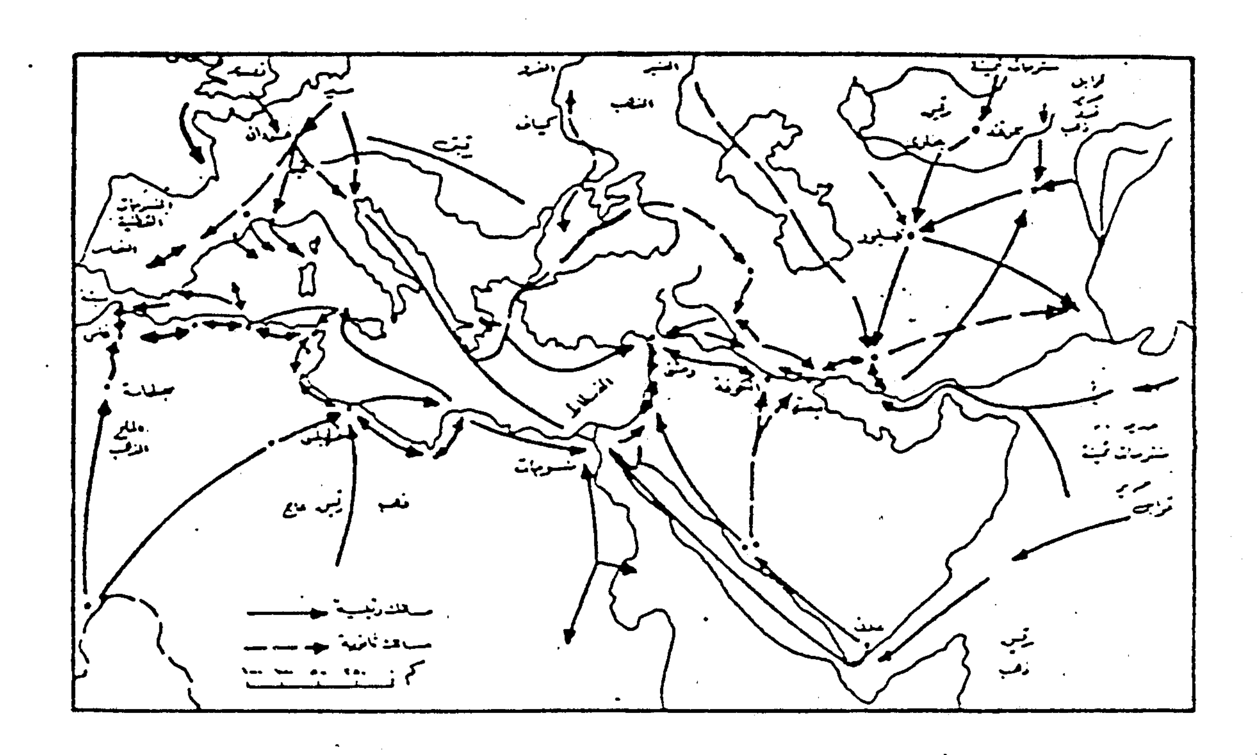
((.. يا أهل سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم في أيام المهدي بالله واقتدر عليكم مرة بعد أخرى ، فعفا عنكم ، وأحسن اليكم لحلوله فيكم ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم ، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع وحسن صنيع من غير يد كانت له عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه . فصفح واحسن ، وعفا وأجمل ، فما رعيتم ذلك حق رعايته ، ولا فهمتم بشكره .

ثم لفق فيكم ناعق من الشيطان فلبيتموه ، ودعاكم إليه داع فأجبتموه قام فيكم دعى فيما ادعاه يتوثب على ما تولاه ، قد عرفتم نسبه ودريتم سببه فتغلب على ظاهر أمركم ، وتحلى بالرياسة والتصنيع لكم ، تسمى بأمير المؤمنين وامام المسلمين لكم . على علم لا تشكون ويقين لا تمترون ان ذلك لا يجوز ولا يحل تسليمه . فسلمتموه لمثله له وأطعمتموه وتوليتموه وأبتعتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين ، وأحدثتم حدثا عظيما في الدين . وانتهى إلينا من أمركم وأمره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه ، لما افترضة الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في ارضه ، وجهاد من صدف عن دينه وعن سنة رسوله . وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم . فأنهضنا اليكم جيشا من أوليائنا وأنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم وتقدمنا إليه في الاعذار والانذار اليكم في الانابة والتوبة قبل الوقوع بكم . فلم يزل مع طى المراحل نحوكم يتابع الكتب مع رسوله كيدا في الحجة عليكم ، مرة بالوعد ومرة بالوعيد ، تارة باللين وتارة بالتشديد . يدعوكم الى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصية والضلال ، والقبض على عدو الله فيكم أن تمادى على ما هو عليه من الغى والضلال ان استطعتموه ، والبراءة منه وتركه بجانب ان لم تقدروا عليه . ووصلت كتبه اليكم، وأدى اليكم من اختار به منكم . وكل ذلك وأنتم على باطلكم مصرون ، وبالفاسق المضل لكم متمسكون . الى أن وصلت جيوشنا بقربكم ، وانتشرت عساكرنا ببلدكم، وعاين من عاينكم من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها وما أنهاه اليه ، وقد علم أنه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عسكرها . فلما نزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم عليه . نهض موليا وهاربا متسللا بين أظهركم ، وقد كنتم تقدرون على أخذه لو أردتموه ، ويمكنكم منعه من ذلك ومن حصاره في داره متى

أحببتموه لو أخذتم بحظكم في ذلك ففعلتموه . لكنكم أقمتم مصرين على طاعته وتليه الـــى ان نزع عنكم واقدرنا الله بفضله واحسانه عليه كعادته الجميلة بلا صنع ولا لغــيركم فــي ذلك ، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم ، وأنتم على ما أنتم عليه من غيكـــم وضلالكــم ومــا تستوجبون به اجتياحكم ودماركم . فسار عبدنا فيكم بما أمرناه من العفو والصفح والرحمــة وانصرف عنكم ، فأحدثتم بعده ما أحدثتم . فماذا تستحقون أن يفعل بكم ؟ فقال قائلــهم : أن يعاقب أمير المؤمنين أهل العقوبة ، وأن يعفى فهو أهل العفو والفضل والرحمة . . فدعـــا منتصر بن أحمد بن المعتز فقربه اليه وأمره بالجلوس . فقبل الارض مرارا وشكر لامــير المؤمنين . ثم عطف على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون أليم العذاب والنكال ، ولكنا للــذى جبلنا عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما أستقمتم وأصلحتم ، قد استعملنا عليكم عبدنا هذا – وأومى الى منتصر ــ فقبل وقبلوا الارض مرارا . . وأمر بصرفهم الى موضع انزلهم فيه وخلع على منتصر وفعل كذلك بجماعة من وجوههم ..)).

شكل (١٠)

نقلاً عن / إسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في المغرب



شكل (١١)

المسالك التجارية من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الميلادي

نقلاً عن / محمد محمد زغروت ، العلاقات التجارية الدولية .

ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المخطوطات :

الأندلسي ، أحمد بن عبد الله محمد بن جزى :

١. مختصر البيان في نسب آل عدنان ، مخطوطة بجامعة أم القرى ، مكة .

طاهر ، عبد الهادي محمد :

٢. الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر ، مخطوطة بجامعة أم القرى ، مكة.

عبد الوهاب ، أفلح :

٣. مدونة أبو غانم ، مخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية ، رقم الفن ٢١٥٨٢ ب .

ثالثاً : المصادر:

ابن الأبار ، أبي عبد الله محمد (ت ٥٩٥ – ٦٥٨ / ١١٩٩ – ١٢٦٠م) :

١. الحلة السيراء ، حققه وعلق حواشيه : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٣ .

ابن الأثير ، محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :

٢. الكامل في التاريخ ، عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، جـ ٦ – ٨.

الأزدي ، أبي الحسن جمال الدين :

٣. أخبار الدول المنقطعة – تاريخ الدولة العباسية ، تحقيق ودراسة : محمد بن مسفر بن حسين الزهراني ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، بدون تاريخ طبع .

الأصفهاني ، العماد :

٤. جريدة القصر وخريدة العصر (قسم شعراء المغرب) ، تحقيق : محمد المرزوقي – محمد العروسي المطوي – الجيلاني بن الحاج يحي ، الدار التونسية ، ١٩٧٣ ، جـ ١ .

الأندلسي ، محمد محمد (ت ١١٤٩هـ / ١٧٢٦م) :

٥. الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيله ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، جـ ١– ٣ .

الأنصاري ، شمس الدين أبي عبد الله محمد الصوفي الدمشقي شيخ الربوة :

٦. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بدون تاريخ طبع .

الباروني ، سليمان باشا :

٧. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، تحقيق : محمد على الصليبي، سلطنة عمان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، جـ ١ .

البستاني ، بطرس :

٨. محيط المحيط ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ١٩٧٧ .

ابن بشكوال ، أبي القاسم خلف (ت ٥٧٨هـ) :

٩. كتاب الصلة ، عنى بنشره وصححه وراجع أصله : السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، جـ ١ .

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) :

١٠. تحفة النظار في غرائب الأمصار ، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع .

البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن :

١١. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : على محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

البغدادي ، عبد القاهر(ت ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م) :

١٢. الفرق بين الفرق ، حقق أصله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ طبع.

أبو بكر ، أبو زكريا يحي (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) :

١٣. كتاب السير وأخبار الأئمة ، تحقيق : عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية ، تونس ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .

البكري ، أبي عبيد (ت ٤٧٨هـ / ١٠٩٤م) :

١٤. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ طبع .

البلاذري ، أبي الحسن :

١٥. فتوح البلدان ، عنى بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

التلمساني ، أحمد بن محمد المقري :

١٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر- بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

التونسي ، محمد عمر :

١٧. تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد المغرب والسودان ، حقق وكتب حواشيه : خليل محمود عساكر - مصطفى محمد مسعد ، راجعه : محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

ابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) :

١٨. مجموعة الرسائل الكبرى ، دار الفكر ، بدون تاريخ طبع ، جـ ١ .

الثعالبي ، عبد العزيز (ت ١٩٤٤) :

١٩. تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ، تحقيق : أحمد ميلاد ، محمد ادريس ، تقديم ومراجعة : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .

الجاحظ ، حسن حسني :

٢٠. التبصرة بالتجارة ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦ .

الجزري ، عز الدين ابن الأثير :

٢١. اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، جـ ٢ .

الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :

٢٢. معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، المجلد ٣ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

الحميري ، محمد عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) :

٢٣. الروض المعطار في خبر الأقطار ، حققه : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ .

الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي ابن العباد (ت ١٠٨٩) :

٢٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ طبع ، جـ ١ .

ابن حوقل ، أبي القاسم (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) :

٢٥. كتاب صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩ .

ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) :

٢٦. المسالك والممالك ، ويليه نبذه من كتاب الخوارج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، البغدادي المتوفي سنة ٣٢٠هـ ، مكتبة المثنى ببغداد .

ابن الخطيب ، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) :

٢٧. تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق وتعليق : أحمد مختار العبادي ، محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتب، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ .

٢٨. : تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق : إ . ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :

٢٩. تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، جـ٦ .

٣٠. : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ .

الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمن :

٣١. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن ناجي التنوخي ، تصحيح وتعليق : ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

ابن أبي دينار (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م) :

٣٢. المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق : محمد شمام ، المكتبة العتيقية ، تونس ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ طبع .

الرازي ، محمد بن أبي بكر:

٣٣. مختار الصحاح ، إخراج : دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٦ .

ابن الرقيق ، أبو اسحاق ابراهيم :

٣٤. قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق : عبد الله العلي الزيدان – عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ .

السبتي ، أبو الفضل عياض :

٣٥. تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تحقيق : محمد الطالبي، طبع بالمطبعة الرستمية التونسية ، ١٩٦٨

٣٦. : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ، الرباط ، جـ ٤ .

الشافعي ، محمد بن سلامة بن جعفر :

٣٧. تاريخ القضاعي – كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، دراسة وتحقيق : جميل عبد الله محمد المصري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

الشماخي ، أحمد بن سعيد :

٣٨. كتاب السير ، تحقيق : أحمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، عمان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

الصوفي ، شمس الدين أبي عبد الله :

٣٩. نخبة الدهر في عجائب البر و البحر ، بدون تاريخ طبع .

ابن الصغير :

٤٠. أخبار الأئمة الرستمية ، تحقيق وتعليق : محمد ناصر ، ابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

الطالبي ، محمد :

٤١. الدولة الأغلبية ، نقله إلى العربية : المنجي الصيادى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .

الطبري ، أبي جعفر محمد جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) :

٤٢. تاريخ الأمم والملوك ، روائع التراث العربي ، الطبعة الأولى ، بالمطبعة الحسينية المصرية ، بدون تاريخ طبع .

الطرابلسي ، نوفل :

٤٣. صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ابن الطقطقي ، فخر الدين محمد :

٤٤. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار بيروت ، ١٣٨٥ .

الظاهري ، أبي محمد على :

٤٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : محمد ابراهيم نصر – عبد الرحمن عميرة ، شركة عكاظ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، جـ ٥ .

ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) :

٤٦. فتوح مصر والمغرب ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربي بالمنيرة ، بدون تاريخ طبع .

ابن عذاري ، أبو العباس أحمد (ت ٦٩٥هـ ، وقيل أيضاً أنه كان حيا سنة ٧١٢هـ) :

٤٧. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س . كولان و إ.ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ، جـ ١ .

العسقلاني ، شهاب الدين :

٤٨. تهذيب التهذيب ، بدون تاريخ طبع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

العسكري ، أبي هلال الحسني :

٤٩. كتاب الأوائل ، حققه وعلق عليه : محمد السيد الوكيل ، مطبعة دار أملى – طنجة – المغرب الأقصى ، بدون تاريخ طبع .

الفاسي ، على ابن أبي زرع (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) :

٥٠. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة الأندلس ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢ .

أبو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣ – ٦٤٤) :

٥١. طبقات علماء إفريقية وتونس ، تقديم وتحقيق : على الشابي ، نعيم حين اليافي ، الدار التونسية ، تونس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ .

٥٢. : طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع ، جـ ٣ .

٥٣. :كتاب المحن ، برواية ابنه أبي جعفر أحمد بن محمد التميمي ، تحقيق ودراسة : عمر سليمان العقيلي ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .

أبي الفداء ، عماد الدين اسمعيل بن محمد عمر (ت ٧٣٢):

٥٤. تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه : رينود – البارون مـــاك كوكيـــن ديسلان ، طبع في مدينة باريس، بدار الطباعة السلطانية ، ١٨٦٠ .

القرطبي ، ابن حيان (ت ٤٦٩هـــ / ١٠٧٦م) :

٥٥. المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه محمود على مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٣هـــ / ١٩٧٣م .

القرماني ، أحمد بن يوسف :

٥٦. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، دراسة وتحقيق : أحمـــد حطيـــط – فهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـــ / ١٩٩٢م.

القزويني ، زكريا بن محمد (ت ١٢٨٣م) :

٥٧. أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـــ / ١٩٦٩م .

القلقشندي ، أبي العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـــ / ١٤١٨م) :

٥٨. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن الطبعـــــة الأميريـــة ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافيـــة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة ، بدون تاريخ طبـــع ، جـــ ٢ .

ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤) :

٥٩. البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بـــيروت ، الطبعـــة الثانيـــة ، ١٩٧٤ ، جـــ٩ .

الكوفي ، أبي محمد أحمد بن اعثم :

٦٠. كتاب الفتوح ، تحت مراقبة : محمد المعيد خان ، مجلس دائرة المعـــــارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـــــــ/ ١٩٦٩م ، جـــ ٢ .

اللغوى ، أبي الحسن أحمد :

٦١. معجم اللغة ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، جـ ١ .

المالكي ، أبي بكر عبد الله (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١م) :

٦٢. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، حققه : بشير البكوش ، راجعة : محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بدون تاريخ طبع ، جـ ١ .

مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري) :

٦٣. الاستبصار في عجائب الأمصار – وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ .

مجهول :

٦٤. أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : الراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتب اللبناني ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

مجهول (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) :

٦٥. تاريخ البربر المعروف البربر ، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد زينهم محمد عزب ، جهاد للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ .

مجهول :

٦٦. ثلاث نصوص عربية عن البربر في المغرب الإسلامي (كتاب مفاخر البربر) ، دراسة وتحقيق : محمد يعلي ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي ، مدريد ، ١٩٩٦ .

مجهول :

٦٧. ديوان شعراء الخوارج ، جمع وتحقيق : إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

المحامي ، محمد فريد بك :

٦٨. تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ .

مخلص ، عدي يوسف :

٦٩. المقدسي البشاوري حياته منهجه – دراسة كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من الناحية التاريخية ، ساعدت وزارة التربية على نشره ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

المسعودي ، أبي الحسن على بن الحسين بن علي :

٧٠. كتاب التنبيه والأشراف ، مكتبة خياط ، بيروت – لبنان ، ١٩٦٥ .

٧١. :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، بدون تاريخ طبع جـ ٣.

المقريزي ، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) :

٧٢. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة ، الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، الكتاب الثاني عشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، جـ ١ .

الناصري ، أبو العباس أحمد (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) :

٧٣. الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق : ولدي المؤلف : جعفر الناصر، محمد الناصر ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، جـ ١ .

النويري ، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب : (ت ٦٧٧ / ٧٣٣) :

٧٤. نهاية الأرب في فنون الأدب ، جامعة محمد الأول بوجدة ، المغرب ، بدون تاريخ طبع .

ابن وادران :

٧٥. تاريخ العباسيين – وبأخره عمال بني العباس بإفريقية إلي آخر الأغالبة ، تقديم وتحقيق : المنجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان .

الواقدي ، محمد :

٧٦. فتوح إفريقية: ، ملتزم الطبع والنشر التيجاني المحمدي صاحب مطبعة ومكتبة المنار، بدون تاريخ طبع ، جـ ١ .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) :

٧٦. كتاب البلدان ، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل سنة ١٨٩١ ، المجلد ٧ .

رابعاً : المراجع العربية :

بنعبد الله ، عبد العزيز :

١. التراث الحضاري المشترك بين أسبانيا والمغرب (الفن المعماري بالمغرب والأندلس الأخذ والعطاء ، غرناطة ، ١٧ – ١٩ شوال ١٤١٢ / ٢١– ٢٣ ابريل ١٩٩٢ .

٢.: تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ طبع .

جلي ، أحمد محمد :

٣. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة" ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

الجميلي ، رشيد عبد الله :

٤. دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، مكتبة المعارف ، الرباط ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ .

الجنحاني ، الحبيب :

٥. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع .

٦. : بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية (الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧ .

حجي ، محمد :

٧. جولات تاريخية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، جـ ٢ .

حركات ، ابراهيم

٨. : المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨ .

الحريري ، محمد عيسى :

٩. مقدمات في البناء السياسي الإسلامي – الدولة الرستمية ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

حسن ، نبيلة :

١٠. في تاريخ الدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، ١٩٨٩.

حسين ، أحمد الياس :

١١. الإباضية في المغرب العربي ، مكتبة الضامري للنشر ، جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ طبع .

حمس ، محمد :

١٢. القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط ، دار الرياح الأربع للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ .

داداه ، محمد ولد :

١٣. مفهوم المُلك في المغرب دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ طبع .

داود ، محمد أبو العزم :

١٤. الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

الريحاوي ، عبد القادر :

١٥. العمارة العربية السعودية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٩ .

رياض ، زاهر :

١٦. الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

أبو زهرة ، محمد :

١٧. تاريخ المذاهب الإسلامية والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ طبع .

زيادة ، نقولا :

١٨. دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ، رياض الريس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ .

زيتون ، محمد محمد شتا:

١٩. القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

سالم ، عبد العزيز :

٢٠. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ طبع .

٢١. تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، جـ ٢ .

السبتي ، عبد الأحد – فرحات ، حليمة :

٢٢. المدينة في العصر الوسيط قضايا وثائق في تاريخ المغرب الإسلامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤.

السعوى ، ناصر بن عبد الله :

٢٣. الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم ، دار المعراج الدولية، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

شافعي ، فريد محمد :

٢٤. العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

الصلابي ، على محمد محمد :

٢٥. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكرة الخوارج ، دار البيارق ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ / ١٩٩٨ .

الصوفي ، خالد :

٢٦. تاريخ العرب في الأندلس ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الأداب ، بدون تاريخ طبع .

طلفاح ، خير الله :

٢٧. كنتم خير أمة أخرجت للناس " أولئك أبائي" ، دار الكتاب العربي/ بيروت – لبنان ، الطبعة الحامسة ، ١٩٧٥م / ١٣٩٥هـ ، جـ ٤ .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح :

٢٨. تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ .

العبادي ، أحمد مختار :

٢٩. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ١٩٨٢ .

٣٠. : في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بدون تاريخ طبع .

عبد الحميد ، سعد زغلول :

٣١. تاريخ المغرب العربي – تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين ، المعارف الإسكندرية ، بدون تاريخ طبع .

عبد الرزاق ، اسماعيل محمود :

٣٢. الأدارسة في المغرب الأقصى حقائق جديدة ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٣٣. : الأغالبة سياستهم الخارجية ، مكتبة رأفت ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٢ .

٣٤. : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ .

٣٥. عبد الوهاب ، حسن حسني : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، القسم ١ ، طبعة ثانية ، بدون تاريخ طبع.

العربي ، إسماعيل :

٣٦. دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

العربي ، صديق :

٣٧. كتاب المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف :

٣٨. تاريخ المغرب والأندلس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع .

الفولاني ، عمر بن على الفاروق :

٣٩. فتح الرحمن في تاريخ نيجيريا الشمالية والسودان، مطابع دار الثقافة ، مكة، ١٣٨٤ ، جـ ١ .

فيلالي ، عبد العزيز :

٤٠. العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، دار الفجر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ .

كحيله ، عبادة بن عبد الرحمن :

٤١. المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، دار الرشاد، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

لقبال ، موسى :

٤٢. دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (١١م) ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ١٩٧٩ .

مؤنس ، حسين :

٤٣. فجر الأندلس ، الدار السعودية ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٤. : تاريخ المغرب وحضارته ، الدار السعودية ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٥م .

٤٥. : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٤٦. **محمد** ، سوادي :

دراسات في تاريخ المغرب العربي – من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري ، مطبعة التعليم العالي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٩ .

محمود ، حسن أحمد – الشريف ، أحمد إبراهيم :

٤٧. العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٥.

محمود ، حسن أحمد – محمود ، منى حسن :

٤٨. تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، القـاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

مصطفى ، شاكر :

٤٩. المدن في الإسلام حتى العصر العثماني ، دار السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، جـ ١ .

أبو مصطفى ، كمال السيد :

٥٠. جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ .

منصور ، عبد الوهاب :

٥١. أعلام المغرب العربي ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، جـ ١ .

خامساً : الموسوعات العربية:

زبيب ، نجيب :

١. الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،تقديم احمـــد ابـــن ســـودة،دار الامير، بيروت– لبنان، جـ٢ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

الشهابي ، مصطفى :

٢. معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية ، مكتبـــة لبنـــان ، ١٨٩٣/ ١٩٦٨ .

الطيب ، محمد سليمان :

٣. موسوعة القبائل العربية ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، جـ ١ .

كامل ، مختار محمد :

٤. الموسوعة العربية الشاملة الطبية العطرية ، مراجعة : مها مختار كـــامل ، المكتب الجامعي الحديث ، الأزارطة – إسكندرية ، بدون تاريخ طبع .

محمد ، عبد الرحمن فهمي :

٥. موسوعة النقود العربية علم النميات (فجر السكة العربيـــة) ، مطبعـــة دار الكتب ، ١٩٦٥ ، جـ ١ .

٦. الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة ، الرياض ، الطبعـــة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، جـ ١٠ .

٧. موسوعة المغرب العربي – الدولة الفاطمية الشيعية في المغـــرب خلافـــة المرابطين في المغرب والأندلس دراسة في التـــاريخ الإســـلامي ، مكتبـــة مدبولي ، جـ ١٢ .

يزيد ، خالد :

٨. موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكـــري ، جـــ ١٥، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

سادساً : المراجع الأجنبية المنقولة إلى العربية:

جوليان ، شارل اندري :

١. تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب : محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية ، تونس ، تم تعريب هذا الكتاب عن الطبعة الثانية التي نقحها وزاد عليها روجي لوتوترنو، ١٣٩٨ / ١٩٧٨ ، جـ ٢ .

جون س . بادو ، فرنسيس أي . بيترز ، فلورنس أمزالاغ ناتيستتشيف ، سامي خلف حمارنة ، منح خوري ، م . زونلر ، عبد الحميد صبره ، أوليج جرابار غرابار ، ماجد فخري ، م . أ . مارتن ، ابراهيم مدكور ، ر. د ماكتشسني ، دوروثيا الملاخ ، رجائي الملاخ ، دونالد ر . هيل ، بايلي وايندر .

٢. عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ، المحرر : جون ر . هايز . المترجمون : صلاح جلال ، نزيه الحكيم ، ن . يوسف داود ، بكر عباس ، مكرم عطية ، معد كيالي ،
عبد الرحمن السمرة كودى جار الله ، مطبعة معهد ماساتشوسيتس ، الولايات المتحدة الأمريكية ، لندن ، إنجلترا ، ١٩٧٨

غوتيه ، أميل فليكس :

٣. ماضي شمال إفريقيا ، الناشر الفرجاني ، طرابلس – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٩٧٠.

كول ، دانييل ماك :

٤. الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة كما يعرضها ويحللها ماك كول ، تعريب وتعليق : محمد الحمداواوي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ طبع .

لويس ، أرشيبالد . ر :

٥. القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠م) ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم : محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع .

متز ، آدم :

٦. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده ، أعد فهارسه : رفعت البدراوي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الرابعة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

هويكة ، زيفريد :

٧. شمس العرب تسطع علي الغرب ، نقله عن الألمانية : فاروق بيضون - كمال دسوقي- راجعه ووضع حواشيه : مارون عيسى الخوري ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ طبع .

الوزان ، الحسن بن محمد (ليو الإفريقي) :

٨. وصف إفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية : محمد حجي - محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ طبع ، جـ ٢ .

سابعاً : الدوريات:

أحمد ، علي :

١. دراسات تاريخية – اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، السابعة عشر = العـــددان ٥٧ = ٥٨ أيلول = كانون أول = ١٩٩٦ .

التازي ، عبد الهادي :

٢. مجلة الأكاديمية المملكة الغربية – العملة ودور السكة في المغرب ، مجلـــة الأكادمية المغربية العدد ٤ – ربيع الثانية ١٤٠٨ – نوفمبر ١٩٨٧ .

الجنحاني ، الحبيب :

٣. بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية – الحياة الاقتصادية والاجتماعية فـــي سجلماسة عاصمة بني مدرار ، مؤسسة شـــباب الجامعـــة ، الإســـكندرية ، ١٩٨٣ .

الحسين ، أحمد الياس :

٤. دراسات إفريقية – طرق القوافل عبر الصحراء الإفريقية فـــي المصـــادر العربية القرنين ٧ – ٩ هـــ / ١٣ – ١٥م ، المركز الإسلامية الإفريقـــي ، الخرطوم ، السودان ، العدد الثالث ، رجب ١٤٠٧هــ / أبريل ١٩٨٧م .

حميش ، سالم :

٥. عن صورة المغرب الوسيط في التنظيم الإستشراقي ، مطبوعات أكادميـــة المملكة المغربية سلسلة " الندوات " موضوع الندوة السادسة للجنـــة القيـــم الروحية والفكرية ، مراكش ، شوال ١٤١٣هــ – أبريل ١٩٩٣م .

أبودياك ، صالح محمد فياض :

٦. مجلة دراسات تاريخية–المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية فـــي المغرب١٤٤-٢٩٦هــ/٧٦١-٩٠٩م جامعة اليرموك ، اربـــد – الأردن ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، السنة السابعة عشر=العـــددان= ٥٥=٥٦=آذار=حزيران ، ١٩٩٦.

زكار ، سهيل :

٧. دراسات تاريخية – الدولة الرستمية في تيهرت ، جامعة دمشق ، الجمهورية العربية السورية ، العدد الثاني عشر – شعبان ١٤٠٣هـ – مايو ١٩٨٣ .

زغروت ، محمد محمد :

٨. العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، مجلة فصلية ، محكمة تصدر عن دارة الملك عبد العزيز ، العدد الأول ، السنة الحادية عشر ، شوال ١٤٠٥هـ / يونيو ١٩٨٥م .

زيادة ، نقولا :

٩. تاريخ العرب والعالم–الطرق التجارية في العصور الوسطي ، مجلة العرب والعالم ، العدد ٥٣ .

الملحم ، محمد بن ناصر :

١٠. حركة الكاهنة في المغرب وموقفها من الفتح الإسلامي ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، الرياض ، العدد ٢٠ ، رمضان ١٤١٨هـ .

و.ايفانوف :

١١. مذكرات في حركة المهدي الفاطمي ، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٣٦.

ثامناً : الرسائل:

الأقصم ، إبراهيم يوسف علي :

١٢. الدولة الأموية في كتابات المسعودي ، جامعة الملك عبد العزيز ، جـــدة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م (رسالة ماجستير غير مطبوعة) .

البلوى ، محمد فرحان :

١٣. السبخات في المملكة العربية السعودية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جـدة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م . (رسالة ماجستير غير مطبوعة) .

التمبكتي ، عبد الله الحاج :

١٤. الشيعة الإمامية الإثنا عشرية وموقف أهل السنة منهم ، جامعة أم القــرى ، كلية الشريعة والدراسات العليا الشرعية – فرع العقيـــدة ، ١٤٠١هــــ . (رسالة ماجستير غير مطبوعة) .

رضوان ، فاطمة عبد القادر :

١٥. المغرب في عصر الولاة الأمويين ، جامعة أم القرى ، مكـــة المكرمـــة ، ١٤٠٤ / ١٩٨٤م .(رسالة ماجستير غير مطبوعة).

١٦. : مدينة القيروان في عهد الأغالبة ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤١٢هـــــ / ١٩٩٧م . (رسالة دكتوراه غير مطبوعة).

شافعي ، لمياء :

١٧. المغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس حتى قيام الأغالبـــة ، جامعـــة أم القري ، مكة المكرمة ،١٤١٠هــ .(رسالة ماجستير غير مطبوعة).

الشريف ، تؤدة محمد على :

١٨. العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب فـــي العصــر العباســي الأول،١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠- ٨٤٠م ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٤١٩هـــــ - ١٩٩٩م. (رسالة دكتوراه غير مطبوعة) .

عواجي ، غالب علي :

١٩. الخوارج تاريخهم وآرائهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ، جامعة الملك عبد العزيز، جدة ، ١٣٩٨ / ١٣٩٩هـ . (رسالة ماجستير غير مطبوعة).

عوض الله ، محمد :

٢٠. العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين مالي وسنغي ، جامعة القاهرة – فرع الخرطوم ، دار المجمع العلمي ، بجدة، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م.(رسالة ماجستير مطبوعة).

تاسعاً : المراجع الأجنبية :

1 . bernard lewis : The arabs in history , hutchinson , university lbrary london , 1975 .
2 . f rancesco gabrieli : muhammad the conquests of islam , translated from the italian by : virginia luling and rosamund linell , london , 1968 .
3 . h . t . norris : The berbers in arabic literature , logman londcn nd new york librairire du liban , first published 1982 .
4 . jamil m . abun – nasr : ahistory of the maghrib , cambridge university press cambrige , printed in great britain , 1975 .
5 . michael brett : northern africa islam and modernizaton , london , 1973 .
6 . sir john glubb : the empire of the arabs , The empire of ihe arabs , london , 1963.

عاشراً : الموسوعات الأجنبية :

1. encyclopaeda the new britannic . founded , 1768 , printd in the u . s. a ., 1965 .

فهرس الملاحق

فهرس الملاحق

٧. صورة لدينار بني مدرار ضرب بسجلماسة سنة أربع وثلاثين باسم الشاكر ، من مجلة عبد الهادي التازي / العملة ودور السكة في بلاد المغرب .	شكل (٧)
٨. صورة من نقود السلطان مولاي الرشيد ضربه بسجلماسة ، من مجلة أكاديمية المملكة المغربية ، عبد الهادي التازي / العملة ودور السكة في المغرب .	شكل (٨)
٩. مخطوطة أبو غانم الصفري بدار الكتب والوثائق القومية بمصر .	شكل (٩)
١٠. حديث المعز لدين الله الفاطمي إلى المنتصر لله المدراري وشيوخ الصفرية بسجلماسة من كتاب : إسماعيل محمود عبد الرزاق / الخوارج في بلاد المغرب .	شكل (١٠)
١١. خريطة الطرق التجارية من القرن ٨ إلى القرن ١١م من مجلة : دارة الملك عبد العزيز ، محمد محمد زغروت / العلاقات التجارية الدولية .	شكل (١١)

فهرس المحتويات

الفهرس